دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

حركة النشر النقدي للنصوص
بين المستعربين والمشارقة

أعداد
مركز تحقيق التراث

تصدير
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

أ.د. أسامة طلعت
رئيس مجلس الإدارة

مصر، دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية. مركز تحقيق التراث
حركة النشر النقدي للنصوص بين المستعربين والمشارقة/ إعداد مركز تحقيق التراث. ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية. الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث. ٢٠٢٤.

٢٠٤ : ٢٤ سم.
تدمك 5 - 1581 - 18 - 977 - 978
١ - نشر الكتب - البحوث
٢ - الأدب العربي - تاريخ ونقد - البحوث
٣ - الاستشراق والمستشرقون - البحوث
٤ - التراث العربي - البحوث
أ - العنوان

٠٧٠،٥٧٣٠٧٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٣٥٤ / ٢٠٢٤
I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1581 - 5

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

حركة النشر النقدي للنصوص بين المستعربين والمشارقة

أعداد
مركز تحقيق التراث

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م)

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

حركة النشر النقدي للنصوص بين المستعربين والمشارقة

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. أسامة طلعت

رئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية

د. أشرف قادوس

رئيس المؤتمر

أ.د. أيمن فؤاد سيد

أمين عام المؤتمر

د. مها مظلوم خضر

مقرر المؤتمر

د. نورا عبد العظيم

مراجعة لغوية

د. أشرف غنام

مدير عام المطبعة

أ. محمود يونس

تصميم الغلاف

م. كريم نبيل عباس

ماكيت الكتاب

أ. حسن السيد

الاعداد للطباعة

أ. أسامة محمد كامل

تنفيذ مطبعة دار الكتب

تَصْـــدِير

بدأ عِلْمُ نَقْد النُّصُوص القَدِيمَة ونَشْرهَا في أوروبا منذ القرن الخَامس عَشَر الميلادي عِندما اهْتَمَّ الأوروبيون بإحْيَاء الآدَابِ اليُونَانيَّة واللَّاتينيَّة ، وخَاصَّةً بعد اخْتِرَاع الطِّبَاعَة . فكانوا يجمعون النُّسَخ المتعددة للكِتَاب ويُقَابلُون بينها ، وكلّ ما اخْتَلَفَت النُّسَخ في مَوْضِعٍ من المَوَاضِع اخْتَارُوا إحدى الروايات المختلفة ووضعوها في نَص الكِتَاب ، وقَيَّدُوا ما بَقِي من الروايَات في الهَوَامش . وقد اسْتَخْدَمَ المُسْتَشْرِقُون بعد ذلكَ هذه الأُصُول والقَوَاعد في نَقْد الكُتُب العَرَبيَّة والشَّرْقيَّة .

وكان من أوَائِل الكُتُب التي اعْتَنَي المُسْتَشْرِقُون بإخراجها كتاب (القَانُون في الطِّبّ) ، لابن سِينَا ، طبع في روما عام ١٥٩٣ . ثم أخَذَت النُّصُوصُ العَرَبيَّة تَتَوَالَى في الظُّهُور ، وخَاصَّه المَصَادر الأسَاسيَّة ، مثل : (نُـزْهَة المُشْتَاق) ، للإدْرِيسي ، و(المُخْتَصَر في أخْبَار البَشَر ، لأبي الفدا .

ومع تَأسيس دَار نَشْر بريل في لَيْدن عام ١٨١٢- التي تخصَّصَت في نَشْر التُّرَاث الشَّرْقي- أخذَت النُّصُوصُ العَرَبيَّة الأصْلِيَّة تَجِدُ طَرِيقَهَا إلى النُّور علي يد مُحققين من أمْثَال : فرديناند ويستنفلد F. Wustinfield ، وشَارْل لِيَال Ch. Lyal ، ودي خويه De Goege ، وغيرهم الذين أخرجوا نُصُوصًا ، مثل : (مُعْجَم البُلْدَان) ، ليَاقُوت الحَمَوي ، و(تَاريخ الدُّوَل والمُلُوك) ، للطَّبَري ، و(المَكْتَبَة الجُغْرَافيَّة) التي تضم أعمال ابن خُرَّدَاذْبَة والإصْطَخْري وابن الفَقيه وابن رُسْتَه وابن حَوْقَل والمَقْدسي ، و(الطَّبَقَات الكُبْرَى) ، لابن سَعْد ، ودَوَاوين الشُّعَرَاء الجَاهليين ، و(المُفَضَّلِيَّات) ، و(نَقَائض جَرير والفَرَزْدَق) ، و(كِتَاب الفِهْرِسْت) ، للنَّدِيم ، و(كَشْف الظُّنُون) ، لحَاجي خَليفَة ، وغيرها .

ومع تأسيس مجموعة جبّ التِّذْكَاريَّة GMS وجمعية المُسْتَشْرِقين الألمان DMG وُضِعَت خطَّة لنَشر أهَم كُتُب التُّرَاث العَرَبيِ على مَنْهَج عِلْمي بعد جَمْع نُسَخهَا المختلِفَة والتَّقْديمِ لها بمُقَدمَة عِلْميَّة تَتَنَاوَل أهَميَّة الكِتَاب ومَوْضُوعَه ومُؤَلِّفه ومَصَادرَه ، ونُقُولَ المُتَأخرين عَنْه وقيمَتَه بين مُؤَلَّفَات مَوْضُوعه ، ووَصْف لنُسَخه المختلِفَة ، والمَنْهَج المُتَّبَع في إخْرَاج الكِتَاب ، إضَافَةً إلى كَشَّافَات تَحْليليَّة مُفَصَّلَة لكُل كِتَاب .

وساهم في عملية نشر التراث العربي كذلك معاهد الاستشراق المنتشرة في بلدان عربية كثيرة، مثل: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، والمعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت.

أما في الشرق فبدأت عملية نشر النصوص مع دخول الطباعة إليها عند منقلب القرن الثامن عشر في مطبعة بولاق بالقاهرة ومطبعة الجوائب بإستانبول والمطابع الخاصة على أيدي المصححين. ثم تعرف المشارقة على مناهج النشر النقدي للنصوص القديمة مع بداية الاحتكاك بالمستشرقين، وحضور مؤتمراتهم ابتداء من مؤتمر لندن عام ١٨٩٣ (أحمد زكي باشا، ومحمد بن شنب، وحسن حسني باشا عبد الوهاب). ثم ازدهرت بعد ذلك مع لجنة إحياء الآداب العربية (القسم الأدبي فيما بعد)، والتي أطلق عليها الباحثون مرحلة دار الكتب المصرية. وذلك إضافة إلى المؤسسات، والمجامع العلمية، ودور النشر الخاصة.

لكل ذلك رأى مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية أن يخصص مؤتمره السنوي الثالث، الذي التأمت جلساته في الفترة بين ١٩ – ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٣م، لدراسة «حركة النشر النقدي للنصوص بين المستعربين والمشارقة»، شارك فيها ١٥ باحثًا.

ويشتمل هذا الكتاب على تسعة أبحاث تتناول في الأساس دور الاستشراق الألماني بصفة خاصة في نشر النصوص التاريخية مع فرديناند فستنفلد، والنصوص الجغرافية مع ميخائيل دي خويه ودورحسن حسني عبد الوهاب في المحافل الاستشراقية، واستعراض نشرات كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، للمسعودي بين الشرق والغرب، والفرق بينها، مع إطلالة على بعض الجهود الدولية ودورها في تحقيق التراث وإحيائه، إضافة إلى التعرف على جهود مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية في تحقيق التراث وإحيائه، والطبعات الحجرية: نشأتها، وأهميتها.

أيمن فؤاد سيد

المحتويات

التراث بين الاستشراق ومنشورات ليدن- هولندا
تطبيقًا على نماذج محققة بها
دراسة تاريخية-حضارية موجزة

د . فتحي عثمان إسماعيل
رئيس الإدارة المركزية للبعثات الأجنبية سابقًا - وزارة الآثار

مقدمة

كان الشرق مناطًا للمستشرقين الذين أتوا إلى بلاده ، وذلك بظهور بوادر الاستشراق منذ القرنين : السادس عشر ، والسابع عشر الميلاديين ، وإن كان بعض العلماء يردون ظهوره إلى ما قبل هذين القرنين ، ولكل دلوه وبراهينه ، إلا أننا نقف أمام هجمة من الغرب الأوروبي وقتذاك بشد الرحال إلى بلدان الشرق ، وخاصة فيما يختص بحضارات وتراث الدول الإسلامية ، وإن كان الأمر لم يقتصر على تلك الدول بذخائرها من مخطوطات وآثار ، بل شمل مخطوطات ومقتنيات رعايا هذه الدول عبر العصور ، وقامت دور ثقافية عامة وخاصة بدراسة تلك المخطوطات والمقتنيات التي جلبها هؤلاء المستشرقون .

ومن ثم صارت دراسة التراث ومخطوطاته من الأهمية بمكان ، حيث قامت مراكز ودور أكاديمية في مصر والدول العربية والإسلامية ، وبذلك أصبح اصطلاح المشارقة (أي أهل الشرق) بدا واضحًا في دراسة تراثه ومخطوطاته أسوة بالمستشرقين ، بل أوضحت دراساتهم أيضًا النقد للاستشراق وشخصياته سواء بالنقد الإيجابي أو النقد السلبي ، ومن هنا كان اختيارنا لهذا العنوان آنف الذكر لبحثنا الذي يقوم على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الاستشراق : نشأته ، وبيئته

زخرت المكتبات العربية والإسلامية والدول والمؤسسات الأكاديمية بالكثير من الدراسات التي تناولت الاستشراق مفهومًا ومعنى ، نشأته ، وأهدافه ، وتوسعت تلك الدراسات في تناول الحديث عن مجالات الاستشراق سواء بإيجابياته[١] كجهود علميه لدراسة الشرق أو سلبياته من حيث كونه محاولات لاضمحلال الفكر والهوية وإضعاف الشرق[٢] والاستحواذ على مقدراته ، ومن ثم اقتياده فكريًا عبر التأثير على

(١) محمد فاروق البنهان : الاستشراق : تعريفه ، مدارسه ، وآثاره ، منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكو) ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م ، ص١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٨

الفكر العربي الإسلامي في المناحي العقائدية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وما بين تناول الاستشراق بشقيه : الإيجابي أو السلبي ونشأته كان لا بد من إبراز الصياغة البيئية التي بدأ منها ظهور أنماط الشخصيات الاستشراقيه وثقافتها وفكرها من جهة ، وصياغات البيئة الشرقية التي يراد دراسة فكرها وثقافتها وحضاراتها وطبوغرافيات وجودها من جهة آخري ، وسنتناول معني الاستشراق لغة ومفهومًا من خلال المعاجم ، وهذا أمر طبيعي كمدخل لأية دراسة للتعريف بالوعاء الفكري الذي استقر فيه ما تم الاستحواذ عليه من تراث حضارة مكتوبة (مخطوطات وكتب) أو حضارية مادية (فنون وآثار) لكون أن الآثار وعلومها جزءًا لا يتجزأ من التراث الإنساني ، فلنبدأ بما بدأ به العلماء الأجلاء عن معني كلمة الاستشراق .

أولًا- تعريف الاستشراق(Orientalism) :

هي كلمة مشتقة من ماده (شرق) يقال شرقت الشمس شرقًا وشروقًا إذا طلعت[١] ومعناها طلب الشرق ، وليس طلب الشرق سوى علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه ، والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم اللغوية المختلفة[٢] وحيث إن استشرق أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم ، وفي المصادر اللغوية الحديثة استشرق أي طلب علوم الشرق ، كما ذكرنا من آداب وأديان ، وفنون ، وسكان وتراث ، ويقال لمن يعني ذلك من علماء الفرنجة[٣] .

وبالبحث في المعاجم اللغوية الأوروبية (الألمانية ، والفرنسية ، والإنجليزية) عن

(١) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، سنه ١٩٦٠م ، ص١ ،ص٤٨٣ .

(٢) الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازى(ت٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) ، القاموس المحيط ، بولاق ، ط٣ . ص٣ ، ص٢٤٨-٢٤٩ ، الزمخشرى : (جاد الله ابى القاسم محمد بن عمر ، اساس البلاغة ، القاهرة ، ١٩٢٣م ص٤ ،١٥٠٠- ١٥٠١ ، ابن سيده : أبو الحسن بن على بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ، المخصص ، بولاق ، ط١ . ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ، م٢ ، ص١٨-ص٢٥ .

(٣) الشيخ أحمد رضا : معجم متن اللغة ، ص٣ ، ٣١١ .

معنى شرق «ORIENT» فوجد أنه يشير إلى منطقه الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية[١] كمفهوم اصطلاحي وككلمة تتميز بطابع معنوي «MargenLand» وتعني بلاد الصباح[٢] أي تشرق الشمس ، بينما تعني «Orient» في اللاتينية يتعلم أو يبحث عن شيء ، أما بالفرنسية «Orienteer» تعني وجه أو مدى أو أرشد ، في حين «Orientation» في الإنجليزية تعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقه ما في مجال الأخلاق والاجتماع أو الفكر أو الأدب ، أما في الألمانية «Sichorientien» تعني جمع المعلومات (معرفة) عن شيء ما ، أي من المعارف والعلوم .

ومهما يكن من أمر فإن الكلمة في المعاجم اللغوية الأوروبية لا تخرج عن كونها مفهومًا اصطلاحيًا طلب الشرق بحضاراته وتراثه ، والعلم باللغات والآداب والعلوم الشرقية[٣] ، وقد عرف (مكسيموس رودنسون) مستشرق القرن العشرين الميلادي كبير الاستشراق ، بقوله : «هو التوجه العلمي للبحث حول العلوم الإسلامية في الشرق وحضارتها[٤] ، من فكر ثقافي واجتماعي ولغات وآداب وفنون وآثار ، كعلائق توجيه وإرشاد للغرب الأوروبي الموسوم بالأفول والانتهاء ، ومن ثم فإن إطلاق اصطلاح «Abend Land» أي بلاد المساء أي الغرب الأوروبي ، يأتي بتفسير دال على الظلام والراحة للغرب»[٥] .

وكان حريًا أن المقصود بالشرق هو المقترن معنى الشروق والضياء- أي مشرق الشمس- فما كان للاستشراق من معنى لغوي ومفهوم اصطلاحي إلا اشتقاقًا من الشرق ، حيث تم توجيه البوصلة من الغرب الأوروبي نحو الشرق المستنير بحضاراته

(١) محمد فاروق البنهان : الاستشراق : تعريفه ، ومدارسه ، وآثاره ، ص١١ .

(٢) مازن بن صلاح مطبقاني : الاستشراق ، كليه الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، جامعه الإمام محمد ابن سعود الإسلامية (د.ت) ، ص٤ .

(٣) منير البعلبكي : المورد ، قاموس إنجليزي ، ص٦٣٨ .

(٤) محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدي الغربيين ، ترجمة : محمد نور الدين عبدالمنعم ، المركز القومي للترجمة ، ط١ . ٢٠١٠م ، ص٤٢-٤٣

(٥) محمد السيد الشاهد : الاستشراق ومنهجيه النقد عند المسلمين المعاصرين في الاجتهاد ، (العدد٢) السنة السادسة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م ، ص٢٩١-ص٢١١ .

وتراثه ، وقد طرح د . إدوارد سعيد ثلاثة تعريفات للاستشراق ، هي في الواقع من وجهات نظر ثلاث على النحو التالي :

* نوع توضيحي أكاديمي يشتمل على علم الإنسان (الأنتروبولوجيا) ، وعلم الاجتماع ، وعلم التاريخ ، وعلم اللغة عند الشرقيين .

* نوع يدور حول أسلوب التفكير القائم على تمايز المخلوقات والاختلاف الأساسي بين الشرق والغرب في نوعية أساطيرهم وتقاليدهم وعاداتهم وقوانينهم .

* نوع يقوم على تطبيق مبدأ الغرب وأسلوبه للسيطرة على الشرق[١] ، ومن ثم هناك مشكلة التعريف بالاستشراق حيث وجود مظاهر متنوعه للاستشراق في مراحل تاريخية مختلفة ومناطق متعددة إلى أن يعرف كل كاتب الاستشراق بتعريف خاص يتطابق مع مشاهداته ومعلوماته ؛ ولهذا شاعت تعريفات كثيره ومتفاوتة مما جعل بعض خبراء الاستشراق يعتبرون أن تدوين تعريف دقيق وجامع للاستشراق من الأمور المستحيلة[٢] .

ثانيًا- ظهور مصطلح الاستشراق ومسمى المستشرق

لقد بدأ ظهور كلمة الاستشراق كمصطلح في استخدام الكلمة الإنجليزية «Orientalist» في مطلع ١٧٦٦م في موسوعة لاتينيه لوصف الأب (بولينوس) أو طبقًا لوجهة نظر بعض الكتاب في عام ١٧٩٩ أو ١٧٨٠م لأول مره في إنجلترا ، ثم دخلت الفرنسية عام ١٧٩٩م وفي عام ١٨٣٨م دخلت معجم الأكاديميات الفرنسية[٣] ، ثم دخلت عام ١٨١٢م معجم أكسفورد[٤] .

---

(١) محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدي الغربيين ، ص٤٥ ، إدوارد سعيد : الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة : د . محمد عناني ، ط١ . ١٩٩٥م ، المزيدة ٢٠٠٦م رؤيه للنشر والتوزيع ، ص١٥-١٦ .

(٢) محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدي الغربيين ، ص٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤١ .

(4) Oxford Advanced Learned Dictionary.

ونشأة الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمن على تفاوت بسيط للمعاجم الأوروبية المختلفة ، لكن من المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه ، وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير ، وقد تفاوتت الدراسات في بداية ظهور الاستشراق إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الأموية في الأندلس ، في حين يعود به آخرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي ، وأنه نشط في الشام بواسطه الراهب (يوحنا الدمشقي) في كتابيه : الأول (حياه محمد) ، والثاني (حوار بين مسيحي ومسلم) ، وكان هدفه هو إرشاد النصارى في جدل المسلمين[١] .

بينما يرجعه البعض إلى أيام الحروب الصليبية[٢] ، أو في أعقاب الصدام العنيف بين الحضارتين المختلفتين : الإسلامية القوية والحضارة الغربية المسيحية المتخاذلة ، وحينما أصاب العالم الإسلامي ما أصابه من تمزق وضعف ؛ مما أدى إلى انطلاق الحروب الصليبية التي صارت موجات متلاحقة ، ووصلت إلى القدس[٣] وإقامة إمارة صليبية مما صار معه :

* التفات الغرب إلى الاستحواذ على تراث ومخطوطات الشرق .

* استفاد الغرب من صلته بالعالم الإسلامي باحتكاكه به على ترجمة المعارف الإسلامية بتشجيع من الكنيسة التي شجعت حركة الترجمة ، وتوافد رجالها إلى المراكز العلمية في العالم الإسلامي ؛ لكي يتعلموا على أيدي العلماء المسلمين[٤] ؛ ومن ثم ظهر مصطلح مستشرق ، ولعل كلمة مستشرق ظهرت قبل مصطلح استشرق ، كما أشارت بعض الدراسات في الغرب[٥] .

---

(١) جمال الدين فالح الكيلاني : الاستشراق في ضوء فكر القرن الواحد والعشرين ، مراجعه د .كمال مظهر أحمد ، مكتبه المصطفى للنشر ، القاهرة ،٢٠١١م ،ص١٢ .

(٢) جمال الدين فالح الكيلاني الاستشراق في ضوء فكر القرن الواحد والعشرين ، ص١٢ .

(٣) محمد فاروق البنهان : الاستشراق : تعريفه ، ومدارسه ، وآثاره ، ص٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص٨-٩ .

(٥) مازن بن صالح مطبقاني : الاستشراق ، ص٣-٤ .

مسمى المستشرق (Orientalist)

المستشرق -اصطلاحًا- كان بشيوع دراسات الغرب الأوروبي للتراث العربي والإسلامي، ظهر مسمى المستشرق كعالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[١] ويذكر أربري(Arberry)[٢] المدلول الأصلي لاصطلاح مستشرق كان في عام ١٦٣٨م، بينما في الحقيقة أن أول استعمال لاصطلاح مستشرق رأيناه في عام ١٦٣٠م، حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية[٣].

وفي عام ١٩٦١م وجدنا اسم أنطوني وود «Antony wood» يتردد في عالم الاستشراق[٤]، حيث وصف صموئيل كلارك «Samuel Clark» بأنه استشراقي نابغ، يعني أنه عرف بعض اللغات الشرقية بينما بيرون في تعليقاته على «Child Harold Pilgrimage» يتحدث عن المستر تور نتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراقه العميق، والمستشرق هو القائم بالعلم باللغات والآداب والعلوم الشرقية[٥] وهو أساس الاستشراق في تناول العلوم المذكورة.

وقد حمل الرواد الأوائل لواء الاستشراق، حيث واجهوا مسئوليات شاقة وصعوبات بالغة في تحقيق غاياتهم[٦] من دراسة الشرق، وإذا كان مصطلح الاستشراق قد توسع في معناه ومفهومه في العديد من الدراسات، وانصب على طلب علوم الشرق كما أسلفنا، فإن المستشرق قد اتجه للتخصص في علوم الشرق، حيث عرف أيضًا قاموس أكسفورد الجديد بأنه من تبحر في لغات الشرق وآدابه، وكانت تطلق في البداية على من تخصص في فقه اللغات الشرقية[٧] (Philology)

---

(1) Grand Larousse encyclopique,VII, PP. 1003-1009.

(٢) مازن بن صالح مطبقاني: الاستشراق، ص٤.

(٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين: بيروت: دار العلم للملايين ط٣. ١٩٦٣م، ص٣١.

(٤) المرجع السابق، ص٥-٦.

(٥) كريم البستاني: المنجد في اللغة والإعلام، ص٣٨٤.

(٦) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٣١.

(٧) محمد فاروق النبهان: الاستشراق: تعريفه، ومدارسه، وآثاره، ص١١.

كما أن المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار والحفريات والمؤرخ وعالم الصرف والاشتقاق وعالم الأصوات والفيلسوف واللاهوت والموسيقي ، ومن ثم جمع المستشرق بتخصصات علوم الشرق وتراثه ومخطوطاته ، وتأسست لذلك المؤسسات والأكاديميات والجامعات والمعاهد والمراكز والجمعيات العلمية والمدارس الأكاديمية ؛ لدراسة تراث ومخطوطات الشرق العربي والإسلامي ، ومنها المدرسة الهولندية . في ظل إطار بيئي له صياغاته التي تتطابق مع فلسفه تلك الأكاديميات في تناول طروحات دراساتها ، مع الوضع في الاعتبار مدى تطور أساليبها للوصول إلى أهداف الاستشراق من تلك الدراسات ، حيث أضحت المدرسة الهولندية رائدة النشر والتحقيق للمخطوطات ، وكتب التراث[١] ، وغيرها من المدارس التي عنت بدراسة الشرق بمختلف الانتماءات المتنوعة للمستشرقين ومدارسهم ، ومن ثم كان لا بد من تناول الصياغات البيئية ؛ للتعرف على تلك الانتماءات للمستشرقين وفكرهم وأساليبهم في التناول العلمي للتراث والمخطوطات ، وخاصة مستشرقي المدرسة الهولندية .

ثالثًا- صياغات البيئات الاستشراقية

لتحديد تلك الصياغات للبيئات الاستشراقية يتعين علينا الوقوف على مكونات الفكر الاجتماعي ، والفكر الديني ، والفكر الثقافي ، والفكر الاقتصادي لتلك البيئات التي توالدت فيها المظاهر المتنوعة للاستشراق ووجودها عبر مراحل تاريخية مختلفة ، ومناطق متعددة صاغت مدلولات وتعريفات للاستشراق وأهدافه ، وكان الغرب الأوروبي له من الأفكار تجاه الشرق وخاصة العالم العربي والإسلامي حيث يعبر العالم الإسلامي عن مناطق ثقافية وتاريخية خاصة ، وتؤلف بلدان شمال إفريقيا والشرقين : الأدنى ، والأوسط وإيران مركزًا لهذا العالم بتراثه المادي

---

(١) محمد فاروق النبهان : الاستشراق : تعريفه ، ومدارسه ، وآثاره ، ص٢٢-٣٩ .

والمكتوب[١] ، بل نجد حدوداً أوسع عرفت كساحة للاستشراق عند الغربيين تشمل كل دول شرق آسيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى والشرق الأدنى ، وهي التي تقع في شرق أوروبا والبحر الأبيض المتوسط ، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية وكما تعرفها دائرة معارف نيوجيرسي الأمريكية "أقطار الشرق الأبيض المتوسط"[٢] والساحة الاستشراقية الحديثة كحدود جغرافية ما هي إلا حدود الاستشراق الديني ، فقد قام مستشرقون بعمل أبحاث استشراقية بدافع ديني مناهضة للإسلام بدلالة تنحيها للحدود الجغرافية لعلم الأرض (الطبوغرافيات) جانبًا وأحلوا محلها الحدود الجغرافية الدينية ، وخاصة البلاد التي يقطنها المسلمون[٣] .

١- الفكر الاجتماعي "صياغة بيئية"

أشرنا إلى الغرب الأوروبي بمدلول اجتماعي مفعم بطبقية أسيرة الفكر الكنسي ؛ مما أنتج فكرًا اجتماعيًا مغلقًا تبعه الاضمحلال الاجتماعي ، وانعكس ذلك على تواجدهم في الشرق الإسلامي ، حيث دعمته الكنيسة فكريًا ، ولا شك أن التواجد الهولندي خير دليل على ذلك ، حيث شمل اطارًا اجتماعيا وفق الفكر الاجتماعي الذي بات محصوراً بين السوسيولوجيا الاقطاعية والراديكالية الكنسية ؛ مما أوقع الغرب الأوروبي عامة والهولندي خاصة بين براثين الوضعية الاجتماعية ، والجهل المعرفي بمدخلات المجتمعات في الشرق المستنير حضاريًا ، وحينما تنفس الغرب الأوروبي وأمريكا الصعداء من جراء الثورة الصناعية والنهضة الأوروبية وأصاب العالم الإسلامي ما أصابه من ضعف كانت الهجمة الغربية بالاستعلاء الاجتماعي فكريًا والسعي إلى ترسيخ فلسفة وفكر التبني للشرق في أذهان مجتمعات ومفكري الشرق ، فكان الاستحواذ على مقدراته وتراثه من مخطوطات

(١) فالح عبدالجبار : الاستشراق والإسلام ، إعداد وترجمة : فالح عبدالجبار ، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ، ط١ . ١٩٩١م ، ص١٣ .

(٢) دائرة معارف نيوجيرسي: The Countries To The East and Sea Of The Mediterranean

(٣) محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين ، ص٤٢ .

وكتب وآثار وفنون ، وكثر ذلك خلال القرن ١٩م ، والقرن ٢٠م[١] .

٢-الفكر الديني "صياغة لاهوتية نصية" :

وقع الغرب الأوروبي عامة وهولندا خاصة بين شقي الفكر المسيحي ، والتوراتي اليهودي ، فالفكر الكنسي صار جاثماً على عقول المفكرين مرتبطًا بالجمود والتقليدية من جهة ، والكلاسيكية بنصوص الكتاب المقدس من جهة أخرى ، أما المنحى اليهودي التوراتي فكان له إسقاطه بمضمون العقل الجمعي بنصوص توراتية[٢] وأتت التفسيرات اللاهوتية المسيحية باللغة اليونانية- اللاتينية ، حيث كانت أوروبا الوريثة للتراث اليوناني ولغته ، ثم أتت التفسيرات التوراتية اليهودية بالعبرية مع تضمينات مثيولوجية ، وهكذا كانت الصياغة الدينية للبيئات الأوروبية والهولندية التي ظلت أسيرة المعارف الدينية اللاهوتية ، فكان الاتجاه الفكري الديني لتلك البيئات الحاضنة له متسقًا مع السلوك النفسي والعقلي المتجذر ، حيث تأثر الاستشراق وشخصياته بأنماطها المتنوعة بتراث قديم انحدر إليه من تحيزات العصور الوسطى الأوروبية ضد الإسلام والعالم الإسلامي وبخاصة نتيجة الحروب الصليبية[٣] .

ومن خلال سردنا السابق نجد الفكر الديني قد صاغ البيئات الأوروبية والهولندية بتراث كامنًا في كتابات المستشرقين ، ناتجًا عن العداء الدعوي بين الإسلام والمسيحية ، وألقت الحروب الصليبية بصيغتها الفكرية الدينية بظلالها على أنماط الشخصيات الفكرية الاستشراقية ، بحيث من الصعب عليهم أو من المستحيل التخلص منه[٤] ، بل نجد الفكر الديني اللاهوتي المسيحي بمناصرة البابا رأس الكنيسة

---

(١) محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الاسلامية لدى الغربيين ، ص١٨ .

(٢) محمد الأسعد : مستشرقون في علم الآثار كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ ، بيروت : الدار العربية للعلوم ، ط١ . ٢٠١٠ ، ص٣ .

(٣) جوزيف شاخت كايفوردبوزورث : تراث الإسلام ، ج١ ، ترجمة : د . محمد زهير السمهودي ، وحسين مؤنس ، ود . إحسان صوفي العمد ، تعليق وتحقيق : د . شاكر مصطفى ، مراجعة : فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة (١١) ١٩٧٨م ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ص٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٨-٢٩ .

الكاثوليكية قد أرسى دعائم دعوى الكثلكة بتجذر ذلك الفكر ، حيث تم تأسيس جماعة مسيحية وهي اليسوعيون أو الجزويت Jesuits بإسبانيا- الأندلس - سابقًا على يد مغامر إسباني يدعى (لوا بولا) عام ١٥٤٠م منذ ذلك الوقت[١] ومن ثم صار الصراع الفكري بينهم وبين بني جلدتهم من المسيحيين الشرقيين أتباع الكنيسة اليونانية الشرقية ، مما يؤكد لنا صياغة الفكر الديني بدعوى التبشير من خلال الاستشراق وشخصياته سواء ما هو ذو نمط حربي كما ذكرنا أو من خلال نمط ديني ، حيث كان ذلك على أرض الأندلس أيضًا أبان عظمتها بمباركة بابوية أيضًا ، فقد اتجه بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن الكريم بلغاتهم والكتب العربية إلى لغاتهم وانتهج أقطاب المدرسة الهولندية هذا النهج على يد جمع فكري يتزعمه المستشرق الهولندي دوزي ذو الأصل الأندلسي .

والفكر الديني جاء بمرحلة الكمون من مراحل تاريخ الإعداد للنشأة بأسلوب طلب العلم ، حيث كان التخبط في دهاليز الجهل ، فقد تتلمذوا على أيدي العلماء المسلمين في مختلف العلوم ، وبخاصة الفلسفة والطب والرياضيات التي قام المسلمون بترجمتها من اليونانية ، وقدموها للغرب الأوروبي[٢] ، وسارع رجال الدين (الأكليروس) وغيرهم بتشجيع البابوية من النهل من علوم الشرق العربي والإسلامي ، مثل أربانيوس المستشرق الهولندي الذي يعتبر الأب الروحي للاستشراق الهولندي حيث أسس في داره مطبعة بريل[٣] .

ولم يكن الفكر الديني في مرحلة الكمون إلا إعداد لمرحلة تالية ، وهي مرحلة توظيف رجال الدين للتبشير للمسيحية والكثلكة ، حيث تم الاعتماد على (يوحنا

---

(١) محمد سعد : مستشرقون في علم الآثار ، حاشيه٢٧ ، ص٧٩ .

(٢) سعدون الساموك : الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ، الأردن : دار المناهج للنشر والتوزيع ، ط١ . ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ص٢٥ .

(٣) نجيب العقيقي : المستشرقون ، م١ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤ ، ص١٢٠-١٣٧ ، مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق للنشر والتوزيع ، (د .ت) ، ص٣١ .

بريستر) وهو اللقب الذي أطلقه الأوروبيون على ملك الحبشة في نشر المسيحية قبل الاستعمار الأوروبي في القرن الرابع عشر الميلادي ؛ للإعداد بإيجاد الجغرافيا المقدسة ، وتوسعها في إفريقيا الاستوائية وإفريقيا الغربية ، ومن هذا المنطلق الفكري اللاهوتي كان تأسيس للاستشراق في نيجيريا ، والاستشراق في تنزانيا ، والاتجاه إلى الشرق لتوطين المسيحية في إندونيسيا ، ثم الاستعمار الهولندي لها فيما بعدُ ، كما كان التبشير والكثلكة على أيدي قناصل ورحالة هولندا أمثال : راوولف ، وهورخرونيه ، ودانيال فان درميولين ، كما سيأتي ذكره ، واصطبغ فكرهم التبشيري في غصون القرنين : السادس عشر ، والسابع عشر الميلاديين بالنزعة الاستشراقية التي مارسها منهم خلال القرنين : الثامن عشر ، والتاسع عشر الميلاديين ، وخلال تلك القرون كان الاستحواذ على تراث الشرق ومخطوطاته ، حيث سطرت تلك القرون مرحلة هامة ، ألا وهي مرحلة الانطلاق ، ولكن كانت مرحلة هامة من التأليف ، ومن ثم فإن عدد الكتب التي ألفها المستشرقون عامة عن الاستشراق منذ أوائل القرن ١٩م وحتى منتصف القرن ٢٠م يصل إلى حوالي ستين ألف كتاب[1] .

ولكن نجد أن أغلبية المستشرقين حتى منتصف القرن ١٩م كانت من الباحثين التوراتيين الذين كانت معرفتهم بالشرق معرفة نصية ، ومن هنا نجد الفكر اللاهوتي المسيحي ، والتوراتي اليهودي قد سيطر على المفاهيم والمعاني عند التأليف والتحقيق ، حيث سادت تعابير وتفاسير واصطلاحات لاهوتية وتوراتية عبر أساليب فكرية قائمة على تمييز وجودي (انطولوجي) ومعرفي (ابستمولوجي) بين الشرق في معظم الأحيان والغرب كأسلوب غربي أوروبي[2] للسيطرة على مقدرات الشرق وتراثه ومخطوطاته ، وامتلاك السيادة عليه ، ومن ثم كان الفكر الغربي الأوروبي والهولندي خاصة مصطبغًا بصياغات البيئات من خلال سياقات غريبة لا تنتمي إلى تراث ومخطوطات وحضارة الشرق العربي الإسلامي ، وهي سياقات مستمده من المرويات

(١) إدوارد سعيد : الاستشراق ، ص١٩ ، ص٣٦-٦٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٤٢ .

التوراتية مما خلق ما يسمى في علم الآثار علم خاص يدعى علم الآثار التوراتي[١] مع النظرة اللاهوتية ، هذا هو الفكر الديني في صياغات البيئات الاستشراقية التي كانت خاضعة للاستشراق وفكره ، مع خلق أنماط لشخصيات استشراقية همها الأول والأخير التشكيك في الديانة الإسلامية ومقومات الشرق العربي والإسلامي .

٢- الفكر الثقافي وصياغات البيئة

لا يعدو عن كونه امتداداً للفكر الديني فقد انكب المستشرقون على دراسة الشرق بمناحيه المختلفة من تراث ومخطوطات وآثار ، فنجد تغلغل الاضمحلال الثقافي لديهم قبل بدء الاستشراق الذي لا يعرف متى بدأ ولا من هو أول مستشرق ، وحينما استمر الاستحواذ على المخطوطات والهجمة الغربية على التراث جراء الضعف الذي انتاب العالم الإسلامي فقد أتى المستشرقون من رحالة مثل الرحالة الطبيب د . ليون هارت راوولف الهولندي الذي يعد من أقدم الرحالة الأوروبيين الذين وفدوا إلى العراق وإيران في القرن السادس عشر الميلادي[٢] ، وقد وصف بغداد وصفاً كلاسيكياً غلب على بعض وصفه لمعالمها اصطلاحات توراتية ومسيحية ، مما يعد أن الفكر الديني باللاهوت المسيحي التقليدي والتعابير التوراتية فسمى -را وولف- نهر دجلة بمسمي توراتي هو «Hidekol»[٣]- حدقول- ، كما سمى المساجد في وصفها بأنها كنائس ، وسمي الكتابات الكوفية على المساجد بظنه أنها كلدانية ، مما يوحي بمدى غلبة الفكر الديني المذكور[٤] الذي كان دافعاً عند ذلك الرحالة وغيره ، دافعاً تبشيرياً ، حتى على يد اليسوعيين كجماعة تبشيرية في الهند ، كما ذكرنا ذلك ، وهذا مثال من الأمثلة للفكر الثقافي لمستشرقي الاستشراق الهولندي ، وهذا ما

---

(١) محمد الأسعد : مستشرقون في علم الآثار ، ص٧٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص٧٣-٧٤ ، ص٨٢ .
(٣) المرجع السابق ، حاشيه(١) ، ص٧٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص٧٥ .

لاحظناه أيضًا عند المستشرق الهولندي جوزيف شاخت عند تناوله التراث العربي والإسلامي في دراساته بفكر عنصري بحت[١] .

وقد غلب الفكر الديني اللاهوتي والتوراتي على الرحالة المستشرقين والهولنديين ، وباقي مستشرقي المدارس الأوروبية الغربية ، ثم الأمريكية ، واعتبر معظمهم أن الإسلام صورة منحرفة من صور المسيحية[٢] ، على الرغم أنهم قد استمرأوا ضرورة تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والإسلام والسنة المطهرة ، ثم قاموا بعمل موسوعي مشترك لمستشرقين كان همهم التشكيك في الإسلام والسنة المطهرة ، وذلك بنظرة التفوق الغربي بعد الركود الشرقي ، وقد استخدموا آليات ثقافية وعلمية من مطابع للطباعة كمطبعة (بريل) الهولندية التي تأسست عام ١٦٨٣م ، ثم مطبعة توتنجين الألمانية ، بينما قام عبد الله زاخر في لبنان بإنشاء مطبعة في لبنان عام ١٧٢٣م ، وأول مطبعة في مصر تلك التي أحضرها نابليون بونابرت بحملته عام ١٧٩٨م في حين قام محمد علي بإنشاء مطبعة في بولاق عام ١٨٢٢م ، ومن ثم انتشرت الثقافات المختلفة لدى المستشرقين الذين استحوذوا على تراث ومخطوطات الشرق ، وحققوها ونشروها باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية والعربية ، وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسات الاستشراقية لم تحترم خصوصيات الثقافة الإسلامية[٣] .

٤- الفكر الاقتصادي صياغات بيئية

الناظر إلى التاريخ الأوروبي حتى بعد الثورة الصناعية والنهضة الأوروبية يجد السلم الطبقي الذي توارثه ذلك الغرب بمصطلحاته اللغوية والفكرية من التراث اليوناني حيث ارتبط بفكر وجودي «Ontology» في العقلية الأوروبية ، ومن ثم

(١) محمد الأسعد : مستشرقون في علم الآثار ، ص٧٥-٧٦ .
(٢) إدوارد سعيد : الاستشراق ، ص١٩ ، ص٦٤-٦٥ .
(٣) محمد فاروق النبهان : الاستشراق : تعريفه ، ومفاهيمه ، ومدارسه ، وآثاره ، ص١١ .

تغلغل ذلك كله في الفكر الاستشراقي عند تناول التراث العربي والإسلامي بل الشرق، وهذا الفكر الاستشراقي وأنماط الشخصيات الاستشراقية قد نما في ظل طبقية موروثة من الإغريق متجذرة، وهذا ألقي بظلاله في دفع الحركة الاستشراقية بتقديرات ومناصرة من الطبقية الدينية (البابوية) والأوليغارشية[١] الأرستقراطية من حكام ونبلاء كأسرة جوينبول الهولندية، كما سيأتي في السياق، وتلك الطبقية الصارخة والتي توالد فيها الاستشراق، وأثرت على المستشرقين بدعوى التفوق على الشرق بها التميز الطبقي الذي مرده الدين أو صلات أوضاع اقتصادية متمايزة لطبقة من النخب تمثل الحكم؛ مما دفع الدول الأوروبية إلى الهجمة على الشرق والاستحواذ على تراثه ومخطوطاته، بل ومن خلال التبشير من جهة والاستعمار من جهة أخرى، وفي ضوء هذه الطبقات كانت السفن التجارية الهولندية تمخر عباب البحار الشرقية، وعليها الرحالة المستشرقين، والتي عرفت موانئ الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا حتى إندونيسيا، وعليها الرحالة المستشرقون.

وقد صارت الملاحة الهولندية وسيلة كفكر اقتصادي تجاري يحمل في مكمنه الفكر الاستشراقي، فإلى جانب التوجه الاستعماري نجد الرحالة الهولنديين يعودون من الدول العربية والإسلامية بمخطوطات نادرة، فينكبون على دراستها وترجمتها إلى اللغة اللاتينية، لغة العلوم في ذلك الوقت.

وكانت مدينة ليدن الهولندية-هي المناط في الدراسات وبيئة الفكر الاقتصادي التي شكلت مع نظيراتها من مدن ومناطق الغرب الأوروبي دوافع الاستشراق دينياً وسياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا لدراسات الشرق وبلدانه، بل أضفت على أنماط الشخصيات الاستشراقية التجذر الفكري اليوناني من جهة ونزعة الهابسيورجية الموروثة من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فجاء الاستشراق في خضم الفكر

(١) الأوليغارشيه: من الكلمه اليونانية «Oligarhke» وهي تعني حكم الأقلية، وتشير الموسوعة البريطانية إلى أنها مجموعه صغيرة من الأشخاص ذوي سلطات واسعه تمارسها طبقة اجتماعية حاكمة متفوقة أو مميزة أو بشكل آخر عن بقية المجتمع.

الاقتصادي المستنزف لقدرات الشرق العربي والإسلامي بالاستحواذ على تراثه ومخطوطاته . والجدير بالذكر أن الاستشراق سواء القديم أو الجديد جاء متضمنًا الشعور النفسي بالاستعلاء والعنصرية المفعمة بعدمية المنهجية أو الاستقراء والتحليل[١] .

المبحث الثاني : التراث العربي والإسلامي بين أساليب الاستشراق والاستحواذ ، المدرسة الهولندية

ألمحنا في عرضنا بالمبحث الأول إلى دوافع الاستشراق من دينية وسياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية[٢] في ضوء الفكر الاجتماعي والديني والثقافي والاقتصادي ، وهي في مجملها التشكيك في الإسلام وثوابته ، وكان على رأس هؤلاء المستشرقين الهولنديين : دوزي ، ودي خويه ، وفنسنك ، وهورخرونيه ، وغيرهم ، وبالنزعة الاجتماعية بأن العرب قوم تخلف والأتراك قوم غلاظ في طباعهم ، ووصف الشرق باصطلاحات عنصرية والاستعلاء في تناول النصوص في المخطوطات بعدمية المنهجية ، وإرساء بواعث الظنية والاحتمالات في التفسير النصي ؛ مما أدى إلى فقدان الاستشراق معالم الجدية باستدعاء تعابير توراتية والاتكاء على التفاسير اللاهوتية مع وجود إرساليات التبشير وبعثات لدراسة مقدرات الشرق من فنون وعمارة وآثار ، وإلقاء تفسيرات لخلق ما يسمى بعلم الآثار التوراتي من جهة ، وإيجاد جغرافيات مقدسة - كتذكارات أنجيلية من الكتب المقدسة- وتطعيمها بمصطلحات لاهوتية .

أولًا - أهداف الاستشراق والمدرسة الهولندية

* ظلت أهدافهم في ضوء سلوك المستشرقين النفسي والنزعة الغربية باستدعاء التحيزات اليونانية لغة وثقافة ، والموروث الروماني المقدس بمثيولوجيات دينية ؛ مما أدى

(١) طارق حسن بركات : المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ، مصر : مكتبه النافذة ، ٢٠٠٦م ، ص٤٩٨ .

(٢) للمزيد انظر : علي إبراهيم النملة : كنه الاستشراق ، بيروت : بيان للنشر والتوزيع ، ط٣ . ٢٠١١م .

إلى وجود أهداف ذهنية مترسخة لدى المستشرقين الهولنديين لدراسات الشرق وبلدانه ، وخاصة الشرق العربي والإسلامي المعني بتلك الدراسات شأنهم شأن مستشرقي أوروبا ، ومن هذه الأهداف :

* التبشير«Heralding» : والمعني به الدعوة إلى المسيحية ، طبقًا للمذهب الكاثوليكي في الغرب الأوروبي ، ويعتمد على هدم القيم الدينية وإشاعة الأفكار الهدامة بين المسلمين ، ومن ثم جعلهم لبنة هشة تقبل التشكيل الذي يلائم الغرب الأوروبي[١] وهذا الهدف كان يدار عن طريق القناصل والرحالة والآباء الكاثوليك ، والدس بالتلفيق والتزوير حيث كانت دائرة المعارف القرآنية (في المدرسة الهولندية) Encyclopedia of Quran في ليدن نجد بها أخطاء في فهم الآيات وتحريفها متعمدة أو تشويه القرآن الكريم ، نظرًا لأن معظم كتبة مقالاتها كانوا من المسيحيين أو اليهود ، ومن ثم كانت وسيله التبشير المسيحية بمذهبها الكاثوليكي الغربي ؛ مما استدعى من مركز بحوث الثقافة والفكر في إيران في البدء في مشروع نقد هذا الكتاب وفقد مقالاته[٢] .

* التستر بهدف علمي : وإن كان مشبوهًا ؛ مما أثار الجدلية حول المنهجية العلمية في تناول التراث والمخطوطات ، وخاصة في المنحنى الديني ، بالتشكيك في رسالة النبي عليه الصلاة والسلام ومصدرها الإلهي[٣] ومن هؤلاء المستشرقين نولدكه في المدرسة الألمانية ، والتشكيك للمسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم[٤] وإضعاف الهوية الدينية والفكرية ، وخير مثال لذلك مارجليوث ، وجولد تسيهر ، ودوزي الهولندي .

---

(١) صالح حمد حسن الأشرف : الاستشراق مفهومه وآثاره ، ماجستير كلية الشريعة ، جامعه الإمام محمد بن سعود ، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م ، ص ٢٧٩ .

(٢) محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدي الغربيين ، ص٣١ .

(٣) مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق للنشر والتوزيع (د .ت) ، ص٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص٣١-٣٢ .

* ترسيخ دعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان وإضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ودحض قيمته ، والتغلغل في بنيات المجتمع العربي والإسلامي بإضعاف الوشيجة وقيم الإخاء ، وهذا من مبادئ المدارس الأوروبية الأخرى في الاستشراق ، وقد أسهمت المدرسة الهولندية بنصيب وافر في الاستشراق الأوروبي للتراث العربي والإسلامي بنشوء مطبعه «Brill» .

ثانيًا- التراث العربي والإسلامي ، وأساليب الاستشراق في المدرسة الهولندية

يذكر مكسيم رودنسون «MaximeRodinson» أن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق ، ومن هنا كان لضخامة ، وكبر تراث ومخطوطات ولغات وآداب وعادات وتقاليد وطبقات سكان بلدان الشرق[١] ، وخاصة العربي والإسلامي .

وكان لا بد من وجود أساليب للاستشراق الهولندي لذلك كله مثيل الاستشراق الأوروبي من خلال :

١- أسلوب الاقتباس والترجمة والفكر الغربي الهولندي

وهو أسلوب مرحلة من مراحل الإعداد الاستشراقي في الفكر الغربي ، وخاصة الهولندي ، حيث صارت هولندا بحق زعيمة ذلك الاستشراق ، وإذا كان الاقتباس والترجمة من الحضارة الإسلامية لا يأتي إلا بشد الرحال إلى الشرق الإسلامي ، فنجد ترجمة ألف ليلة وليلة تترجم لأول مرة من الفارسية إلى الهولندية في ليدن بمطبعة بريل ، وأيضًا مقامات الحريري التي حازت اهتمام النشر بتلك المطبعة ، والاقتباس منها كدراسة أدبية ، وكان الغرب الأوروبي ينظر إلى الإسلام وتراثه صورة الحضارة المدنية ، فكان الاقتباس والاستفادة من الحضارة الإسلامية وتراثها ومدنيتها[٢] .

(١) مكسيم رودنسون : الصورة الصوفية والدراسات العربية الإسلامية ، تراث الإسلام ، ص٢٧-١٠١ .

(٢) محمد فاروق النبهان : الاستشراق : تعريفه ، ومدارسه ، وآثاره ، ص١٧-١٨ .

ومن هنا بدأ التزود من علوم الشرق ، فكانت الأندلس بجامعاتها منهلًا من مناهل العلم ، فتتلمذوا على يد علمائها ، فعلى الرغم من إقرار طلبهم للنهل من علوم الشرق العربي والإسلامي إلا أن التقليدية اللاهوتية الكنسية كانت متحكمة في دراسات علوم الشرق ، وقد قصد الرهبان الغربيون الأندلس إبان عظمتها ومجدها - كما ذكرنا أنفًا- وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية ، وبخاصة في الفلسفة والرياضيات ، ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتخب بابا الكنيسة روما عام ٩٩٩م وبطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م) ، وجيرار ولكريمون (١١١٤م-١١٨٧م) ودوزي الهولندي بثقافته الأندلسية ، بحكم مولده بها[١] .

ومن ثم فإن هولندا قد أعدت بذلك مدرسة الاستشراق الهولندي ، والتي اعتمدت في مراحل الإعداد على الاقتباس والترجمة ، فكانت أسيرة الفكر الديني الكنسي الكاثوليكي ببعثاتها العلمية حيث بروز ظاهرة التعصب المسيحي في الغرب الأوروبي ، ومن ثم انصب ذلك الفكر الديني على نقد المعارف والعلوم من المدرسة الإسلامية في القرن السادس عشر الميلادي ، وحمل هذا الفكر الديني المتعصب باقتباس وترجمة النصوص التراثية العربية والإسلامية ارتباط المستشرقين ، وخاصة الهولنديين واتجاهاتهم ومقاصدهم بالموروث التاريخي للشخصية الغربية الاستشراقية في نظرتها للحضارة الإسلامية وتراثها ، وهو موروث مثقل بالتراكمات النفسية ومشاعر ضاغطة سيطرت على حركة الفكر مؤثرة في السلوكيات والمواقف الاستشراقية ، وعلى الرغم من تشجيع الباباوات لمجالات الترجمة للتراث والمخطوطات ، وعلى رأسهم البابا (سلفستر الثاني) في نهاية القرن العاشر الميلادي الذي شجع على التلاقي بين الشرق والغرب مما أدى للاقتباس والترجمة من الحضارة

---

(١) مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ص٣١- ٣٢ .

الإسلامية ، وقد أدت حركة الترجمة من اليونانية واللاتينية إلى العربية إلى انتشار الفكر الإسلامي ؛ مما جعل فكر المستشرقين عامة في الغرب الأوروبي وهولندا خاصة متضمنًا الفكر الشعبوي عند تناول التراث والمخطوطات وغيرها من مقدرات الشرق الحضارية دون تحييد الرؤية المسبقة لهم ؛ مما أفقد عملهم المصداقية ، وخاصة لدى دوزي وفنسنك وهورخرونيه وراوولف الهولنديين ، وهذا الفكر الغربي للمستشرقين بنزعة التعصب يراد منه ترسيخ الفكر بأن الحضارة العربية الإسلامية مستقاة من الحضارات الأخرى ، كما يردد الكثير منهم ذوو الاتجاهات الدينية والسياسية المعروفة في وضعية الاستشراق وأنماط شخصياته في الاقتباس وحركة الترجمات .

٢- أسلوب الاستكشاف للشرق العربي والإسلامي

وهو أسلوب يتضمن شقين :

الشق الأول : هو تضمين معرفة الشرق معرفة تامة يحمل طابع التستر والتخفي .

الشق الثاني : الاستحواذ على المخطوطات الإسلامية وكتب التراث ، وما هو مادي من إنتاج الشرق العربي والإسلامي .

أما الشق الأول ، وهو تضمين معرفة الشرق فيمثله بجلاء خطوات قناصل ورحالة أوروبا ، وكان لا بد من تعلم اللغة العربية ؛ حتى يسهل التعامل مع شعوب الشرق العربي والإسلامي ومن هؤلاء أقطاب المدرسة الهولندية ، وعلى رأسهم (اربانيوس) (١٥٨٤م-١٦٢٤م) حيث استعان بعالم قبطي مصري في باريس يدعى (يوسف بن أبي دقن) حينما رحل اربانيوس إلى باريس وتعلم وأتقن اللغة العربية على يد يوسف ، واستطاع بعد تسعة أشهر ، أي عام ١٦٠٩م أن يكتب رساله باللغة العربية الفصحى ، إلا أن غلبة الفكر اللاهوتي قد أتت على كتاباته[1] ، شأنه شأن مستشرقي الغرب الأوروبي ، على الرغم من قراءته للقرآن الكريم في مخطوط كان بين

(١) عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٦-١٧ .

تركة هارديافوس الفلسنجي، ويوجد الآن في مكتبة بودلي بإكسفورد، إلى جانب أن تبين لاربانيوس الفرق بين العربية والعبرية[١]، وقد أسهم في تأسيس كرسي للغة العربية في جامعة ليدن بهولندا[٢]، ومما يمثل هذا الاتجاه للاستكشاف الاستشراقي الهولندي المستشرق سنوكهورخرونيه (١٨٥٧م-١٩٣٦م) الذي كان ضمن إرسالية هولندية للشرق، وذهب إلى مكة المكرمة ومكث ستة أشهر، وكون صداقة مع أهل السلطة، وادعى الاسلام، وتسمى باسم (الحاج عبد الغفار)، ولما كشف أمره المتستر به طردته السلطات من هناك، ورحل إلى إندونيسيا ليعمل مع الشركات الهولندية المختلفة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي الكبير من جهة، وتوطين المسيحية بإندونيسيا من جهة أخرى، ومن هنا كان هذا المستشرق الهولندي من النماذج التي خدمت وسخرت خدمتها للاستعمار والتنصير، حيث عمل مستشاراً لإدارة المستعمرات الهولندية عام ١٨٩١م[٣].

وممن يعد من غلواء المدرسة الهولندية الاستشراقية المستشرق (R.Dozy) دوزي(١٨٢٠م-١٨٨٣م) من إقليم دويزى الأندلسي[٤]، وتعلم اللغة العربية بدءاً من المرحلة الثانوية حتى حصل على الدكتوراه عام ١٨٨١م وتخصص في جامعة ليدن بالدراسات الشرقية، وعلى الرغم من اطلاعه على التراث والمخطوطات العربية والإسلامية إلا أنه كان من أشد المهاجمين لذلك التراث، حيث غلبه الفكر اللاهوتي والتعصب الديني ولم تشفع نشأته في بيئة الأندلس ذلك، ومؤلفاته من خلال اهتمامه بالمخطوطات، مثل: (تاريخ المسلمين في إسبانيا) من عدة مجلدات[٥].

(١) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٧-١٨.

(٣) سنوك هورخرونيه، وبيتر شوروفان، وكوننجزفيلد، ترجمة: قاسم السامرائي، عالم الكتب، م١٧، العدد ٥، ص٤٣٣-٤٤١.

(٤) حسن حبشي: مقدمة كتاب (المسلمون في الاندلس)، لدوزي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٦ وما بعدها.

(٥) للمزيد انظر عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٨-٢١.

ومن النماذج أيضًا : المستشرق الهولندي فنسنك (١٨٨٢م-١٩٣٩م) الذي تتلمذ على يد المستشرق هوتسمان ودي خويه وسنوكهورخرونيه حيث ترسخ في ذهنه من فكر هؤلاء في استكشاف الشرق وتراثه ، فكان الجمود والتقليدية وتظهر النزعة الاستشراقية ، ونظرته إلى الإسلام والنبي ﷺ في بحثه للدكتوراه عن (محمد واليهود في المدينة) عام ١٩٠٨م ، لا يختلف تناوله في ذلك عن تناول المستشرق الألماني نولدكه ، ومن الرحالة المستشرقين الهولنديين الذين شدوا الرحال إلى الشرق العربي والإسلامي الرحالة الدكتور ليونهارت راوولف من أقدم الرحالة الأوروبيين الذين وفدوا على العراق وإيران في القرن ١٦م ، وهو عالم هولندي من علماء النبات ، وتخرج في جامعة ليدن ، وجاء إلى الشرق عن طريق أحد أقربائه صاحب شركة لإنتاج العقاقير(١) ، وقد وصف بغداد في عام ١٥٧٣م وصفًا تقليديًا في مشاهدات ، إلا أن تلك المشاهدات لا تخلو من النزعة اللاهوتية كفكر والتأثير التوراتي بمصطلحات العهد القديم ، ولا يخلو أسلوب الاستكشاف هذا من سلوك نفسي كامن لدى مستشرقي المدرسة الهولندية عن مثيله في الغرب الأوروبي ، حيث نجد ذلك أيضًا عند الرحالة الهولندي دانيال فان در ميولين (١٨٩٤م-١٩٨٩م) الذي قام برحلته إلى حضرموت لاستكشاف ومعرفة تفاصيل حضرموت الجغرافية والاجتماعية ، نظرًا لكون الكولونيل دانيال فان در ميولين كان قنصلاً هولنديًا في جدة ، فإن رحلته إلى حضرموت الاستكشافية تجمع بين الصفة الرسمية (الدبلوماسية) والعلمية(٢) .

ولم يكن دانيال هو اول من جمع بين المهتمين بل سبقه هورخرونيه -كما أشرنا إليه آنفا- حيث كان بصحبته القنصل الهولندي كرات عند حضوره إلى جدة(٣) ، وقد رافق دانيال مساعده الدكتور الألماني هيرمان فون فيسمان ، حيث استغرقت رحلة

(١) محمد الأسعد : مستشرقون في علم الآثار ، ص٧٩-٨٠ .

(٢) للمزيد انظر : عبد الله سعيد سليمان الجعيدي : حضرموت رؤية هولندية من الدخل- رحلة دانيال فان دير ميولن- ملتقى المؤرخين البحثيين .

(٣) توبياس هوبينات : الاستشراق ماضيًا وحاضرًا ، ترجمة : إيمان بقطاس ، مجلة معالم ، م٢ ، العدد٣ ، عام٢٠١١م ، ص٤٩٤ .

دانيال من المكلا إلى وادي حضرموت والعودة ستة أسابيع[١] ، ونشر تفاصيل رحلته في كتاب بعنوان : (حضرموت : إزاحة النقاب عن غموضها)[٢] ، كما قام نظيره الهولندي فان دي بيرخ بإعداد دراسة مفصلة عن العرب المقيمين في الأرخبيل الهندي وخاصة الحضارمة ، ومن خلال تناول نظرات كل هؤلاء إلى جانب ما تناوله ادلاراون بات أيضًا الذي انخرط في سلك الرهبنة البندكتية في دراساتهم للتراث والمخطوطات ، ورحلاتهم الاستكشافية نجدهم قد التزموا المنهج الأنثروبولوجي بأدواته في تلك الدراسات ، إلى جانب غلبة الأسلوب الأدبي في أدب الرحلات ، كما في رحلة (دانيال فان در ميولين) ، مما أنتج الفكر الشعبوي لدى هؤلاء عند الاستكشاف والتناول التراثي ، مما يعد من قبيل محاربة العرب والإسلام بنزعة العنصرية ، والدس بين رعايا الدولة الإسلامية وبينها للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية من جهة ، وسهولة الاستعمار من جهة أخرى .

وأما عن الشق الثاني ، وهو أسلوب الاستحواذ على التراث والمخطوطات ، فإن هذا الأسلوب اتبعه المستشرقون ، سواء قناصل أو رحالة أو غيرهم ، وقد حازت المدرسة الهولندية قصب السبق في الاستحواذ على المخطوطات وكتب التراث ، فكان الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي ، حيث كانت هولندا تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي ، وعلى الرغم من اهتمام مستشرقي المدرسة الهولندية باللغة العربية ومعاجمها ، وبتحقيق النصوص العربية إلا أن ما يميزها وجود مؤسسة "Brill" التي تولت طباعة الموسوعة الإسلامية في طبعتيها الأولى والثانية ، وقد زخرت هولندا بذخائر غنية ، حيث ضمت نفائس المخطوطات[٣] واحتفظت مكتبة ليدن بها ، ويعد اربانيوس أهم مستشرقي المدرسة الهولندية بل مؤسس النهضة

(١) استغرقت رحلة دانيال فان در ميولن ستة أسابيع بدأت من ٩مايو ، حتى ٢١يونيو لعام ١٩٣١م .

(٢) توبياس هوبينات : الاستشراق ماضيًا وحاضرًا ، ترجمة : إيمان بقطاس ، مجلة معالم ، م٢ ، العدد٣ ، عام ٢٠١١م ، ص٤٩٤-٤٩٥ .

(٣) قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص١٠٣ .

الاستشراقية بعد تأسيس مطبعة بريل ، وقد جاب اربانيوس مناحٍ عديدة لجلب المخطوطات وكتب التراث العربي والإسلامي ، وقد جلب أيضًا المستشرق دوزي أثناء زيارته لألمانيا مخطوط الذخيرة ، لابن بسام الشنتريني من مكتبة جوته الألمانية إلى ليدن ، وانكب على دراسته ، كما قام سكاليجر (Scaliger) بإتقان اللغات الفارسية والآرامية والعربية والعبرية ، وزار الشرق الأوسط ، واستحوذ على مجموعة من المخطوطات ، وعاد بها إلى هولندا ، وقام بترجمتها ونشرها بمطبعة بريل التي تأسست عام ١٦٨٣م بمدينة ليدن ، ومؤسسها اربانيوس كما أشرنا(١) .

وتلك نماذج أوردناها لبيان مدى تسارع مستشرقي هولندا والغرب الأوروبي لاستحواذ - كأسلوب- على نفائس مخطوطات الشرق ، وخاصة العربي والإسلامي .

المبحث الثالث : أضواء على جهود مستشرقي المدرسة الهولندية لتحقيق ونشر التراث العربي والإسلامي "نماذج محققة ومنشورة ، ومدى استفادة العلماء والباحثين من تلك الجهود"

هذا المبحث ينقسم إلى محورين ، هما :

المحور الأول : أضواء على جهود مستشرقي المدرسة الهولندية لتحقيق ونشر التراث العربي والإسلامي ، ونماذج محققة ومنشورة :

١- جهود مستشرقي المدرسة الهولندية : يأتي على رأس هؤلاء من قاموا بجهود فردية أو جهود جماعية كعمل مشترك فيه أكثر من مستشرق من المدرسة الهولندية ومدارس استشراق أخرى ، وهو عمل موسوعي ، فممن قاموا بجهود فردية يأتي على رأسهم المستشرق الهولندي الشهير توماس اربانيوس(١٥٨٤م-١٦٢٤م) والذي أشرنا إليه أنه مؤسس نهضة الاستشراق ومؤسس مطبعة بريل (Brill) عام ١٦٨٣م ، وتعلم اللغة العربية وأتقنها إلى جانب أنه كان من أكبر علماء اليونانية في عصره وموسوعي

(١) قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص١٠٣ .

المعرفة ، وواصل دراساته اللاهوتية ، وقرأ (الأجرومية) و(الكافية) و(العوامل المائة) ، للجرجاني ، وشرع في تحقيق ونشر مجموعة مجهولة المؤلف من الأمثال العربية ، تتألف من مائتين مثل كانت في مخطوط اقتناه فلورنس مربي الملك لويس الثالث عشر فيما بعد[1] .

وقد عرف اربانيوس حقيقة الإسلام على يد تاجر عربي مراكشي يدعى أحمد ابن قاسم الأندلسي ، وسعى بإنشاء كرسي للغة العربية في جامعة ليدن ، وصار أستاذاً لها ، وأصدر كتاباً في النحو العربي في خمسة أبواب ، وعلى الرغم من جهوده في نشر الأمثال المذكورة ، إلا أن كتاباته غلبت عليه التفسيرات الميثولوجية ، حيث ألحق خرافات منسوبة إلى لقمان الحكيم متأثراً بكتابات قبطي مصري مجهول حرر وعدل خرافات ايسوفوس اليوناني ، وهذا التأثير أفقد مصداقية كتابه عن الأمثال[2] ، وقام اربانيوس بمزج اللغتين : العربية ، واللاتينية عند طباعة سورة يوسف مضبوطة في مطبعته عام ١٦١٧م تاريخ يوسف ، مأخوذة من القرآن الكريم الأصل .

ومن إنتاجه في التحقيق تحقيقه للجزء الثاني من تاريخ العالم تأليف المؤرخ القبطي المصري جورجيوس ابن العميد ، المعروف بالمكين (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) ، ويشتمل على تاريخ الحوادث من عهد النبي محمد ﷺ حتى عام ٥٦٨هـ/ ١٢٦٠م ، وقام بترجمته إلى اللاتينية ، وظهرت طبعته بعد وفاته بالنشرة مع الترجمة اللاتينية عام ١٩٢٥م تحت عنوان : تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم إلى الدولة الأتايكية ، تأليف : الشيخ المكين جرجي بن العميد أبي إلياس بن أبي المكارم ابن أبي الطيب[3] ، ومنتخبات من الحماسة ، لأبي تمام متناً وترجمة لاتينية (ليدن

(١) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٧-١٨ .

(٢) عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص ١٨ ، ١١٧ ، يحيى مراد : معجم أسماء المستشرقين ، ص١٦ .

(٣) للمزيد انظر : الاستشراق الهولندي ودوره في حفظ التراث العربي الاسلامي المخطوط ، بيروت : الدار العربية للعلوم- ناشرون (د-ت) .

١٦١٥م-١٦٣٦م)[(١)] ، وإلى جانب هذا الجهود الفردي للمستشرق الهولندي اربانيوس بنماذجه الأدبية والدينية والتاريخية نجد الجهود الجماعي كنماذج للاستشراق الهولندي يأتي على رأسهم ارندجان فنسنك (١٨٨٢م-١٩٣٩م) ، وهو بكتاباته يمثل الشطط فقد ادّعى أن الرسول ﷺ ألف القرآن الكريم تلخيصاً للكتب الدينية والفلسفة التي سبقته ، ويتميز فنسنك بالنزعة العنصرية والتعصب في كتاباته ، كما في كتابه (عقيدة الإسلام) الذي صدر عام ١٩٣٢م ، وقد ترسخ ذلك الفكر الديني الراديكالي نتيجة تتلمذه- كما اشرنا-على يد كل من هوتسمان ودي خويه وسنوكهورخرونيه ، وهم من أعمدة الاستشراق الهولندي ، حيث كانت المدرسة الهولندية أسيرة الفكر الكنسي البابوي الكاثوليكي ، ومع ذلك فقد قام بعمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف ، مستعيناً بذلك بعدد من الباحثين ، وبتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى ، وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ، تحت عنوان : (كنوز السنة) أشرف على طباعته سنوكهورخرونيه في ستة مجلدات ، وله كتاب (العقيدة الإسلامية وتطورها التاريخي) ، وقد اشترك في تأليف دائرة المعارف الإسلامية كعمل جماعي موسوعي طبع في دار ومطبعة بريل بطبعتيها : الأولى ، والثانية[(٢)] .

ومن الجهود الجماعية في العمل الموسوعي اراندونك وان (١٨٨١م-١٩٤٧م) الذي أسهم في دراسات وافرة في دائرة المعارف الإسلامية ، ومن آثاره بحث في المخطوطات السامية ، مكتبة ليدن ١٩٣١م ، والإمامة الزيدية في اليمن (ليدن ١٩١٩م) ، وتاريخ المعتزلة (في ليدن) ، والسحر في الجزيرة العربية) في تكريم براون عام ١٩٢٢م) ، والأخبار المروية عن حاتم طيئ ، بالفارسية والتركية والهندوستانية[(٣)] ،

---

(١) يحيى مراد : معجم اسماء المستشرقين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م ، ص١٦-١٧ .

(٢) موسوعة الاديان- الدرر السنية(مجموعة من العلماء)- المطلب السابع- للمزيد انظر : المبحث الثاني عشر-(نماذج من أسماء المستشرقين) .

(٣) عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١١٧-١١٨ .

وهذا نموذج جمع ما بين الدراسات العربية والإسلامية بلغات شرقية عدة من جهة ودراسات أدبية واجتماعية (عادات وتقاليد في الجزيرة العربية) ومذهبية في اليمن من جهة أخرى مما يجعلنا نقف أمام وضع معرفي تام الغرض منه علميًا ظاهريًا، ولكن الهدف الأساسي هو إحياء النعرات وشبوب المذهبية الدينية، مما يخلق الجدلية حول قضايا لشغل العالم الإسلامي عن قضاياه الحضارية، وممن اشترك في العمل الموسوعي (دائرة المعارف الإسلامية) الطبعة الثانية المستشرق الهولندي جاكوواردنبرج (١٩٣٠م-١٩٩٥م) الذي درس العربية (١٩٥٣م-١٩٥٦م) بجامعتي أمستردام وليدن، واللغات الشرقية في باريس، ودعمته اليونسكو بمنحة لزيارة الدول العربية والإسلامية، فزار إيران ولبنان ومصر والأردن وسوريا والعراق لإجراء بحوث حول الجامعات في العالم العربي والإسلامي ومن دراساته: الطرق الكلاسيكية لدراسة الدين، والإسلام في مرآة الغرب، وواقع الجامعات العربية، في مجلدين، وهكذا نجد أن مستشرقي المدرسة الهولندية لم يكتفوا بالأسلوب الاستخباراتي لمعرفة الشرق العربي والإسلامي التامة، بل جعلوا تقييم الواقع العلمي للجامعات العربية والإسلامية؛ مما خلق معه هدف الاتباعية لواقع الاستشراق الهولندي والغرب الأوروبي، كما لو كان -كما يقول هاملتون جب- إن ثمة مهمة قد ترقى إلى مستوى الرسالة ليتحملها مستشرقون في الغرب[1]، وهي محاولة ربط الفكر العربي والإسلامي بمنهجية الاستشراق من خلال النظرة التحليلية التي تبغي تحليل الفرد العربي والإسلامي من خلال دراسة تراثه ومخطوطاته، وممن كان له باع طويل في العمل الجماعي المستشرق الهولندي دي خويه (١٨٣٦م-١٩٠٠م)، حيث اشترك في تحقيق تاريخ الطبري- صلة تاريخ الطبري ٢٤٤ صفحة ليدن عام ١٣١٩هجرية - وهو غزير الإنتاج مع آخرين، بل تخصص بالدراسات الشرقية، ومن أساتذته دوزي، ومن دراساته للدكتوراه (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب) مأخوذة من كتاب البلدان، لليعقوبي، وقام بتحقيق كتاب فتوح البلدان، للبلاذري، وعمل في جامعة ليدن.

(١) سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، ص٢٥-٢٧.

٢- النماذج المنشورة والمحققة من المخطوطات وكتب التراث العربي والإسلامي بالمدرسة الهولندية : لقد قامت دار ليدن "Leiden" "بريل Birll" بمد جامعات ليدن وأمستردام واوتراخت وغيرها من المعاهد والأكاديميات والمؤسسات العلمية الهولندية بتلك النماذج المحققة والمنشورة ، فنجد المستشرق (سكاليجر) الهولندي الذي كان يتقن اللغات الفارسية والآرامية والعربية والعبرية ، مما أتاح له زيارة الشرق الأوسط ، وعاد بمجموعات من المخطوطات ، فقام بترجمتها ونشرها مع تعليقات ذكما أشرنا سابقًا- منها :

كتاب مختصر البلدان ، لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني ، المعروف بابن الفقيه ، وطبع في مدينة ليدن "Leiden" بمطابع بريل "Birll" عام ١٣٠٢هـ ، ونشرها بلغات عدة : اللاتينية ، والعربية ، والإنجليزية ، والفرنسية .

ومن المخطوطات التي تم تحقيقها ونشرها أيضًا والتي تشتمل على النماذج التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية ، والأوروبية ، والأنثربولوجية ، وغير ذلك عبر العصور :

في مجال التاريخ (استفاد منه علماء) :

- الروضتين في أخبار الدولتين : لأبي شامة شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن(ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م) .

- سيرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (النوادر السلطانية) ، لابن شداد .

- تاريخ ابن خلدون : عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٠م) .

- فتوح مصر وأخبارها : ابن عبد الحكم أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٧م) طبع توروي ليدن "Leiden" سنة ١٩٢٠م .

- معيد النعم ومبيد النقم ، للسبكي ، تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب(ت٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) مطبعة ليدن ١٩٠٨م .

في مجال الجغرافيا (استفاد منه علماء الجغرافيا والطبوغرافيا) :

- مسالك الممالك ، للإصطخري ، إبراهيم بن محمد (ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي) ليدن١٩٢٧م .

- تقويم البلدان : لأبي الفداء الأيوبي ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) ليدن .

- المسالك والممالك ، لابن خرداذبة ، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م) ليدن ١٨٨٩م .

- كتاب البلدان ، لليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) بريل "Birll" ليدن سنة ١٨٩٢م .

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن البشاري ، ليدن سنة ١٨٨٧م .

في مجال الطبيعة والمخلوقات (استفاد منه علماء الطبيعة) :

- عجائب المخلوقات ، للقزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) ، ليدن .

في مجال الاقتصاد (استفاد منه علماء الآثار في مجال المسكوكات وعلماء الاقتصاد) :

- مجموعة رسائل المقريزي ، تقي الدين أحمد (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) .

- شذور العقود في ذكر النقود (ق٩هـ/ ١٥م) ليدن ، وكتاب الأوزان والأكيال (ق٩هـ/ ١٥م) ليدن .

في مجال الاجتماع (استفاد منه علماء العمران البشري) :

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، كاتب الواقدي ، أبي عبد الله محمد بن سعد (ت٣٣٠هـ/ ٨٤٥م) ، ٨ أجزاء طبعة ليدن (١٩٠٥م-١٩٢١م) .

في مجال الأنثروبولوجيا (استفاد منه علماء السلالات) : أنساب العرب ، للسمعاني ، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ، طبعة ليدن ١٩١٦م .

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم-الجزء الأول- طبعة ليدن ١٩٠٩م .

في مجال الأدب والرحلات (استفاد منه علماء الرحلات والمشاهدات) : رحلة ابن جبير : محمد بن أحمد الكتامي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) طبعة ليدن ١٨٥٢م .

في مجال اللغة (استفاد منه علماء اللغة) : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، ليدن .

في مجال الموسوعات (استفاد منه علماء العمل الموسوعي) : دائرة المعارف الإسلامية : مجموعة مستشرقين هولنديين وغيرهم ، طبعة ليدن . وعلى الرغم من النهضة الاستشراقية في الغرب الأوروبي وهولندا لم تكن على قدر ما ذكره المستشرق الألماني (برجستراسر) بقوله : "إن علماء العرب كانوا أكثر تقديراً لقيمة المخطوطات المكتوبة بخط مؤلفيها من علماء الغرب" ، مما يعد انتقاداً سلوكيًا للتحقيق والنشر العلمي للمخطوطات بنظرة أحادية ، ومع ذلك فإن المدرسة الهولندية تضمنت مستشرقين أدركوا قيمة المخطوطات والتراث العربي والإسلامي في غضون القرنين : التاسع عشر ، والعشرين الميلاديين ، حيث صار قدراً من الإدراك العلمي لتلك القيمة ، فما كان من العديد منهم من أنصفوا ذلك التراث ، وكان للمدرسة الهولندية طرقها العلمية في تحقيق ونشر التراث العربي والإسلامي .

٣- طرق دراسة التراث العربي والإسلامي بالاستشراق الهولندي : تلك النماذج التطبيقية في بحثنا هذا نجد أن المدرسة الهولندية قد قامت بنهضة استشراقية لدراسة التراث والمخطوطات ، من خلال إنشاء مطبعة Brill عام ١٦٨٣م من جهة ، وانشاء جامعات ومراكز علمية ومؤسسات تتعاون مع جامعات ومؤسسات الغرب الأوروبي ثم أمريكا ، للوقوف على جلب المخطوطات وكتب التراث للتحقيق

والطباعة والنشر ، ومن أهم المراكز والجامعات الهولندية كطرق لذيوع الاستشراق الهولندي :

١) جامعة ليدن عام ١٥٧٥م ، وبدأت الدراسات الاستشراقية في تلك الجامعة عام ١٥٩٦م بعد ستة عشر عامًا من تأسيسها ، وكان اربانيوس صاحب أول مطبعة بريل أول استاذ للغة العربية بها ، ومن ثم قام الطالب الألماني ليفنتيوس فارنر ألف مخطوطة شرقية آلت جميعها إلى الجامعة بعد وفاته ١٦٦٥م .

بل ممن دعم جامعة ليدن (ثيودور جوينبول) الأرستقراطية الهولندية المعروفة منذ ١٦٢٥م ، ولعب ستة أفراد منها على الأقل أدوارًا مؤثرة للدراسات الإسلامية والشرقية بدءًا من عالم اللاهوت (ثيودور جلنبور) الذي جمع بين تدريس اللغتين : العربية ، والعبرية في جامعة ليدن ، وكانت عائلة (غاواتيير جوينبول) قد تولت القيام بأمانة قاعة المطالعة الشرقية في ليدن ، ومن ثم تبرع جوينبول بأملاكه لإنشاء مؤسسة جوينبول التي هدفت لدراسة اللغة العربية والإسلام(١) .

٢) كليات بجامعة ليدن ، مثل كليتي : الآداب ، واللغات والثقافة ، وكلية اللاهوت التي تضم معهد ليدن لدراسة الأديان برئاسة المستشرق الهولندي (كونتجز فيلد) ، بالإضافة إلى ما تقوم به دار بريل" مطبعة Brill" من الإشراف على طباعة دائرة المعارف الإسلامية(٢) .

٣) أقسام بجامعة ليدن ، منها الأقسام التي تهتم بالدراسات العربية والإسلامية بجامعة ليدن"Leiden" ، قسم تاريخ الأديان ، ودراسة مقارنتها وكلية اللاهوت ، والتي تضم معهد ليدن لدراسة الأديان والتعاون الإندونيسي الهولندي في مجال الدراسات الإسلامية ، وقسمي اللغة والثقافة للشرق الأوسط ، واللغات والثقافة بجنوب شرق

---

(١) للمزيد انظر : حيدر قاسم التميمي : الاستشراق الهولندي ، ودوره في حفظ التراث العربي الإسلامي المخطوط ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، سنة٢٠٢٢م .

(2) Vogel.J.PH: The contribution of Leiden University to Orientals studies (Leiden. E.J. Brill, 1954).

آسيا ، وأقسام الآثار والدراسات الآشورية والمصرية واللغات والثقافة الإسلامية[١] .

٤) معاهد متخصصة ، من أهمها : المعهد الملكي للغات ، المعهد الشرقي لدراسة الشرق والإسلام .

٥) مكتبات الجامعات : مكتبة جامعة ليدن التي ظفرت بنصيب الأسد من الاستحواذ على نفائس ومخطوطات وكتب التراث ، ومكتبة المجمع الملكي بأمستردام .

٦) جامعات هولندية أخرى ، مثل جامعة أمستردام ، وبها مكتبة المجمع الملكي المذكور ، وجامعة أوتراخت ، وعلى الرغم من ذلك فإن كان الاستشراق الهولندي قد قام بعبء كبير مع نظائره في الغرب الأوروبي في نشر وتحقيق التراث والمخطوطات العربية والإسلامية ، إلا أن هذا الاستشراق لم يخل من تبعيته للفلك البابوي الكاثوليكي ، وأنه نوع من التنصيرية والتشكيك بالتلفيق والتزوير ، وتفسيرات لاهوتية ، واستدعاء الاصطلاحات التوراتية .

المحور الثاني : النقد العلمي للاستشراق الهولندي ، ومدى استفادة العلماء والباحثين

١) نقد يختص بالمتن في التراث والمخطوطات : وهو كونه متنًا نصيًا ، أي انصب على النص دون مقارنة بالنصوص الأخرى المتناظرة له في مخطوطات وكتب تراث أخرى ، مما أفقد المنهجية المعرفية (إنتاج معرفي) محقق تحقيقًا كاملاً من جهة ، وعدمية تحييد النظرة والرأي المسبق ، فأتت النتائج ناقصة استنباطًا صدى لنمط نفسي وسلوكي ديني من جهة أخرى ، مع التشكيك والاحتمالية والظنية ؛ لعدم استخدام المنهج الاستقرائي للنصوص في المخطوطات وكتب التراث ، وهذا ما نجده عند المستشرقين : هورخرونيه وفنسنك ودوزي وجويف شاخت الذين تناولوا أيضًا دراساتهم للتراث العربي والإسلامي بفكر سلوكي عنصري ، وغيرهم .

(1) Report,1999 (Annual Report) Leiden Institute for the Study of Religious, Faculty of Theology.

٢) استخدام مصطلحات وتفسيرات ميثولوجية : مثلما حدث لدى ليونهارتراوولف الرحالة الهولندي في تفسيراته الميثولوجية للملاك (إسرافيل) من جهة ، واستخدام تفسيرات لغوية في مسميات الطبوغرافيات من أنهار وبلدان وظواهر عمرانية ، فكان يسمي المساجد بالكنائس مع تفسيرات للغة العربية (الخط الكوفي) على المساجد بأنها كلمات كلدانية- كما أشرنا آنفا .

٣) لم يتسن للمستشرقين تناول صحة المخطوط : من عدم التحقق من أصوليته وتجليده ، وألوان خطوطه ، وأنواعها ومقارنتها من قبل بعضهم ؛ مما يعد إخفاقًا بعلم الباليوجرافيا من جهة ، وعدمية المنهج في ذلك من جهة أخرى ، فعلى الرغم من تعلم ودراسة اللغات العربية والتركية والفارسية ، وغيرها من لغات وثقافات الشرق العربي والإسلامي ، فقد غلب على دراساتهم الفكر الشعبوي على حساب الفكر الإسلامي وعدمية التنظير للتراث العربي والإسلامي من حيث الجهل بمدخلات المجتمعات العربية والإسلامية ؛ مما أدى إلى تفسخ الرؤى العلمية ، وعدم إشراك- إلا لبعض- من المسلمين في الإسهام للنشر ، وما ذلك إلا تحييد الجهد الإسلامي في شتى فروع العلم والفن والمعرفة ، مما جعل الاستشراق عامة موصوف بالنظرة الأحادية[١] في شتى جوانب نشره وتحقيقه ، ونرى ذلك في المعرفة بالآثار ، حيث نجد الفنان والمستشرق الهولندي هولباين -١٤٩٣م-١٥٥٢م قد قلد الخط الكوفي الموجود على السجاد التركي في لوحاته المسماة بسجاد هولباين دون النظر إلى طبيعته ودراسة مكنونه والوقوف على التطور الباليوجرافي لذلك الخط ، وما هو إلا تقليد صرف ، وينطبق ذلك على لوحات الفنان الهولندي - فان ايك ١٣٩٠م/ ١٤٤١م الذي قام برسم لوحات للسجاد التركي و حذا حذوه ولباين في التقليد لذلك السجاد . ومن إيجابيات الاستشراق عامة والاستشراق الهولندي خاصة - تعريف التراث والمخطوطات العربية والإسلامية بنشرها وتحقيقها ، والوقوف على أهميتها وذيوعها عبر اللغات اللاتينية ، ثم العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية ، وغيرها ، وقد استفاد العلماء والباحثون من الجانب الإيجابي مما تم تحقيقه ونشره من

---

(١) جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث : تراث الإسلام ، ترجمة : محمد زهير المهودي ، ص٤٣٤-٤٣٥ .

التراث والمخطوطات ؛ مما أدى إلى انتشار المراكز البحثية والمعاهد وأقسام الدراسات الشرق أوسطية والمكتبات - وما هو إلا نوع من الامتداد الطبيعي والمنطقي لظاهرة الاستشراق الجديدة[١]-.ولكن بالنقد والسعي إلى تطوير مناهج الدراسات الإسلامية ، والتعريف بالتراث العربي والإسلامي ، وتصحيح المفاهيم عن هذا التراث بثوب علمي منهجي جديد ، فأصبح لهم منابرهم للرد على المستشرقين ، وعلى مزاعمهم وظهر مصطلح المشارقة-المشرقيين- ومن ثم انتهى عصر المستشرقين الذين يقولون شيئًا ، فيجيبونهم هؤلاء المشارقة .

❋ - التوصيات :

١- ضرورة توخي الروية لدى الباحثين عند الاستعانة أو الاقتباس من المخطوطات والكتب التراثية المحققة والمنشورة من قبل غالبية المستشرقين ؛ لكون دراساتهم دراسات نصية ممتزجة بتصورات تنم عن عدم إلمامهم بطبيعة مدخلات مجتمعات الشرق العربي والإسلامي .

٢- ضرورة التيقن والتثبت من أصل المخطوط من خلال المعرفة التامة لنوع الخط ، ومدى مطابقته لطرازه وألوان مداد النسخ والتجليد ، وذلك بالمطابقة والمضاهاة بما يعاصره وبنظائره ، والتحقق من سياق النص بالاستقراء .

٣- على الرغم من وجود جهود علماء أفاضوا في تحقيق ونشر مخطوطات وكتب تراث ، وخاصة في مصر متمثلة في دار الكتب المصرية والمعاهد العلمية ، وهو جهد مشكور ، إلا أنه لا بد من التكثيف لدراسات مستفيضة لتكوين منهجية الاستغراب Westernization ؛ للرد على المستشرقين وآرائهم الممتزجة بالعنصرية .

- النتائج

من خلال عرضنا لاحظنا أن مضمون العقلية الاستشراقية -باستثناء البعض- يغلب عليها عند تفسيرات النص المزج بين النزعة العنصرية وعدم الإدراك المنهجي بغياب الأسلوب التحليلي ، مما أفقد جهدهم بالتعريف بالتراث العربي والإسلامي

(١) غسان سلامة : الغرب والمسلمون في كتابين جديدين ، مجلة الفكر العربي ، السنة٢ ، العدد١٤ ، سنة ١٩٨٠ ، ص٢٢٣ .

المصداقية ذ صار جهدهم العلمي بالتشكيك في ثوابت دينية بمثابة جهود تقليدية ، وليس إنتاجًا معرفيًا يستند إلى الاستقراء للنص والتنظير بالاستنباط بمعطيات علمية ، حسبما تقتضيه المدرسة المنهجية الحديثة في تناول العلوم والمعارف .

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر :

- ابن سيده ، أبو الحسن على بن اسماعيل النحوي الأندلسي ، المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) المخصص ، ط ١م ٢ بولاق ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ، (٤اجزاء) ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م .

- الزمخشري : جاد الله أبو القاسم بن عمر ، أساس البلاغة ، جـ ٣ ، القاهرة ١٩٢٣م .

- الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) ، القاموس المحيط ، الطبعة الثالثة ، جـ٣ ، بولاق (٤ أجزاء) ، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م .

- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

ثانيًا- المراجع العربية والمعربة ، والرسائل العلمية والدوريات :

- أحمد رضا (الشيخ) : معجم متن اللغة ، ج٣ .

- حسن حبشي : مقدمة كتاب (المسلمون في الأندلس) ، لدوزي ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .

- حيدر قاسم مطر التميمي : الاستشراق الهولندي ، ودوره في حفظ التراث العربي والإسلامي المخطوط ، بيروت : الدار العربية للعلوم ، ناشرون (د .ت) .

- إدوارد سعيد : الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة : د . محمد عناني ، الطبعة الأولى ، طبعة ١٩٩٥م ، المزيدة ، ٢٠٠٦م .

- جمال الدين فالح الكيلاني : الاستشراق في ضوء فكر القرن الواحد والعشرين ، مراجعة : د . كمال مظهر أحمد ، القاهرة : مكتبة المصطفى للنشر ، ٢٠١١م .

- جوزيف شاخت ، وكليفورد بوزورث : تراث الإسلام ، ترجمة : د . محمد زهير السمهودي ، ود . حسين مؤنس ، ود . إحسان صوفي الحمد ، تعليق وتحقيق : د . شاكر مصطفى ، مراجعة : د . فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة(١١) ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط١ . ١٩٧٨م .

- الدرر السنية : (موسوعة الاديان) ، لمجموعة من العلماء ، المطلب السابع ، المبحث الثاني عشر (نماذج من أسماء أشهر المستشرقين) ، دائرة معارف نيوجيرسي .

- سعدون الساموك : الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ، الأردن : دار المناهج للنشر والتوزيع ، ط١ . ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

- صالح محمد حسن : الاستشراق مفهومه وآثاره(رسالة ماجستير) ، كلية الشريعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ،١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م .

- طارق حسن بركات : المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ، مصر : مكتبة النافذة ، ٢٠٠٦م .

- عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٣ . ١٩٦٣م .

- عبد الله سعيد سليمان الجعيدي : حضرموت رؤية هولندية من الداخل- رحلة(دانيال فان درميولين)- ملتقى المؤرخين اليمنيين .

- غسان سلامة : الغرب والمسلمون في كتابين جديدين ، مجلة الفكر العربي ، السنة الثانية ، العدد الرابع عشر ، ١٩٨٠م .

- فالح عبد الجبار : الاستشراق والإسلام ، إعداد وترجمة : فالح عبد الجبار ، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ، بيروت : بيسان للنشر والتوزيع ، ط٣ . ٢٠١١م .

- قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، السعودية : منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨١م .

- كريستيان سنوك ، وهورخرونيه ، وبيتر شوروفان ، وكوننجز فيلد ، ترجمة : قاسم السامرائي ، عالم الكتب ، م١٧ ، العدد الخامس .

- كريم البستاني : المنجد في اللغة والأعلام (د .ت) .

- مكسيم رودنسون : الصورة الصوفية والدراسات العربية ، تراث الإسلام (جوزيف شاخت وآخرون) .

- منير البعلبكي : المورد(قاموس إنجليزي) .

- نجيب العقيقي : المستشرقون ، م١ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م .

- هوبينات (توبياس) :الاستشراق ماضيًا وحاضرًا ، ترجمة : إيمان بقطاش ، مجلة معالم ، م٢ ، العدد الثالث ،٢٠١١م .

- يحيى مراد : معجم أسماء المستشرقين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م .

ثالثًا- المراجع الأجنبية :

-Grand La Rousse encyclopédique,VII.

-Oxford, Advanced Learner Dictionary.

-Report,1999(Annual Report) Leiden Institute for the Study of Religious, Faculty of Theology.

-The Countries to the East and Sea of the Mediterranean, New Jersey Knowledge Circle.

-Vogel J.PH: The contribution of Leiden University to Orientals studies (Leiden. E.J. Brill, 1954).

المستشرق الألماني فستنفيلد (Wüstenfeld) وجهوده في نشر النصوص الجغرافية والتاريخية العربية (١٨٠٨-١٨٩٩م)

د . محمود السعيد عبد المنعم السيد

دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

من كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة قناة السويس

مستخلص

هذه الورقة البحثية تسلط الضوء على مستشرق ألماني من أهم المستشرقين الألمان وهو المستشرق الألماني فستنفيلد (Wüstenfeld) ، والذي كان له دور كبير في نشر العديد المصادر التاريخية العربية ، فقد ساهم بنشره لهذه المصادر التاريخية العربية بالتعريف بالتراث العربي الإسلامي في أوروبا ، وتركز هذه الدراسة على جهود هذا المستشرق الألماني والتعريف بأبرز الدراسات التي قام بنشرها عن المصادر التاريخية العربية ، بالإضافة إلى أن هذا المستشرق الألماني لم يكتفِ كذلك بنشر بعض النصوص التاريخية العربية ، بل قام بعمل بعض الدراسات والبحوث عن التراث التاريخي العربي الإسلامي ، ونظراً لأهمية هذه الدراسات والبحوث التي قام بها ، فقد تم ترجمة بعض هذه البحوث والدراسات من لغتها الأصلية التي كتبت بها إلى اللغة العربية .

وقد قمت بتقسيم هذه الورقة البحثية لعدة محاور تتمثل في الآتي : تمهيد ، وأربعة محاور .

التمهيد : ويشمل نقطتين .

النقطة الأولى : التعريف بمصطلح الاستشراق والمستشرقين .

النقطة الثانية : نبذة موجزة عن مدرسة الاستشراق الألماني .

المحور الأول : نبذة بسيطة عن المستشرق الألماني فستنفيلد (Wüstenfeld) .

أولًا – التعريف به ومولده وتعليمه ، والمناصب التي حصل عليها .

ثانيًا – الأسباب التي دفعته إلى الاهتمام بالتراث التاريخي الإسلامي العربي .

المحور الثاني : جهوده في نشر النصوص التاريخية العربية (عناوين هذه النصوص التاريخية ، وسنوات نشرها) .

المحور الثالث : أبرز الدراسات والبحوث التي نشرها عن التراث التاريخي العربي الإسلامي .

المحور الرابع : منهج المستشرق فستنفيلد (Wüstenfeld) من خلال بحوثه وأعماله في نشر النصوص التاريخية العربية .

الخاتمة وأهم نتائج هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية : المستشرقون الألمان ، والمستشرق فستنفيلد (Wüstenfeld) ، والتراث التاريخي العربي الإسلامي .



صورة المستشرق الألماني فستنفيلد (Wüstenfeld)

التمهيد : في البداية وقبل الحديث عن المستشرق الألماني فستنفيلد لا بد من معرفة ما هو معنى الاستشراق ، ومن هم المستشرقين .

النقطة الأولى : مفهوم الاستشراق ومصطلح المستشرقين .

مفهوم الاستشراق : يعرف الاستشراق بأنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي ، العلم الذي يهتم بكافة العلوم والفنون بالشرق ، سواء كانت جغرافية أو تاريخ أو حضارة ، وكذلك شتى أنواع الفنون(١) .

مصطلح المستشرقين / المستشرقون : هم علماء من الغرب (منهم المؤرخون والفلاسفة والعلماء) الذين اهتموا في دراساتهم بالحضارة الإسلامية والتراث العربي الإسلامي الشرقي(٢) . هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ، ولن يستطيع الوصول إلى نتائج سليمة في هذا (المجال / الشأن) ما لم يتقن لغات الشرق(٣) .

النقطة الثانية : نبذة موجزة عن مدرسة الاستشراق الألماني

يشار إلى أن بدايات نشوء الاستشراق الألماني كانت في القرن الثامن عشر الميلادي ، وتم ترجمة بعض المقامات من الشعر ، ولكن هذه البدايات لم تكن بالشكل العلمي المتعارف عليه حاليًا لنشر النصوص ، ولكنها جهود تحسب لبعض

---

(١) ضياء الدين ساردار : الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية ، ترجمة : فخري صالح ، أبو ظبي : دار كلمة ، ٢٠١٢م ، ص٢١ ؛ زينب عبد الحسن الزهيري : تاريخ الاستشراق الألماني في القرنين : التاسع عشر ، والعشرين ، دراسة تاريخية ، بحث منشور بمجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بابل ، العراق ، العدد التاسع ، لعام ٢٠١٢م ، ص١٥٤ .

(٢) عبد الجبار ناجي : الاستشراق في التاريخ (الإشكاليات ، الدوافع ، التوجهات ، الاهتمامات) ، بيروت : المركز الأكاديمي للأبحاث ، ٢٠١٣ ، ص٣٣ .

(٣) محمد عوني عبد الرؤوف : جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤م ، ص٣ .

الأشخاص الذين قاموا بها ؛ وبذلك تكون بدايات لتكوين مدرسة للاستشراق الألماني ، وتبدأ في ظهور عدد من المستشرقين الكبار الذين يقومون فيما بعد بعمل إسهامات لنشر التراث العربي الإسلامي في أوروبا(١) .

المحور الأول

نبذة بسيطة عن المستشرق الألماني فستنفيلد (**Wüstenfeld**)

أولاً- التعريف به ومولده وتعليمه ، والمناصب التي حصل عليها

ولد في ٣١ يوليو من عام ١٨٠٨م في موندن بمقاطعة هانوفر الألمانية ، وقد تلقى تعليمه في مدارس هذه البلدة حتى سن السابعة عشرة من عمره ، ثم انتقل بعد ذلك إلى المدرسة الثانوية في مقاطعة هانوفر ، وفي عام ١٨٢٧م انتقل إلى مرحلة التعليم الجامعي والتحق بجامعة جوتنجن ، وقد تعلم على يد أستاذ يدعى إيفالد ، وهو عالم شهير في ذلك الوقت باللغات السامية ، وقد تخصص فستنفيلد في تخصص اللغات الشرقية ، وبسبب حبه الشديد للغات الشرقية قرر أن يسافر إلى مدينة برلين عام ١٨٢٩م ، وقام بحضور محاضرات لاثنين من العلماء الكبار في ذلك الوقت ، هما فلكن ، وبوب ، وفي العام التالي وهو عام ١٨٣٠م عاد إلى مدينة جوتنجن ، وحصل منها على درجة الدكتوراه ، وذلك في ١٨ فبراير عام ١٨٣١م ، وقد عين محاضراً بجامعة جوتنجن ، وألقى دروسًا في العهد القديم والكتابات السامية ، وقد كان تخصصه العلمي هو اللغة العربية بشكل خاص(٢) .

---

(١) رضوان السيد : المستشرقون الألمان ، النشوء والتأثير والمصائر ، بيروت : دار المدار الإسلامي ، عام ٢٠١٦ ، ص١٦ .

(٢) عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٦٠م ، ص٥٨ ؛ نجيب العقيقي : المستشرقون ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م ، ص ٧١٣ ؛ عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، بيروت : دار العلم للملايين ، عام ١٩٩٣م ، ص٣٩٩ .

أما عن الدرجات والمناصب التي حصل عليها ، فهي كالآتي :

محاضر بجامعة جوتنجن الألمانية بعد حصوله على درجة الدكتوراه عام ١٨٣١ ، ثم أمين مكتبة جامعة جوتنجن الألمانية في عام ١٨٣٨م ، وبعد ذلك تمت ترقيته إلى درجة ومنصب أستاذ مساعد عام ١٨٤٢م ، وقد حصل على منصب أستاذ كرسي عام ١٨٥٣م[١] .

ثانيًا- الأسباب التي دفعته إلى الاهتمام بالتراث التاريخي الإسلامي العربي

حبه وعشقه لمجال دراسة اللغة العربية ، فقد استغرق أكثر من ستين عامًا للدراسة والبحث في هذا المجال ، كذلك رغبته في معرفة واستكشاف ما قام به مؤرخو وجغرافيو العرب في مجال الكتابة التاريخية والجغرافية ، ودراسة ما قاموا بتأليفه من مصنفات قيمة ، كما أن توافر المخطوطات التاريخية والجغرافية العربية بمكتبات الجامعات الأوربية في ذلك الوقت كان دافعًا لديه أيضًا لمحاولة فهم ومعرفة ما تحتويه هذه المصنفات ، ومن شدة حبه بالمخطوطات العربية كان يقوم بنسخ للمخطوطات النادرة[٢] ومن الملاحظ كذلك رغبته في نشر هذا التراث التاريخي والجغرافي وإظهاره للغرب في أوروبا ، كذلك تدوين وتخليد اسمه ضمن مشاهير محققي التراث التاريخي العربي الإسلامي[٣] .

---

(١) عبد الحميد صالح حمدان : نفس المرجع ، ص٥٨ ؛ عبد الرحمن بدوي : نفس المرجع ، ص٣٩٩ .

(٢) علي بن إبراهيم النملة : مآلات المخطوطات العربية بين المكتبات الغربية والمستشرقين من التوجه إلى العزوف ، بيروت : دار بيسان للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢م ، ص١٥٧ .

(٣) يوسف جبرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، وفيه بحث واف ، القاهرة : مطبعة الشباب ، عام ١٩٢٩م ، ص٤١ .

المحور الثاني
جهوده في نشر النصوص التاريخية العربية
عناوين هذه النصوص التاريخية ، وسنوات نشرها

استطاع هذا المستشرق أن يقوم بنشر العديد من النصوص ، منها ما هو تاريخي ، وجغرافي ، ومنها ما هو متعلق بالقبائل والأنساب ، والسيرة النبوية ، والطبقات ، وكتب الوفيات .

وفيما يلي أهم النشرات للنصوص العربية التي قام بنشرها ، وكذلك مكان النشر وسنة النشر .

نشر كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد)[١] من تأليف القزويني ، نشره عام ١٨٤٨م بمدينة جوتنجن الألمانية ، وقد نشر معه كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)[٢] لنفس المؤلف ، ولكنه اعتقد في البداية أنهما كتابًا واحدًا فنشرهما معًا ، ثم تدارك هذا الأمر بعد ذلك ونشرهما بشكل مستقل[٣] .

كتاب (معجم البلدان)[٤] ، لياقوت الحموي ، وهو كتاب جغرافي نشر على عدة سنوات ما بين عامي (١٨٦٦-١٨٧٣م) في مدينة لايبزج الألمانية ، فقد صدر المجلد

- (١) زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد .

Ferdinand Wüstenfeld : Zakarija ben Muhammed ben Mahmud El-Kazwini's, Dieterichschen Buchhandlung, Göttingen, 1848.

(٢) زكريا بن محمد القزويني : عجائب المخلوقات .

Ferdinand Wüstenfeld : Aus dem kosmographischen Werke des Zakerija ben Muhammed el Cazwini

(٣) عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص٦٠ ؛ عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٤٠٠ .

(٤) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) : معجم البلدان .

Ferdinand Wüstenfeld ; Yaqut's geographisches Wörterbuch.

الأول منه عام ١٨٦٦ ، والمجلد الثاني في عام ١٨٦٧ ، والمجلد الثالث منه في عام ١٨٦٨ ، والمجلد الرابع منه في عام ١٨٦٩م ، والمجلد الخامس الجزء التاسع في عام ١٨٧٣م ، والمجلد الخامس الجزء العاشر في عام ١٨٧٠م[١] .

وذلك بالاعتماد على عدة مخطوطات من عدة أماكن مختلفة ، من برلين في ألمانيا ، وسان بطرسبيرج في روسيا ، وباريس بفرنسا ، ولندن وأكسفورد بالمملكة المتحدة .

نشر (كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب)[٢] ، للمقريزي ، وقد نشره عام ١٨٤٧م في جوتنجن ، وتحدث فيه عن القبائل العربية التي هاجرت إلى مصر[٣] .

نشر كتاب (مختلف القبائل ومؤتلفها)[٤] ، لمؤلفه أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، وهو كتاب يتحدث عن اتفاق واختلاف أسماء القبائل العربية (هو كتاب يتناول في مجمله القبائل العربية) ، نشره في جوتنجن عام ١٨٥٠م بالاعتماد على مخطوطة من مجموعة ليدن بهولندا[٥] .

---

(١) علي بن إبراهيم الحمد : المستشرقون ونشر التراث ، المملكة العربية السعودية : مكتبة الملك فهد الوطنية ، عام ٢٠٠٣م ، ص٩١ .

(٢) المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م) : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .

Ferdinand Wüstenfeld ; El-Macrizi 's Abhandlung über die in Aegypten eingewanderten arabischen Stämme, Göttingen, 1847.

(٣) محمد عوني عبد الرؤوف : جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ، ص٣٨٤ .

(٤) أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٨٦٠م) : مختلف القبائل ومؤتلفها .

Ferdinand Wüstenfeld :Gleichheit und Verschiedendenheit der arabischen Stämmenamen / Muammed ben abib , Göttingen ,1850.

(٥) محمد عوني عبد الرؤوف : جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ، ص٣٨٤ .

نشر كتاب (المشترك وضعًا والمفترق صقعًا)[١] ، لياقوت الحموي ، وهو كتاب يتحدث عن البلاد والأماكن المتفقة في أسمائها ، ولكنها مختلفة في أماكنها ، وقد قام فستنفيلد بالاستعانة بمخطوطة من فيينا بالنمسا ومخطوطة أخرى من ليدن بهولندا ، وقد نشره عام ١٨٤٦م بجوتنجن[٢] .

نشر كتاب (معجم ما استعجم)[٣] ، للبكري ، وهو معجم يتحدث عن البلدان والمواضع والأماكن ، ولكن على شكل وترتيب حروف المعجم ، وقد نشره في عام ١٨٧٦ م في جوتنجن[٤] .

نشر كتاب (الاشتقاق)[٥] ، لابن دريد الأزدي ، وهو كتاب يتحدث عن الأنساب ، ومشاهير الأعلام والشخصيات المعروفة بالمجتمع ، ومشاهير القبائل وبطونها ، وقد نشره في عام ١٨٥٤م في جوتنجن ، وذلك بالاعتماد على مخطوطة ليدن في هولندا[٦] .

نشر كتاب بعنوان : (سجلات مكة ، أخبار مكة ، مجموع تواريخ مكة)[٧] ، وهو

---

(١) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) : المشترك وضعًا والمفترق صقعًا .

Ferdinand Wüstenfeld : Jacut's Moschtarik : das ist : Lexicon geographischer Homonyme, , Göttingen ,1846.

(٢) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٤٠٠ .

(٣) عبد الله بن عبد العزيز البكري .ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) : معجم ما استعجم .

Ferdinand Wüstenfeld : Das geographische Wörterbuch des Abu Obaid Abdallah ben Abd al-Azîz el-Bekri, Göttingen,1876.

(٤) يوسف جبرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، وفيه بحث واف ، ص٤٢ .

(٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) : الاشتقاق .

Ferdinand Wüstenfeld : Abu Bekr Muhammed ben el-Hasan Ibn Doreid"s genealogisch- etymologisches Handbuch, Göttingen,1854.

(٦) علي بن إبراهيم الحمد : المستشرقون ونشر التراث ، ص ٩٠ .

(7) Ferdinand Wüstenfeld : Die Chroniken der Stadt Mekka,

كتاب قيم يحتوي نصوصاً لمصادر تاريخية عربية عن أخبار مدينة مكة ، ويقع في أربعة مجلدات ، وقد نشر في لايبزج بين عامي (١٨٥٧-١٨٦١م) وقد جمع فستنفيلد في هذا المجموع مؤلفات لمجموعة من المؤرخين الكبار الذين صنفوا كتباً عن تاريخ مكة[١] .

وقد نشر كتاب (تاريخ المدينة)[٢] ، للسمهودي ، وهو كتاب يتحدث عن تاريخ المدينة المنورة ، وقد نشره في عام ١٨٦٠م في جوتنجن[٣] .

قام بنشر بعض الأجزاء من كتاب (وفيات الأعيان)[٤] ، لابن خلكان ، وهو كتاب يتحدث عن تواريخ وفاة المشاهير والأعلام في التاريخ ، وهذا الكتاب من ضمن كتب الوفيات في التراث العربي الإسلامي ، وقد نشره في عام ١٨٣٧م في جوتنجن[٥] .

نشر كتاب (المعارف)[٦] ، لابن قتيبة ، هو كتاب تاريخي هام ، ويعتبر من أبرز

(١) المؤرخون هم : (الأزرقي ، وكتابه : اخبار مكة ، والفاكهي المكي ، وكتابه : أخبار مكة ، وابن ظهيرة : أخبار مكة ، وقطب الدين النهروالي المكي الحنفي ، وكتابه : تاريخ مكة والبيت الحرام) . تشتمل الأجزاء من الأول للثالث على نصوص مؤلفات هؤلاء المؤرخين ، أما المجلد الرابع فيشتمل على ترجمة ألمانية للمجلدات الثلاثة الأولى . انظر : عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص٦٠ ؛ محمود محمد الطناحى : مدخل إلى نشر التراث العربي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤م ، ص٢٥٦- ص٢٥٧ .

(٢) السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٦م) : تاريخ المدينة .

Ferdinand Wüstenfeld ;Geschichte der Stadt Medina, Göttingen,1860

(٣) عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص٦٠ .

(٤) ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان .

Ferdinand Wüstenfeld : Ibn Challikani vitae illustrium virorum : Ein Beytrag zur Geschichte der Arabischen Literatur, Göttingen, 1837.

(٥) محمد عوني عبد الرؤوف : جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ، ص٣٨٤ .

(٦) ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) : المعارف .

Ferdinand Wüstenfeld ;Ibn Coteiba's Handbuch der Geschichte, Göttingen,1850.

المصادر التاريخية العربية ، وقد نشر عام ١٨٥٠م في جوتنجن ، بالاعتماد على عدة مخطوطات من مكتبة فيينا بالنمسا ، ومكتبة جوته الألمانية ، ومكتبة ليدن بهولندا[١] .

ونشر كذلك كتاب (السيرة النبوية)[٢] ، لابن إسحاق ، برواية عبد الملك بن هشام ، وهو أحد أهم مصادر السيرة النبوية (سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) ، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه اعتمد في هذه النشرة على عدة مخطوطات من عدة مكتبات مختلفة ، مثل مكتبة برلين ، ولايبزج ، وجوته الألمانية ، وليدن الهولندية ، وقد نشره في جوتنجن عام ١٨٥٨م[٣] .

نشر كذلك كتاب (مقتل الحسين بن علي)[٤] ، لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي ، وهو مؤرخ شيعي يتحدث في هذا الكتاب عن مقتل الحسين ، وقد نشر في مدينة جوتنجن الألمانية عام ١٨٨٣م[٥] .

المحور الثالث

أهم الدراسات والبحوث التي نشرها عن التراث التاريخي العربي الإسلامي

استطاع المستشرق فستنفيلد أن يقوم بنشر العديد من الدراسات والبحوث في مجال التاريخ والحضارة العربية الإسلامية وفيما يلي عرض لهذه العناوين :

(١) نجيب العقيقي : المستشرقون ، ص٧١٤ .

(٢) ابن إسحاق (توفي تقريبًا ١٥١هـ / ٧٦٨م ، وبراوية عبد الملك بن هشام المتوفي تقريبا ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) : السيرة النبوية .

Ferdinand Wüstenfeld : Das Leben Muhammed.Nach Muhammed Ibn Ishak Bearbeitet von Abd el-Malik Ibn Hischam, Göttingen,1858.

(٣) علي بن إبراهيم الحمد : المستشرقون ونشر التراث ، ص٩٠ .

(٤) أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٤م) : مقتل الحسين بن علي .

(5) Ferdinand Wüstenfeld : Der Tod des usein ben Alí und die Rache Ein historischer Roman aus dem Arabischen, Göttingen,1883.

- تضاريس مدينة دمشق من بعض المخطوطات العربية في مكتبة جوته الألمانية) (هذه الدراسة نشرت عام ١٨٤٢م ، في مجلة الجغرافيا المقارنة في مدينة (ماجدبورج الألمانية) العدد الاول (الصفحات من ص١٦٤-١٧٥) باللغة الألمانية ، وقد تناول في هذه الدراسة جغرافيا مدينة دمشق ، وذلك بالاستناد لبعض المخطوطات الموجودة داخل مكتبة جوته الألمانية[١] .

- نشر كتاب بعنوان : خطوات في الجغرافيا العربية الإسلامية من عام (١٨٤٢-١٨٧٩م)[٢] .

هذا الكتاب يتحدث بداخله عن أهم ما تم نشره من مخطوطات ودراسات وبحوث متعلقة بمصنفات في علم الجغرافيا العربية خلال الفترة ما بين عامي (١٨٤٢-١٨٧٩م) باللغة الألمانية .

- كتاب بعنوان : (كتابات في التاريخ العربي الإسلامي)[٣] ، هذا الكتاب يقع في مجلدين ، وكتب باللغة الألمانية ، فالمجلد الأول يغطى أعوام (١٨٣٧-١٨٨٠م) ويقع في ٩٦٣ صفحة ، أما المجلد الثاني يغطى الفترة من (١٨٨٠-١٨٩١م) ويقع في ٩٥٥ صفحة ، هذا الكتاب يتحدث عن اهم المصنفات في التاريخ العربي الإسلامي خلال هذه السنوات ، وما تم نشره منها مع بعض التعقيبات .

- دراسة بعنوان : وصف المقريزي لمستشفيات القاهرة ، مترجم من مخطوطات عربية في مكتبة (جوته وفيينا)[٤] ، وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة تاريخ الطب وأدبه (بريسلاو) العدد الأول عام ١٨٤٦م (الصفحات من ص ٢٨- ص٣٩) ، وفي

(1) Ferdinand Wüstenfeld : Zur topographie von Damascus aus einigen arabischen handschriften zu Gotha, Zeitschrift für verleichende Erdkunde (Magdeburg) 1., 1842, pp. 164-175.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid, pp.28-39.

هذه الدراسة يتحدث عن وصف مشاهدات المقريزي للمستشفيات الموجودة بمدينة القاهرة من خلال بعض المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة جوته بألمانيا ومكتبة فيينا بالنمسا .

- دراسة بعنوان : البحرين واليمامة كما وصفها الجغرافيون العرب[١] ، وقد نشرت هذه الدراسة في عام ١٨٧٣م في جوتنجن في الجمعية الملكية للعلوم ، العدد ١٨ (الصفحات من ص١٧٣-ص٢٢٢) ، وهذه الدراسة تسلط الضوء على البحرين ومنطقة اليمامة ، من خلال وصف الجغرافيين العرب ، كما قام بوضع خريطة في هذه الدراسة .

- دراسة بعنوان : جغرافيا مصر وإدارتها ، للقلقشندي من خلال النص العربي)[٢] ، نشرت هذه الدراسة في عام ١٨٧٩م في جوتنجن في الجمعية الملكية للعلوم ، العدد ٢٥ (هذه الدراسة في حدود ٢٢٥ صفحة) ، هذه الدراسة تسلط الضوء على جغرافيا مصر والنظام الإداري بها ، وذلك من خلال كتاب القلقشندي والنصوص العربية الموجودة بداخله .

- دراسة بعنوان : وصف مساحة المدينة المنورة لدى الجغرافيين العرب[٣] ، نشرت هذه الدراسة في عام ١٨٧٣م في جوتنجن في الجمعية الملكية للعلوم ، العدد

(1) Ferdinand Wüstenfeld : Bahrein und Jemâma. Nach Arabischen Geographen beschrieben, Abhanlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen 18. 1873. Historisch-philologische Classe. pp. 173-222 ; 1 map.

(2) Ferdinand Wüstenfeld : Calcaschandi's Geographie und Verwaltung von Ägypten : aus dem Arabischen, Abhandlungen der Historisch-Philologische Classe der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, 25, 1879, 225 p.

(3) Ferdinand Wüstenfeld : Das gebiet von Medina nach arabischen geographen beschieben, Abhandlungen der königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen 16. 1873, Historisch-Philologische Classe s. 93-177.

١٦ (الصفحات من ص٩٣-ص١٧٧) ، وهذه الدراسة من الدراسات القيمة التي تسلط الضوء على وصف المدينة المنورة من خلال كتابات الجغرافيين العرب (وهذه الدراسة في حدود ٨٥ صفحة) .

- دراسة بعنوان : جيش محمد (ﷺ) من خلال النص العربي[١] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٨٠م في جوتنجن في الجمعية الملكية للعلوم ، العدد ٢٦ ، وهي في حدود (١١٢صفحة) ، وتتحدث عن جيش الرسول محمد ﷺ من خلال المعلومات الموجودة داخل النصوص التاريخية العربية .

- دراسة بعنوان : الرحالة ياقوت الحموي كاتبًا وباحثًا [٢] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٦٥م في جوتنجن في الجمعية الملكية للعلوم ، وتقع هذه الدراسة في حدود (١١ صفحة) ، وتتناول معلومات عن الرحالة ياقوت الحموي ، وتتحدث عن أنه كان يدون ما يشاهده في رحلاته ، فقد كان بذلك كاتبًا وباحثاً عن المعلومة ، بالرغم من كونها دراسة قليلة في عدد صفحاتها لكنها تتميز بأنها محددة في الأهداف التي تتحدث عنها .

- دراسة بعنوان : تاريخ مصر القديم بحسب حكايات العرب المملوءة بالسحر والعجائب[٣] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٦٢م في جوتنجن ، وتقع هذه الدراسة

(1) Ferdinand Wüstenfeld : Das Heerwesen der Muhammedaner nach dem Arabischen, Abhandlungen der Historich-Philologischen Classe der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttuingen, 26, 1880, Nr.1, VII.

(2) Ferdinand Wüstenfeld : Der Reisende Yacut als Schriftsteller und Gelehrter, Nachrichten von der Könglichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen und der Georg-Augusts-Universität zu Göttingen 1865, pp. 233-243.

(3) Ferdinand Wüstenfeld : Die älteste aegyptische geschichte nach den zauber, und wunderezählungen der araber, Orient und Occident insbesondere in ihren gegenseitigen beziehungen. Göttingen. 1. 1862. pp. 326-340.

في حدود ١٦ صفحة ، تتحدث عن ما تم تسجيله من قبل المؤرخين العرب عن تاريخ مصر القديم ، وخاصة الذي يحتوي بعض القصص عن السحر والعجائب .

- دراسة بعنوان : وصف الأرض عند العرب[١] ، هذه الدراسة نشرت في مدينة ماجدبورج الألمانية ، وتحديداً في مجلة الجغرافيا المقارنة ، العدد الأول عام ١٨٤٢م ، وهذه الدراسة تقع في حوالى ٤٤ صفحة ، وتتحدث عن جهود العرب ، ووصفهم لطبيعة الأرض داخل مصنفاتهم العلمية .

- دراسة عن الطريق من البصرة إلى مكة ، بناءً على مصادر عربية[٢] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٧١م ، في جوتنجن الألمانية ، وتحديداً في الجمعية الملكية للعلوم ، العدد ١٦ ، وتقع في حدود ٤٣ صفحة ، هذه الدراسة تتناول الطريق من مدينة البصرة في العراق إلى مدينة مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية ، بلاد الحرمين الشريفين ، وصف لهذا الطريق من خلال عدة مصادر عربية جغرافية .

- قام بنشر دراسة بعنوان : ترجمة الأعمال العربية إلى اللغة اللاتينية منذ القرن الحادي عشر الميلادي[٣] ، وتم نشر هذا الكتاب في مدينة جوتنجن الألمانية عام ١٨٧٧م ، في الجمعية الملكية للعلوم في العدد ٢٢ ، وتقع في (١٣٣صفحة) ، وتضم أهم الأعمال والمصنفات العربية التي تم ترجمتها إلى اللغة اللاتينية منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وبالتالي مكن الغرب الأوربي من التعرف على الفنون والعلوم

(1) Ferdinand Wüstenfeld : Die Literatur der Erdbeschreibung bei den Arabern Zeitschrift für vergleichende Erdkunde (Magdeburg) 1, 1842, pp.24-67.

(2) Ferdinand Wüstenfeld : Die strasse von Basra nach Mekka mit der landschaft dharija nach arabischen quellen bearbeitet, Abhandlungen der königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen 16. 1871, Historisch-Philologische Classe s. 47-89.

(3) Ferdinand Wüstenfeld : Die Übersetzungen arabischer Werke in das Lateinische, Seit dem XI. Jahrhundert, Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, 22, 1877, 133p.

الشرقية ؛ لأنها أصبحت متاحة لهم باللغة اللاتينية .

- دراسة بعنوان : الطرق الرئيسة المؤدية إلى خارج المدينة المنورة ، كما وصفها الكتاب العرب[١] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٦٢م في جوتنجن الألمانية ، في الجمعية الملكية للعلوم ، العدد ٦٣ ، وتقع في حدود (٥٠ صفحة) ، وتتحدث هذه الدراسة عن الطرق الرئيسة التي تخرج من المدينة المنورة كما يصفها الكتاب العرب .

- كتاب بعنوان : منطقة المدينة المنورة كما وصفها الجغرافيون العرب[٢] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٧٣م في جوتنجن الألمانية ، وتقع في عدد ٨٦ صفحة ، وتتحدث عن وصف لمنطقة المدينة المنورة من خلال كتابات ومصنفات الجغرافيين العرب .

- كتاب بعنوان : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها ، بما يوافقها من السنين الميلادية بلياليها وشهورها[٣] وقد كتبه باللغة الألمانية عام ١٨٥٣م في مدينة جوتنجن الألمانية ، وهو كتاب يقارن بالتواريخ الهجرية وما يوافقها بالميلادية ، وذلك لتكون التواريخ المتعلقة بالحوادث الشهيرة متوافقة بالسنوات الهجرية والميلادية .

- دراسة بعنوان : تاريخ الأقباط من مخطوطات مكتبة جوته الألمانية وفيينا بالنمسا ، مع الترجمة والملاحظات[٤] ، هذه الدراسة نشرت عام ١٨٤٥م في مدينة

---

(1) Ferdinand Wüstenfeld : Die von Madina auslaufenden hauptstrassen. nach arabischen schriftstellern beschrieben, Abhandlungen der königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen 11. 1862-63, Historisch-Philologische Classe s. 3-52.

(2) Ferdinand Wüstenfeld : Das Gebuet von Madina Nash Arabischen Georaphen beschrieben Gönttingen: Dieterichshen Buchhandlung, 1873.

(٣) مما تجدر الإشارة إليه أن هذا الكتاب تم ترجمته إلى اللغة العربية عن طريق د . عبد المنعم ماجد ، ود . عبد المحسن رمضان ، ونشر بمكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٨٠م .

(4) Ferdinand Wüstenfeld : Geschichte der Copten : aus den Hanschriften zu Gotha und Wien mit Übersetzung und Anmerkungen, Göttingen : Dieterichschen Buchhandlung,1845.

جوتنجن الألمانية ، وتقع في حدود ١١٣ صفحة ، بالاعتماد على مخطوطات من ألمانيا والنمسا ، هذه الدراسة تتحدث عن النصوص العربية داخل المصادر التاريخية العربية المتعلقة بالأقباط .

- دراسة بعنوان : رحلات وأسفار ياقوت الحموي موصوفة من قاموسه الجغرافي[١] ، نشرت في عام ١٨٦٤م في مدينة لايبزج ، في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية ، العدد ١٨ ، عدد الصفحات لهذه الدراسة ٩٧ صفحة ، هذه الدراسة تتحدث عن رحلات ياقوت الحموي التي قام بها للبلدان والأقاليم ، وذلك من خلال معجمه الجغرافي .

- دراسة بعنوان : المخطوطات القبطية العربية الملكية من خلال مكتبة الجامعة[٢] ، هذه الدراسة نشرت في عام ١٨٧٨من خلال جامعة جوتنجن الألمانية ، وتقع في ٤٥ صفحة ، وتتحدث عن المخطوطات القبطية العربية المحفوظة بمكتبة جامعة جوتنجن .

---

(1) Ferdinand Wüstenfeld : Yacut's Reisen, aus Seinem Geographischen Wörterbuche Beschrieben,Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (Leipzig) 18. 1864, pp. 397-493.

(2) Ferdinand Wüstenfeld : Königliche Gesellschaft der Wissenschaften : Coptisch-Arabische Handschriften der Königl. Universitäts-Bibliothek, Universität zu Göttingen,1878.

المحور الرابع

منهج المستشرق فستنفيلد (Wüstenfeld)

من خلال بحوثه وأعماله في نشر النصوص التاريخية العربية

من خلال الاطلاع على نشرات المستشرق فستنفيلد والبحوث والدراسات والأعمال التي قدمها للتراث العربي الإسلامي ، وتحديداً النصوص التاريخية والجغرافية أمكن التعرف على منهجه وأسلوبه في النشر لهذه النصوص في عدة نقاط كالآتي :

- الاستناد إلى عدة مخطوطات أثناء عمل النشرات للنصوص ، وقد أمكن مشاهدة ذلك الأمر من خلال عرضنا للنصوص التي تم نشرها .

فمن أشهر المكتبات التي تم الاستعانة بالمخطوطات منها : مكتبة جامعة جوتنجن الألمانية ، ومكتبة جوته الألمانية ، ومكتبة فيينا بالنمسا ، ومكتبة جامعة ليدن بهولندا ، وغيرها من مكتبات الجامعات الأوروبية .

- كان يقوم بترجمة بعض الكتب إلى الألمانية ، بالإضافة إلى نشر النص العربي .

- كان يقوم بوضع مقدمة للتعريف بالكاتب والمؤلف لهذا الكتاب الذي يقوم بنشره .

- كان يقوم بوضع بعض التعليقات والملاحظات داخل النشرات التي يقوم بتحقيقها ونشرها .

- كان يقوم قبل نشره للنص بالمخطوطات التي تم الاعتماد عليها .

- كان يوضح الاختلافات بين نسخ المخطوطات التي اعتمد عليها أثناء نشره للكتاب أو النص .

- تنوعت نشراته ما بين التاريخ والجغرافيا ، والقبائل والأنساب ، والسيرة النبوية ، والطبقات والوفيات .

- كان يقوم بتحليل بعض المصنفات ، وكان يستخرج منها بعض الموضوعات ؛ لكي يقوم بدراستها ونشرها في شكل بحوث ، كما شاهدنا في عناوين أبحاثه وأعماله .

- كان يقوم بالتركيز في بحوثه وأعماله على العديد من المدن ، مثل : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والبحرين ، واليمامة ، ومصر ، والبصرة ، ودمشق . ربما كان اهتمامه بهذه المدن ؛ لارتباطها بالأحداث التاريخية الكبرى وتأثيرها في العديد من الأحداث على مر التاريخ الإسلامي .

- كان يقوم بنسخ الكتب بخط يده (وقد كان خطه جميلاً ومقروءاً وواضحًا)[1] .

- أسلوبه كان سهلًا وبسيطًا ، وخاليًا من التعقيد ، يتسم بالوضوح في توصيل الفكرة للقارئ .

- تنوع اهتمامه بالكتاب العرب على ، سبيل المثال : حقق مصنفًا للمقريزي ، ونشر بحثه عنه كذلك وهو مؤرخ كبير ، واهتم كذلك بياقوت الحموي الرحالة والجغرافي الكبير ، فنشر مصنفاته : معجم البلدان ، والمشترك وضعًا والمفترق صقعا ، وكذلك قام بعمل دراسات أخرى عن شخصية ياقوت والرحلات التي قام بها ؛ بالتالي أراد أن يوصل فكرة محددة عن هؤلاء المؤرخين والجغرافيين أنهم على درجة كبيرة من الأهمية .

- اهتم بالطرق في بحوثه ودراساته ، فقام بنشر العديد من الدراسات عن الطرق وأماكن الخروج من البلدان ، ربما كان هدفه من ذلك الأمر إظهار أهمية هذه الطرق في مجال التجارة .

---

(١) يوسف جبرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، وفيه بحث واف ، ص٤١ .

- أول من زود نشراته بفهارس مفصلة للتسهيل على الباحثين للبحث عن شخصيات أو مدن إلخ ، دون عناء كبير ، كذلك قام ببذل جهود كبيرة في تحقيق أسماء الاعلام والاماكن ، وإرجاع هذه النقول إلى مصادرها الأصلية ، بالتالي كان يتمتع بالأمانة العلمية عند النقل من المصادر(١) .

النقد الموجه إليه :

- عندما قام بنشر كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) ، نشر معه كذلك كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) ؛ لأنه اعتقد في بادئ الأمر أنه كتاب واحد ؛ لأن المؤلف هو القزويني ، لكنه حينما تدارك هذا الأمر قام بنشرهما بعد ذلك في نشرات مختلفة ومنفصلة ، فهذا الأمر يحسب له .

وفاته :

توفي المستشرق فستنفيلد في عام ١٨٩٩م في مدينة هانوفر الألمانية ، وقضى ما يقرب من ستين عامًا في البحث والدراسة ، حتى أنه قد فقد بصره قبل وفاته وفي أواخر أيامه(٢) .

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٥م ، ٢/ ٧٨ .

(٢) يحيى مراد : معجم اسماء المستشرقين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م ، ص٨١٦ .

الخاتمة ، وأهم النتائج والتوصيات

يتضح مما سبق تنوع نشرات المستشرق فستنفيلد بين كتب التاريخ ، والجغرافيا ، والأنساب ، والقبائل ، والوفيات ، والسيرة النبوية ، وتواريخ المدن ؛ بالتالي أصبح لديه معرفة علمية كبيرة بشتى الفنون والعلوم والمعارف العربية المتعلقة بالشرق الإسلامي ، وهذا الأمر قد مكنه من أن يقوم بتأليف دراسات وبحوث أخرى متعلقة ومرتبطة بالتاريخ والتراث العربي الإسلامي ، هذه الدراسات تعتبر من الدراسات المميزة بكونها نواة لبداية الدراسات والبحوث في مجال التراث العربي الإسلامي ، كما أن هذه الدراسات تتميز بالجدية وذات قيمة علمية كبيرة .

استطاع إيصال الفنون والعلوم والمعارف العربية إلى أوروبا ، وذلك من خلال ترجمته للعديد من النصوص العربية إلى اللغة الألمانية واللاتينية ؛ فأصبح بذلك الغرب على معرفة ودراية بهذه العلوم والفنون والمعارف ؛ لأنها أصبحت متاحة لديهم باللغة التي يستطيعون من خلالها الاطلاع عليها .

استطاع أن يؤسس مدرسة علمية كبيرة في مجال نشر النصوص العربية وتحقيقها ؛ وبالتالي فتح الباب لكثير من الباحثين والمستشرقين من بعده لكى يقوموا بتكملة هذه المسيرة .

استطاع وضع اسمه ضمن كبار المستشرقين وذلك ؛ لأنه قام بتحقيق ونشر وتأليف عدد كبير من النصوص التراثية التاريخية العربية .

اهتم بالرحالة والجغرافيين العرب ؛ وذلك للتعرف على البلدان العربية وأهم المدن الرئيسة في هذه البلدان والممالك الكبيرة ، وأهم المسالك والطرق المؤدية إليها ؛ وذلك لمعرفة طرق التجارة .

وضع نواة لبدايات علم النشر العلمي للنصوص وتحقيق النشرات ، فقد قام بالحصول على أكثر من نسخة للمخطوط الذي ينوي تحقيقه ، وكذلك قام بتوضيح

مكان هذه النسخ وأرقام حفظها ، ووضح كذلك الاختلافات بين النسخ التي اعتمد عليها ، كما أنه أعطى نبذة ومعلومات عن مؤلف هذا المصنف وأعطى مقدمة عن الكتاب الذي ينوي نشره وتحقيقه ، وكذلك أشار إلى بعض الملاحظات المتعلقة بالمصنف الذي يقوم بنشره ، ومن الجدير بالذكر أن كل هذه الامور هي من أساسيات علم النشر النقدي للنصوص في الوقت الحالي ؛ بالتالي يكون هو من الأشخاص الذين وضع حجر الأساس لعلم نشر النصوص العربية .

كذلك حرصه الشديد على نشر عدد كبير من النصوص في وقت لم تكن الأمور متاحة بالشكل الذي نراه اليوم ، فقد كان يسافر من بلد لآخر ومن إقليم لآخر للحصول على نسخ من المخطوط الذي يرغب في نشره ، وهذا يدل على حبه وتعلقه بالتراث العربي الإسلامي .

التوصيات

أوصي الباحثين بأن يسلكوا مسلك هذا المستشرق في الاهتمام بالعلم والثقافة والقراءة ، وكذلك أرجو من بعض الباحثين المهتمين بالتراث العربي الإسلامي أن يقوموا بترجمة البحوث والدراسات التي قام بتأليفها باللغة الألمانية ، والتي لم يتم ترجمتها حتى الآن .

ملاحق الدراسة

وتشتمل على جدول بأهم نشرات النصوص التي تم تحقيقها

م	اسم المصنف	اسم المؤلف	التصنيف	مكان النشر	سنة النشر
1	وفيات الاعيان	ابن خلكان	الوفيات	جوتنجن ألمانيا	1837م
2	البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب	المقريزي	القبائل العربية	جوتنجن ألمانيا	1845م
3	المشترك وضعا و فترقها	ياقوت الحموي	البلدان	جوتنجن ألمانيا	1846م
4	آثار البلاد واخبار العباد	القزويني	البلدان	جوتنجن ألمانيا	1848م
5	عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات	القزويني	في العلوم والمعارف	جوتنجن ألمانيا	1848م
6	المعارف	لابن قتيبة	تاريخي	جوتنجن ألمانيا	1850
7	مختلف القبائل ومؤتلفها	ابى جعفر محمد بن حبيب البغدادي	القبائل العربية	جوتنجن ألمانيا	1850م
8	الاشتقاق	لابن دريد الأزدي	قبائل / انساب	جوتنجن ألمانيا	1854م
9	السيرة النبوية في جزأين	لابن اسحاق، براوية ابن هشام	السيرة النبوية	جوتنجن ألمانيا	1858م 1860م
10	المدينة	للسمهودي	تاريخ المدينة المنورة	جوتنجن ألمانيا	1860م
11	سجلات مكة أو مجموعة تواريخ مكة مج1 أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار مج2 المنتقى في أخبار أم القرى شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام الجامع اللطيف في فضائل مكة، وبناء البيت الشريف مج 3 الإعلام بأعلام بيت الله الحرام	مج1 الأزرقي مج2 الفاكهي / تقي الدين الفاسي لابن ظهيرة مج3 النهروالي	مجموعة تواريخ مكة المكرمة	لايبزج ألمانيا	1858م 1860م -
12	معجم البلدان	ياقوت الحموي	البلدان	لايبزج ألمانيا	مج1 1866م مج2 1867م مج3 1868م مج4 1869م مج5 ج9 1873م مج5 ج9 1870م
13	معجم ما استعجم	البكري	البلدان	جوتنجن ألمانيا	1876م
14	مقتل الحسين بن علي	لأبي مخنف لوط ابن يحيى الأزدي	تاريخ / وفيات	جوتنجن ألمانيا	1883م

قائمة المصادر والمراجع العربية والاجنبية

أولًا - قائمة المصادر العربية .

* البغدادي : مختلف القبائل ومؤتلفها ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٥٠م .
* البكري : معجم ما استعجم ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٧٦م .
* ابن خلكان :.وفيات الاعيان ، جوتنجن ، ألمانيا ،١٨٣٧م .
* ابن دريد : الاشتقاق ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٥٤م .
* ابن الأزرقي : أخبار مكة ، وما جاء فيها من الآثار ، لايبزج ، ألمانيا .
* السمهودي : المدينة ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٦٠م .
* ابن ظهيرة : الجامع اللطيف في فضائل مكة وبناء البيت الشريف ، لايبزج ، ألمانيا .
* الفاسى : شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، لايبزج ، ألمانيا .
* الفاكهي : المنتقى في أخبار أم القرى ، لايبزج ، ألمانيا .
* ابن قتيبة : المعارف ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٥٠م .
* القزويني :
- آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٤٨م .
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٤٨م .
* أبو مخنف : مقتل الحسين بن علي ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٨٣م .
* النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، لايبزج ، ألمانيا .
* المقريزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٤٥م .
* ابن هشام : السيرة النبوية ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٥٨م .
* ياقوت الحموي :
- المشترك وضعًا والمفترق صنعًا ، جوتنجن ، ألمانيا ، ١٨٤٦م .
- معجم البلدان ، لايبزج ، ألمانيا ، (١٨٦٦-١٨٧٣م) .

قائمة المراجع العربية :

* زينب عبد الحسن الزهيري : تاريخ الاستشراق الألماني في القرنين : التاسع عشر ، والعشرين ، دراسة تاريخية ، بحث منشور بمجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة

بابل ، العراق ، العدد التاسع ، لعام ٢٠١٢م .
* ضياء الدين ساردار : الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية ، ترجمة : فخري صالح ، أبو ظبي : دار كلمة ، ٢٠١٢م .
* عبد الجبار ناجي : الاستشراق في التاريخ (الإشكاليات ، الدوافع ، التوجهات ، الاهتمامات) ، بيروت : المركز الأكاديمي للأبحاث ، ٢٠١٣ .
* عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٦٠م .
* عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، بيروت : دار العلم للملايين ، عام ١٩٩٣م .
* عبد المنعم ماجد ، وعبد المحسن طه رمضان : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠م .
* علي بن إبراهيم الحمد : المستشرقون ونشر التراث ، المملكة العربية السعودية : مكتبة الملك فهد الوطنية ، عام ٢٠٠٣م .
* علي بن إبراهيم النملة : مآلات المخطوطات العربية بين المكتبات الغربية والمستشرقين من التوجه إلى العزوف ، بيروت : دار بيسان للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢م .
* محمد عوني عبد الرؤوف : جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤م .
* محمود محمد الطناحي : مدخل إلى نشر التراث العربي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤م .
* نجيب العقيقي : المستشرقون ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م .
* يحيى مراد : معجم اسماء المستشرقين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م .
* يوسف جبرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، وفيه بحث واف ، القاهرة : مطبعة الشباب ، عام ١٩٢٩م .

المستشرق الهولندي دي خويه (De Geoje)
وجهوده في نشر النصوص العربية (١٨٣٦-١٩٠٩م)

أ . وفاء إبراهيم محمود

باحثة دكتوراه في الوثائق العربية والتراث العربي الإسلامي

بكلية السياحة والفنادق ، جامعة المنيا

المقدمة



إن هذا البحث يسلط الضوء على مستشرق هولندي من أهم المستشرقين الهولنديين ، وهو المستشرق الهولندي دي خويه ، والذي كان له دور كبير في نشر العديد من نصوص التراثية العربية ، فقد ساهم بنشره لهذه النصوص العربية بالتعريف بالتراث العربي الإسلامي في أوروبا ، وتركز هذه الدراسة على جهود هذا المستشرق الهولندي والتعريف بأبرز الدراسات التي قام بنشرها عن المصادر العربية ، بالإضافة إلى أن هذا المستشرق الهولندي لم يكتف كنشث بنشر بعض النصوص التراثية العربية ، بل قام بعمل بعض الدراسات والبحوث عن التراث العربي الإسلامي ، ونظراً لأهمية هذه الدراسات والبحوث التي قام بها . فقد تم ترجمة بعض هذه البحوث والدراسات من لغتها الأصلية التي كتبت بها إلى اللغة العربية .

أسباب اختيار الموضوع :

* أهمية المصادر التاريخية والجغرافية القديمة .
* بداية ظهور النشرات النقدية لهذه المصادر القديمة . وتطورها على أيدي المستشرقين .
* أهمية الجهود التي قام بها المستشرق دي خويه من بحوث وترجمة ونشرات نقدية لمصادر مهمة .

* معنى الاستشراق

هو ظاهرة محددة بدراسة علوم المسلمين من غير المسلمين ، بغض النظر عن الوجهه التي ينطلق منها المستشرق ، سواء أتى من الغرب أو من الشرق ، وفى أوروبا أطلق مصطلح مستشرق على المختصين في دراسة اللغات والثقافات الشرقية قديمًا وحديثًا ، والاستشراق في تعريف آخر هو كل من يقوم بدراسة الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه[(١)] ، وقد أخذ هذا المصطلح مفهومًا ارتبط بالكتابة عن الإسلام والمسلمين من منطلقات لم تكن إيجابية عن المسلمين والإسلام .

وقد أسهم الاستشراق إسهامًا جيدًا في خدمة التراث ، مهما حاول بعض الباحثين والمفكرين التقليل من هذه الإسهامات . فقد عمل على حفظ المخطوطات وتصنيفها وتحقيقها ونشرها ، وعمل بعض الأبحاث والدراسات والترجمات حولها ، وقد اختلف الباحثون على نشأة الاستشراق ، إلا أنهم يتفقون على أن نشأة الاستشراق بدأت منذ بداية الفتح الإسلامي لأوروبا[(٢)] .

مفهوم التراث

قد أخذ التراث العربي الإسلامي وجهتين ، فهو تراث عربي ؛ لأنه كتب بالعربية ابتداءً أو نقلًا عن السريانية والفارسية والهندية واليونانية وغيرها ، فلغة هذا التراث عربيه بالدرجة الأولى . وهو تراث إسلامي ؛ لأنه يعبر عن الفكر الإسلامي ، وينطلق من المنطلقات الإسلامية ، ويخدم الثقافة الإسلامية ، وقام ونشأ بين المسلمين .

---

(١) سعيد إدوارد : الاستشراق(المعرفة ، السلطة ، الإنشاء) ، ترجمة : كمال أبو الديب ، بيروت ، ط٢ . ص٨٣ .

(٢) علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة في كتابات المستشرقين الهولنديين «دي خويه نموذجًا» بغداد : الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ٢٠١٠م ، ص٥ ، رسالة ماجستير .

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور :

المحور الأول : ويشتمل على نبذة بسيطة عن المستشرق الهولندي دي خويه .

* أولًا- التعريف به ، ومولده وتعليمه .
* ثانيًا- الأسباب التي دفعت هذا المستشرق إلى الاهتمام بالنصوص التراثية العربية الإسلامية .

المحور الثاني : جهوده في نشر النصوص التاريخية العربية (عناوين هذه النصوص ، وسنوات نشرها) .

المحور الثالث : منهج المستشرق الهولندي دي خويه من خلال نشره لبعض النصوص التراثية العربية .

الخاتمة وأهم النتائج الدراسة .

أهم المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية :

المستشرقون الهولنديون ، والمستشرق الهولندي دي خويه ، ونصوص التراث العربي الإسلامي .

تمهيد

مع بدء النهوض الحضاري العربي الإسلامي وتوسعه ظهرت المؤلفات الجغرافية العربية وتطورت لتقوم في كل فترة بالتوثيق الجغرافي والبلداني ، ولعل أهميتها تعود إلى أنها عكست بصورة ما ذلك الواقع التاريخي وأحيانًا بتفصيلاته ، بقي التراث العربي الجغرافي مخطوطًا ومحفوظًا في المكتبات إلى أن صدرت طبعاته الاستشراقية بالتفاني والاهتمام من قبل المستشرق الهولنديدي خويه (١٨٣٦-١٩٠٩) في سلسلة المكتبة الجغرافية العربية في عشرة أجزاء ، صدرت ما بين عامي (١٨٧٠-١٨٩٤) معتمدًا فيها على مخطوطات مكتبة ليدن الشهيرة .

* المحور الأول : نبذه عن المستشرق دي خويه

* المستشرق دي خويه (١٨٣٦- ١٩٠٩م)

* أولًا- التعريف به ، ومولده وتعليمه

هو مستشرق هولندي كبير[١] ، ولد في قرية درووريب (في مقاطعة فريسلند شمالي هولندا) في ٩ أغسطس عام ١٨٣٦م ، والتحق بجامعة ليدن عام ١٨٥٤م ، وتخصص في الدراسات الشرقية ، وتتلمذ على أيدي أستاذه رينهرت دوزى ويونبول[٢] .

* حصل على الدكتوراه[٣] في الآداب والفلسفة عام ١٨٦٠م في ليدن ، وكان عنوان رسالته (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذة من كتاب البلدان لليعقوبي)[٤] .

* وقد عين مساعداً أميناً لمجموعة فارنر في مكتبة جامعة ليدن عام ١٨٥٩م

* ثم عين أستاذاً مساعداً عام ١٨٦٦م ، عين مترجماً للغات الشرقية ، ووكل إلية تنظيم مخطوطاتها والكشف عن كنوزها في مكتبة ليدن ، وقد عثر على مجموعة كبيرة من المخطوطات التي لم ينتبه لها أحد ، فاستعان ببعض المستشرقين على نشرها واسماها (مكتبة الجغرافيين العرب) .

---

(١) علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة في كتابات المستشرقين ، ص٢١٥ .

(٢) (دوزي) ولد عام ١٨٢٠م ، في ليدن من أسرة فرنسية محبة للاستشراق ، تعلم مبادئ العربية في منزله ، ثم درسها في جامعة ليدن ، وفى عام ١٨٤٥م تزوج من هولندية ، توفي عام ١٨٨٣م ، علي بن إبراهيم الحمد النملة ، المستشرقون ونشر التراث ، الرياض : موسوعة الدراسات الاستشراقية ، ٢٠٠٣م ، ص ٧٥ .

(٣) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٣ . ١٩٩٣م ، ص٢٣٠ .

(٤) اليعقوبي ، نموذج من الكتابات الشرقية في وصف ، المغرب مأخوذة من كتاب البلدان ، نشرة : دي خويه ، رسالة دكتوراه ، ليدن ، ١٨٦٠م .

* ثم عين أستاذًا للعربية فِي جامعة ليدن ، ومن أعماله أنه أنشأ مؤسسة لمساعدة طلاب اللغة العربية ، سميت (مؤسسة دي خويه) ، وقد اشتهر باطلاعه الواسع على تاريخ العرب ، وتضلُّعه في فلسفتهم ، وبعده عن أي خطأ في جميع أبحاثه ، وقد انتخب في مجامع علمية كثيرة .

* وتم ترقيته إلى أستاذ ذي كرسي في جامعة ليدن عام ١٨٦٩م .

* ولما بلغ السبعين من عمره أحيل إلى التقاعد عام ١٩٠٦م ، لكنه بقي أمينا لمجموعة فارنر

* وتوفي في ١٧ مايو عام ١٩٠٩م في مدينة ليدن .

ثانيًا- الأسباب التي دفعته إلى الاهتمام بالنصوص التراثية العربية الإسلامية

١ . حبه لمجال التراث العربي واللغة العربية .

٢ . أنه عين مترجمًا للغات الشرقية ، ووكل إليه تنظيم مخطوطاتها والكشف عن كنوزها في مكتبة ليدن بهولندا ، فعثر على كثير من المخطوطات التي لم يكن انتبه إليها المستشرقون ، فاستعان ببعضهم على نشرها في مجموعة أسماها (مكتبة الجغرافيين العرب) .

٣ . أسس مؤسسة سميت (مؤسسة دي خويه) لمساعدة طلاب اللغة العربية .

٤ . وجوده في هذه المناصب والأماكن الموجود بها المخطوطات جعلته مطلع بشكل واسع على تاريخ العرب ، وتضلع في اللغة العربية ، ويظهر ذلك في حيادتيه في أبحاثه .

المحور الثاني : جهوده في نشر النصوص التاريخية العربية (عناوين هذه النصوص ، وسنوات نشرها)

أولًا- في ميدان التاريخ العربي

* قام بتحقيق كتاب[١] (فتوح البلدان)[٢] ، للبلاذري ، فحقق نصه العربي ونشره في ثلاثة أجزاء ، في ليدن عام (١٨٦٣-١٨٦٦م) ، وزوّده بمعجم ثمين جداً وبفهارس مفيدة ، فقدم بهذا العمل فائدة عظيمة للباحثين في تاريخ صدر الإسلام ، ومؤلف الكتاب الأصلي هو الإمام أحمد بن يحي بن جابر البلاذري ، فارسي الأصل ، لكنه كان مقربًا من الخلفاء العباسيين : المتوكل ، والمعتز ، والمستعين ، وكانت لديه فرصه كبيرة للاطلاع على المصادر الرسمية وغير الرسمية ، وقد قسم كتابه بحسب الأماكن الجغرافية ، واهتم بأحوال الخراج في كل منطقة ، وتكلم عن فتح المسلمين لها .

* نشر قسم من كتاب[٣] (العيون والحدائق في أخبار الحقائق) عام ١٨٦٥م ، لمؤلف مجهول غالبًا من القرن الخامس أو السادس الهجري ، ومنها نسخة محفوظة في مكتبة ليدن ، تتناول تاريخ الخلفاء ابتداءً من الوليد بن عبد الملك حتى المعتصم (أي من عام ٨٦هـ / ٧٠٥م إلى عام ٢٢٧هـ / ٨٤٢م) ، فقام دي خويه بنشر أخبار خلافة عمر الثاني (بن عبد العزيز) ويزيد الثاني وهشام[٤] .

* وفي عام ١٨٦٩م قام دي خويه بنشر كل ما تبقىّ لنا من كتاب (العيون والحدائق في أخبار الحقائق) ، ويتضمن الجزء الثالث من (تجارب الأمم) ، تأليف : ابن مسكويه المتوفى (عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ، واشترك معه في الجزء الأول دي يونج .

---

(١) عبد الرحيم صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولي ، ص١٢٦ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، نشر دي خويه ، ليدن ، ١٨٦٦ .

(٣) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٢٣١ .

(٤) دي خويه : أخبار خلافة عمر الثاني ويزيد الثاني وهشام ، ليدن ، بريل ، ١٨٦٤م .

* ونشر (تجارب الأمم) ، لابن مسكويه[١] ، في ليدن ما بين سنتي ١٩٠٩ - ١٩١٢ .

* ومن أعظم أعمال دي خويه إشرافه ومشاركته في تحقيق[٢](تاريخ الطبري)[٣] المتوفى عام (٣١٠هـ/ ٩٢٣م) ، فقد وضع الخطة لتحقيق هذا المصدر العظيم في التاريخ الإسلامي ، ونسق العمل بين مجموعة من أهم المستشرقين ، وقام بمراجعة عمل هؤلاء المستشرقين ، وقام بإجراء تصحيحات عديدة فيها ، وفى النهاية قام بعمل مجلدين يشتملان على المقدمة ، ومعجم ، وتصحيحات عديدة وفهارس ، وصدر العمل كله في ١٣ مجلداً أصلياً ، ومجلدين ، وملحقين ، في ليدن (من عام ١٨٧٩م حتى عام ١٩٠١م) ، في ثلاث سلاسل .

* مختارات من كتاب الخراج[٤] وصنعة الكتابة ، لأبي فرج قدامة بن جعفر ، ليدن ، يعرض لنظام البريد والجباية والإدارة . نشر دي جوية مقطوعات منه في المجلد السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، ١٨٨٩م .

* وأصدر جزءاً من تاريخ مكة ، للأزرقي ، وذلك في لاي بزيغ سنة ١٨٥٨ .

* نشر أخبار تاريخ الخليفة[٥] (عمر الثاني بن العزيز) (ويزيد الثاني) (وهشام ابن عبد الملك) عام ١٨٦٥م .

ثانياً- في ميدان الجغرافيا

---

(١) ابن مسكويه : نشره دي خويه ، ليدن ، ١٩٠٩-١٩١٢م .

(٢) علي بن إبراهيم الحمد النملة : المستشرقين ونشر التراث ، الرياض : موسوعة الدراسات الاستشراقية ، ط١ . ٢٠٠٣م ، ص٧٦ .

(٣) تاريخ الطبري : نشره دي خويه ، ليدن ، بريل ،١٨٩٧م .

(٤) علي بن إبراهيم الحمد النملة : المستشرقين ونشر التراث ، ص٧٦ .

(٥) علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة في كتابات المستشرقين الهولنديين ، ص٢٢٤ .

* نشر دي خويه القسم الخاص بالمغرب والأندلس في كتاب[١] (روجار) ، للإدريسي[٢] ، بالاشتراك مع أستاذه رينهرت دوزى ، فقاما بتحقيق النص العربي ، وألحقا به ترجمة فرنسية مع تعليقات ومعجم عام١٨٦٦م .

* قام بوضع تقاويم للتاريخ والجغرافيا الشرقيين في ثلاثة مجلدات في ليدن سنة ١٨٦٢ ، كما أصدر كتاب (المذكرات الشرقية التاريخية والجغرافية) عالج فيه قضايا تاريخية .

* قسم من (نزهة المشتاق) ، للإدريسي ، ليدن ، ١٨٦٦م ، مع دوزى .

* إنجازه العظيم في ميدان الجغرافيا عند العرب ، هو تحقيقه ونشره لمجموعة فريدة من كتب الجغرافيا ، سماها باسم (مكتبة الجغرافيين العرب)[٣] في ثمانية مجلدات[٤] ، في ليدن ، (من عام ١٨٧٠م إلى عام ١٨٩٤م) وهم :

١- المجلد الأول :

(المسالك والممالك) ، للإصطخري[٥] ، هو تحرير جديد لكتاب أقدم كتبه أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (المتوفى ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) ، كانت الخرائط أهم ما فيه ، وجاء الإصطخري ، وصحح الكثير من الأخطاء التي وردت في كتاب البلخي ، وكتب دي خويه مقالًا عن العلاقة بين البلخي والإصطخري ، بعنوان : (مشكلة الإصطخري والبلخي)[٦].

(١) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٢٣١ .
(٢) الإدريسي : روجار ، نشره : دي خويه ودوزى ، باريس ،١٨٦٦م .
(٣) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٢٣٢ .
(٤) دي خويه : مكتبة الجغرافيين العرب ،ليدن ، ١٨٧٠م-١٨٩٤م .
(٥) الإصطخري : المسالك والممالك ، نشره : دي خويه ، لادن ،١٨٧٠م .
(٦) دي خويه : مشكلة الإصطخري والبلخي ، زدماج ،١٨٧١م .

٢- المجلد الثاني

(المسالك والممالك)[١] فقد قام ابن حوقل الجغرافي الأندلسي والرحالة الكبير وكتب تحريراً آخر لكتاب البلخي مستفيداً من أسفاره العديدة عام ١٨٧٣م ، في ليدن .

٣- المجلد الثالث

(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)[٢] ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، الذي استفاد من كتب الجغرافيين السابقين ، واعتمد على معرفته بشؤون العالم الإسلامي ، وكتب منه تحريراً أول ، وبعد ذلك بثلاث سنوات توسع فيه ، واستطاع أيضًا دي خويه أن يستخرج من مخطوطات هذا الكتاب ، وهي رديئة للغاية ، نصًا سليمًا قدر الإمكان .

٤- المجلد الرابع

يحتوي الفهارس ، ومعجم ، وإضافات عديده ، وتصحيحات للمجلدات الثلاثة الأولى .

٥- المجلد الخامس

(كتاب البلدان)[٣] تأليف : أبى بكر أحمد بن محمد بن إسحق بن الفقيه الهمداني (توفي ٢٩٠هـ / ٩٣٠م) ، ويتحدث فيه عن أخلاق الشعوب الأخرى ، ولم يتبق لنا إلا مختصر نشره دي خويه .

٦- المجلد السادس

يحتوي كتابين[٤] ، هما :

---

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك ، نشره : دي خويه ، ليدن ، ١٨٧٣م .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، نشره : دي خويه ،

(٣) الهمداني : البلدان ، نشره : دي خويه ، ليدن ،١٨٨٥م

(٤) ابن خرداذبة ، قدامة بن جعفر : المسالك والممالك ، وكتاب الخراج ، نشره : دي خويه ، ليدن ، ١٨٨٩م .

(المسالك والممالك) ، لابن خرداذبة .

مختصر (كتاب الخراج) ، لقدامة بن جعفر .

٧- المجلد السابع

ويحتوي كتابين ، هما : كتاب (الأعلاق النفيسة)[١] ، لأبي علي أحمد بن عمر رسته (عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري) ، ولم يبق منه إلا الجزء السابع ، وهو الجزء الذي نشره دي خويه ، وفيه مقدمة عن الكرة السماوية والكرة الأرضية ، ومنها إلى وصف المدن والبلدان .

(كتاب البلدان)[٢] ، لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي ، والكتابان تم نشرهما عام ١٨٩٢م في ليدن .

٨- المجلد الثامن

وهو الأخير كتاب (التنبيه والإشراف)[٣] ، للمسعودي ، مع فهارس ومعجم للمجلدين : السابع ، والثامن ، وقد ألفه المسعودي في عام ٩٦٥م ، وقد عثر دي خويه على مخطوط ثالث لكتاب

(التنبيه والإشراف)[٤] ، وكتب عنه مقالًا عام ١٩٠٢م .

* قد نشر وليم رايت المستشرق الإنجليزي عام ١٨٥٢م (رحلة ابن جبير) ، أبي الحسين محمد بن أحمد الكناني ، وهي رحلة بالغة في الأهمية ، خاصة تاريخ صقلية ، وما يتعلق بالحج إلى مكة في عهد الحروب الصليبية ، ونفدت هذه الطبعة ، فقام دي خويه بإعادة طبع النص[٥] كما نشره وليم رايت ، مع بعض التصحيحات ، وذلك في (سلسلة جب التذكارية) عام ١٩٠٧م .

---

(١) أبو علي أحمد بن عمر رسته : الأعلاق النفيسة ، نشره : دي خويه ، ليدن ١٨٩٢م

(٢) اليعقوبي : البلدان ، نشره : دي خويه ، ليدن ١٨٩٢م .

(٣) نجيب العقيقي : المستشرقون ، القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ط٣ . ١٩٦٥م ، ٢/ ٦٥٣ .

(٤) دي خويه : التنبيه والإشراف ، مقال ، زدماج ،١٩٠٢م .

(٥) وليم رايت : رحلة ابن جبير ، صححه : دي خويه ، سلسلة جب التذكارية ، لندن ، ١٩٠٧م .

* في عام ١٩٠٧م أيضًا نشر دي خويه (مختارات من كتب الجغرافيا العربية)[١] ، ليدن ، في سلسلة (دراسات سامية)

ثالثًا– في ميدان الشعر العربي واللغة العربية[٢] :

١– كتب بحثين عن (ألف ليلة وليلة)[٣]

٢– نشر (أسماء الليل العربية)[٤] ، عام ١٨٨٦م .

٣– (رحلات السندباد)[٥] ، عام١٨٨٦م .

٤– نشر دي خويه (ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري)[٦] ، عام ١٨٧٥م .

٥– كتب (وصفًا لمخطوط قديم لكتاب (غريب الحديث) ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى عام (٢٢٢هـ / ٨٣٧م) .

٦– نشر دي خويه المجلد الثاني عشر من كتاب (الكامل)[٧] ، للمبرد عام ١٨٩٢م ، الذي كتب عنه وليم رايت ، ولكنه توفي قبل أن يتمه .

٧– نشر كتاب (الشعر والشعراء)[٨] ، لابن قتيبة عام ١٩٠٤م .

٨– كتاب (النحو العربي)[٩] ، ترجمه : وليم رايت إلى الإنجليزية ، وأجرى فيه عدة تصحيحات ، وأصدر منه طبعتين ، وتوفي رايت عام ١٨٨٩م قبل إصدار الطبعة

---

(١) دي خويه : مختارات من كتب الجغرافيا العربية ، سلسلة دراسات سامية ، ليدن ، ١٩٠٧م .

(٢) علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة ، ص٢٣٦ .

(٣) دي خويه : ألف ليله وليله ، بحث ، دائرة المعارف البريطانية ، ط٩ . ج٢٣ .

(٤) دي خويه : أسماء الليل العربية ، GIDS ، ١٨٨٦م .

(٥) دي خويه : رحلات السندباد ، GIDS ، ١٨٨٩م .

(٦) دي خويه : ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري ، ليدن ،١٨٧٥ .

(٧) المبرد : الكامل ، نشره : دي خويه ، المجلد١٢ ، ١٨٦٤-١٨٩٢م .

(٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، نشره : دي خويه ، ليدن ،١٩٠٤م .

(٩) دي خويه : النحو العربي ، جامعة كامبريدج ،١٨٨٦-١٩٩٦م .

الثالثة ، وتولاها روبرتسون ، ولكنه توفي أيضًا عام ١٨٩٤م قبل إصدارها ، ومن هنا جاء دي خويه وأكمل عملهما ، وأصدر الطبعة الإنجليزية الثالثة من كتاب (النحو العربي) في السنوات (من ١٨٩٦-١٨٩٨م) ، وصحح كثيرًا من المواضع ، وأضاف أمثلة جديدة ، حتى صار أفضل مرجع أوروبي في النحو العربي .

رابعًا- في ميدان فهرسة المخطوطات[١]

قد تولى دي خويه عملًا عظيمًا ، وهو فهرسة المخطوطات ، فقد تولى قسمًا كبيرًا من مخطوطات مكتبة ليدن في المجلدات ٣-٥ :

* في المجلد الأول والثاني (القسم الأول) من الطبعة الثانية من (فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة ليدن[٢]) ، بين عام ١٨٦٥-١٨٧٣م .

* المجلد الثالث يصف المخطوطات الخاصة بالتاريخ والرياضيات باللغتين الفارسية والتركية ، وهذا المجلد بدأ العمل فيه رينهرت دوزي ، ثم ترك العمل فيه وأكمل دي خويه ودي يونج العمل فيه ، واشتركا معًا أيضًا في المجلد الرابع ، وتولا المخطوطات الخاصة بالسحر والكيمياء والتاريخ والطبيعة والفلاحة والطب والحرب والصيد ، والموسيقى ، والفلسفة .

* المجلد الرابع : يتضمن مخطوطات علم الكلام والفقه فقط .

* المجلد الخامس : عمل به دي خويه بمفرده ، ويشتمل على وصف مخطوطات التصوف واللاهوت المسيحي ، ومجاميع ، والتي تحتوي وصف كتب صغيرة للمقريزي والسيوطي .

* المجلد السادس : هو الأخير يحتوي فهارس وضعها تلميذ دي خويه هوتسما .

---

(١) علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة ، ص٢٣٨ .

(٢) دي خويه : فهرس المخطوطات الشرقية ، ليدن، ١٨٦٥-١٨٧٣م .

أبحاث مفردة في مواضيع مختلفة نشرها دي خويه[١] :

١- بحث مفصل في كتاب (كشف الأسرار) ، للجوبري ، نشر في زدماج عام ١٨٦٦م

٢- بحث حول اسم فينيقيا وكنعان[٢] ، عام ١٨٦٩م .

٣- نشر بحث في (تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام) ، عام ١٨٧٦م ، يبين أن عبادة السيف في إقليم دربند هي عبادة قديمة ، وجدت قبل الإسلام ، وبقيت في هذه المنطقة بعد دخول الإسلام .

٤- بحث كشف فيه عن وجود حكاية الذئب والثعلب عند المؤلفين العرب[٣] ، نشره في (أعمال جمعية الآداب الهولندية في ليدن) ، عام ١٨٧٩م .

٥- بحث عن كلمة (زار)[٤] ، وأنها من أصل حبشي عام ١٨٩٠م .

٦- بحث قصير عن (مذهب البابية)[٥] ، عام ١٨٩٣م .

٧- وجد نظيراً لـ(أسطورة القديس برندان) في مصادر عربية[٦] ، عام ١٨٩٣م

٨- (تقرير عن الحفريات في سنجرلى)[٧] ، سوريا عام ١٨٩٤م

(١) عبد الرحيم صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص١٢٩ .

(٢) دي خويه : حول اسم فينيقيا وكنعان ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ،١٨٦٩م .

(٣) دي خويه : وجود حكاية الذئب والثعلب عند المؤلفين العرب ، بحث ، أعمال جمعية الآداب الهولندية ، ليدن ،١٨٧٩م .

(٤) دي خويه : كلمه زار ، بحث ، زدماج ، ج٤٤ ، ١٨٩٠م .

(٥) دي خويه : مذهب البابية ، GIDS ، ١٨٩٣م .

(٦) دي خويه : وجود نظير لأسطورة القديس برندان في مصادر عربية ، أعمال مؤتمر المستشرقين الثامن ، ج١ ، ١٨٩٣م .

(٧) دي خويه : الحفريات في سنجرلى ، بحث ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ، ١٨٩٤م .

٩- بحث في (نقول عن الكتاب المقدس موجودة في القران والحديث) ، عام ١٨٩٧م

١٠- بحث بعنوان : (قصة أهل الكهف)[١] نشره عام ١٩٠١م ، واستند فيه إلى مصادر عربية .

١١- بحث (تعليقة في سيرة حياة ابن الهيثم)[٢] ، عام ١٩٠١ م .

إلى جانب هذه التحقيقات الممتازة في الجغرافيا والتاريخ عند العرب ، قام دي خويه بأبحاث جزئيه ثمينة ، منها :

١- (الطبري[٣] والمؤرخون العرب الأول) دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة التاسعة . عام ١٨٨٨م ، ويستعرض دي خويه في هذا البحث[٤] تطور كتابة التاريخ عند العرب منذ البداية حتى حاجي خليفة المتوفى (١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) .

٢- ألقى بحثًا في المؤتمر الثالث للمستشرقين ، المنعقد في سان بطرسبرج ، عن كتاب (التاريخ)[٥] ، لليعقوبي ، هذا الكتاب قام بنشره عام ١٨٨٣م ، ليدن .

٣- كتب بحثًا عن (رحلة التاجر اليهودي الأندلسي إبراهيم بن يعقوب)[٦] ، وهو تقرير كتبه لخليفة قرطبة عن ألمانيا والبلاد السلافية .

٤- قام بدراسة عميقة عن كتاب (أنساب الأشراف)[٧] ، للبلاذري ، نشرها في مجلة زدماج ، ج٣ ، عام ١٨٨٤ .

(١) دي خويه : قصة أهل الكهف ، بحث ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ،١٩٠١م .
(٢) دي خويه : تعليقة في سيرة حياة ابن الهيثم ،١٩٠١م .
(٣) عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، ص١٢٧ .
(٤) دي خويه : الطبري والمؤرخون العرب ، بحث ، دائرة المعارف البريطانية ، ط٩ ، ج٢٣ ، ١٨٨٨م .
(٥) اليعقوبي : التاريخ ، نشره : دي خويه ، المؤتمر الثالث للمستشرقين ، سان بطرسبرج ،١٨٧٩م .
(٦) دي خويه : رحلة التاجر اليهودي الأندلسي إبراهيم بن يعقوب ، بحث ، أمستردام ،١٨٨٠م .
(٧) البلاذري : أنساب الأشراف ، بحث ، زدماج ، ج٣٨ ، ١٨٨٤م .

٥- في المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين الذي عقد في باريس عام ١٨٩٧م ، ألقى دي خويه بحثًا عن وصف مكة واليمن ، لابن مجاور .

٦- ابتداء من ١٨٦٢م بدأ دي خويه في نشر (أبحاث في التاريخ والجغرافيا الشرقيين)[١] ، في ليدن ، باللغة الفرنسية ، فأصدر أبحاثًا ثلاثة بين عامي ١٨٦٢-١٨٦٤م .

على النحو التالي :

- بحث في (قرامطة البحرين) .
- بحث في كتاب (فتوح الشام) المنسوب إلى أبى إسماعيل البصري .
- بحث في (فتح الشام) ، وأصدر الطبعة الثانية في ليدن ١٨٨٦م-١٩٠٣م .

وبعد ذلك أعاد النظر في الأبحاث الثلاثة وأكملها ، وأصدرها في طبعة ثانية تشمل ثلاثة أبحاث ، وهم :

١- (العلاقة بين قرامطة البحرين والفاطميين) ، وأكمله ببحث آخر بعنوان : (نهاية دولة قرامطة البحريين)[٢] .

٢- (في فتح الشام) فيه تصحيح للبحث الأول عن فتح الشام .

٣- بحث في (هجرات الغجر خلال آسيا) ، ويعتمد في بحثه الجديد على المصادر العربية في بيان نشأة وتنقلات الغجر خلال آسيا .

٧- في عام ١٨٧٥م كتب دي خويه بحثًا باللغة الألمانية عن المجرى الأصلي لنهر أموداريا وتغيراته على مدى التاريخ ، استناداً إلى المصادر العربية .

---

(١) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٢٣٤ .

(٢) دي خويه : العلاقة بين قرامطة البحرين والفاطميين ، JA ، سلسله٩ ، ٥/ ٣-٥ ، ١٨٩٥م .

٨- نشر دي خويه بالاشتراك مع أستاذه دوزي وثائق[١] جديدة عن ديانة المسيحيين الحرانيين (بالفرنسية)، ليدن، ١٨٧٥م، وهم الصابئة.

٩- كتب دي خويه مقالًا في زدماج، عام ١٨٨٥م، عن (الجغرافيا التاريخية لبابل)[٢] استند فيه إلى وصف العراق وبغداد، لابن سرافيون.

١٠- كتب دي خويه بحثًا بعنوان: (بعض الأشياء عن الإمام الشافعي)[٣]، وأضاف معلومات مكملة لما ذكره فيستنفلد في كتابه بعنوان: (الإمام الشافعي وتلاميذه وأتباعه)، واستند أيضًا إلى كتاب (المقفى)، للمقريزي، وكتاب (حلية الأولياء)، لأبى نعيم الأصفهاني، وهما مخطوطتان في مكتبة ليدن.

١١- كتب بحثًا[٤] عن (رسالة محمد)[٥] دافع فيها عن النبي ضد ما كتبه اشبرنجر وباروتس، عام ١٩٠٦م.

١٢- اهتم بما أورده الجغرافيون والرحالة العرب من (أخبار عن بلاد الشرق الأقصى)[٦]:

- ففي عام ١٨٨١ كتب مقالًا بعنوان: (أخبار العرب عن اليابان)[٧].
- وفي عام ١٨٨٢ م كتب بحثًا آخر بعنوان: (اليابان كما عرفها العرب)[٨].
- وفي عام ١٨٨٨م نشر بحثًا عن سد يأجوج ومأجوج[٩].
- شارك ببحث في كتاب (بلاد الإسلام بحسب المصادر الصينية)، عام ١٨٩٤م.

---

(١) عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، ص١٢٨.

(٢) دي خويه: الجغرافيا التاريخية لبابل، زدماج، ٤/ ١-١٦، ١٨٨٥م.

(٣) دي خويه: بعض الأشياء عن الإمام الشافعي، بحث، ليدن.

(٤) دي خويه: رسالة محمد، بحث، السفر التذكاري المقدم إلي تيودور نيلدكه، ١/ ١-٥، ١٩٠٦م.

(٥) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢٣٤.

(٦) علي أمان علي: السيرة النبوية الشريفة، ص٢٣١.

(٧) دي خويه: أخبار العرب عن اليابان، مقال، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام، ١٨٨١م.

(٨) دي خويه، اليابان كما عرفها العرب، حوليات الشرق الأقصى، ١٨٨٢م.

(٩) دي خويه: سد يأجوج ومأجوج، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام، ١٨٨٨م.

المحور الثالث : منهج المستشرق الهولندي دي خويه من خلال نشره لبعض النصوص التراثية العربية

كان اتجاه دي خويه منذ اللاحقين الجغرافية العربية فكانت رسالته في الدكتوراه عام ١٨٦٠م عن وصف المغرب كما ورد في كتاب (البلدان) ، للمؤرخ والجغرافي الشيعي المشهور أحمد بن أبي يعقوب ، المشهور بلقب : اليعقوبي ، وفى عام ١٨٦١م نشر ويونبول (ابن دي خويه) باقي كتاب (البلدان) ، لليعقوبي ، فكانت منهجيته[١] أنه لم يكتف بنشر النص العربي ، بل أضاف إليه ترجمة لاتينية ، وقدم له مقدمة جيدة ، وزوده بإيضاحات جغرافية وتاريخية عديدة ومفيدة ، وفي المقدمة يدرس دي خويه حياة اليعقوبي ، ومن أخذ عنه من الجغرافيين اللاحقين ، وهو نفس المنهج الذي اتبعه في أغلب أعماله وهو أنه لا يكتفي بنشر النص العربي ، بل يضيف له ترجمة لاتينيه أو فرنسيه ، ويقدم له مقدمة جيدة ويقوم بعمل إيضاحات جغرافية أو تاريخية ، وأيضًا في البداية يقوم بالكتابة عن صاحب العمل الأصلي ، ويشير من أين حصل على هذا العمل ، والجدير بالذكر أن منهجه من بدايات الأولى للنشرات النقدية للمصادر القديمة . ويعلق المستشرق (يوهان فوك)[٢] في شهاداته على علمية وحيادية دي خويه فيقول : "إذا كان الاستشراق قد شهد منعطفًا كبيرًا في عصر دوزى ، فقد حصل تلميذه ميخائيل دي خويه تشجيعًا شديدًا ، فقد أستعمل دي خويه المنهج المعتاد لدى فقه اللغة القديم الذي كان قد تلقاه على أيدي عالم اللغة اليونانية القديمة الهولندي (كارل كابرييل كوبيت) ، استعمله في نقض النصوص العربية ، وقد تقدم بعد ما أخذ(دوزي) بيده على مسار المنهج التاريخي .

الخاتمة وأهم النتائج

* الخاتمة

هذه الدراسة سلطت الضوء على مستشرق من أهم المستشرقين ، وهو المستشرق الهولندي (دي خويه) ؛ لأنه قام بنشر عدد كبير من المصادر التاريخية والجغرافية ،

(١) عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٢٣٠ .

(٢) علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة ، ص٢١٦ .

وقام بنقدها بحيادية وتحقيقها وتصحيحها ونشرها مرة أخرى ، وتحدثت الدراسة كذلك عن سبب اهتمام دي خويه بالتراث العربي وحبه له ، وأيضًا جهوده في نشر التراث العربي ، وأهم هذه الأعمال التي نشرها في الميدان التاريخي والجغرافي ، وفهرسة المخطوطات والأبحاث ، وذكر مكان وسنة نشرها ، وذكرت في الدراسة أهم المناصب التي تقلدها دي خويه ، وتأسيسه مؤسسة لمساعده الطلاب على تعلم العربية سميت (مؤسسة دي خويه) ، وأيضًا اختياره لمجموعة مختارة من المستشرقين لفهرسة مخطوطات مكتبة ليدن ، وأسس (مكتبة الجغرافيين العرب) .

*** النتائج :**

* إلقاء الضوء على واحد من أهم المستشرقين ، وهو المستشرق الهولندي (دي خويه) .

* نبذه عن نشأته وتعليمه والمناصب التي تقلدها في مجال عمله ، ودوره في خدمة مجال التراث العربي .

* معرفة الأسباب التي دفعته إلى الاهتمام بالنصوص التراثية العربية الإسلامية .

* تسليط الضوء على أسماء النشرات النقدية للمصادر التاريخية والجغرافية ، والمخطوطات التي قام بفهرستها ونشرها ، ومعرفة مكان وسنة نشرها .

* توضيح معنى الاستشراق ، ومفهوم التراث .

* ذكر أسماء المخطوطات التي قام دي خويه بفهرستها في مكتبة ليدن .

\- * إعادة نقد وتصحيح كثير من المصادر العربية الهامة ونشرها مرة أخري على يد دي خويه .

* إلقاء الضوء على أهمية وعراقة التراث العربي واللغة العربية والمصادر العربية .

* معرفة بداية ظهور النشرات النقدية للمصادر العربية ، وتطورها على أيدي المستشرقين .

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر :

* ابن حوقل : المسالك والممالك ، نشرة دي خويه ، ليدن ، ١٨٧٣م .
* ابن خرداذبة ، قدامة بن جعفر : المسالك والممالك ، كتاب الخراج ، نشرة دي خويه ، ليدن ، ١٨٨٩م .
* ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، نشرة دي خويه ، ليدن ،١٩٠٤م .
* ابن مسكويه : نشره دي خويه ، ليدن ، ١٩٠٩-١٩١٢م .
* أبو علي أحمد بن عمر رسته : الأعلاق النفيسة ، نشرة دي خويه ، ليدن ١٨٩٢م
* الإدريسي : روجار ، نشرة دي خويه ودوزى ، باريس ،١٨٦٦م .
* الإصطخري : المسالك والممالك ، نشرة دي خويه ، لادن ،١٨٧٠م .
* البلاذري : أنساب الأشراف ، بحث ، زدماج ، ج٣٨ ، ١٨٨٤م .
* البلاذري : فتوح البلدان ، نشرة دي خويه ، ليدن ، ١٨٦٦ .
* المبرد : الكامل ، نشرة دي خويه ، المجلد١٢ ، ١٨٦٤-١٨٩٢م .
* المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، نشرة دي خويه ،
* الهمداني : البلدان ، نشرة دي خويه ، ليدن ،١٨٨٥م
* اليعقوبي : البلدان ، نشرة دي خويه ، ليدن ١٨٩٢م .
* اليعقوبي : التاريخ ، نشرة دي خويه ، المؤتمر الثالث للمستشرقين ، سان بطرسبرج ، ١٨٧٩م .
* اليعقوبي : نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذة من كتاب البلدان ، نشرة دي خويه ، رسالة دكتوراه ، ليدن ،١٨٦٠م .-
* تاريخ الطبري ، نشرة دي خويه ، ليدن ، بريل ،١٨٩٧م .
* دي خويه أخبار خلافة عمر الثاني ويزيد الثاني وهشام ، ليدن ، بريل ، ١٨٦٤م .

ثانيًا- الأبحاث :

* دي خويه : التنبيه والاشراف ، مقال ، زدماج ،١٩٠٢م .
* دي خويه : الجغرافيا التاريخية لبابل ، زدماج ، ٤/ ١-١٦ ، ١٨٨٥م .
* دي خويه : الحفريات في سنجرلى ، بحث ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ، ١٨٩٤م .

* دي خويه : الطبري والمؤرخون العرب ، بحث ، دائرة المعارف البريطانية ، ط٩ . ج٢٣ ، ١٨٨٨م .
* دي خويه : العلاقة بين قرامطة البحرين والفاطميين ، JA ، سلسله٩ ، ٥/ ٣-٥ ، ١٨٩٥م .
* دي خويه : النحو العربي ، جامعة كامبريدج ، ١٨٨٦-١٩٩٦م .
* دي خويه : اليابان كما عرفها العرب ، حوليات الشرق الأقصى ، ١٨٨٢م .
* دي خويه : أخبار العرب عن اليونان ، مقال ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ، ١٨٨١م .
* دي خويه : أسماء الليل العربية ، GIDS ، ١٨٨٦م .
* دي خويه : ألف ليله وليله ، بحث ، دائرة المعارف البريطانية ، ط٩ ، ج٢٣ .
* دي خويه : بعض الأشياء عن الإمام الشافعي ، بحث ، ليدن .
* دي خويه : تعليقة في سيرة حياة ابن الهيثم ،١٩٠١م .
* دي خويه : حول اسم فينيقيا وكنعان ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ، ١٨٦٩م .
* دي خويه : ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري ، ليدن ، ١٨٧٥ .
* دي خويه : رحلات السندباد ، GIDS ، ١٨٨٩م .
* دي خويه : رحلة التاجر اليهودي الأندلسي إبراهيم بن يعقوب ، بحث ، أمستردام ، ١٨٨٠م .
* دي خويه : رسالة محمد ، بحث ، السفر التذكاري المقدم إلى تيودور نيلدكه ، ١/ ١-٥ ، ١٩٠٦م .
* دي خويه : سد يأجوج ومأجوج ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ،١٨٨٨م .
* دي خويه : فهرس المخطوطات الشرقية ، ليدن ،١٨٦٥-١٨٧٣م .
* دي خويه : قصة أهل الكهف ، بحث ، تقارير وأبحاث أكاديمية أمستردام ،١٩٠١م .
* دي خويه : كلمه زار ، بحث ، زدماج ، ج٤٤ ، ١٨٩٠م .
* دي خويه : مختارات من كتب الجغرافيا العربية ، سلسلة دراسات سامية ، ليدن ، ١٩٠٧م .

* دي خويه : مذهب البابية ، GIDS ، ١٨٩٣م .
* دي خويه : مشكلة الإصطخري والبلخي ، زدماج ،١٨٧١م .
* دي خويه : مكتبة الجغرافيين العرب ، ليدن ، ١٨٧٠م-١٨٩٤م .
* دي خويه : وجود حكاية الذئب والثعلب عند المؤلفين العرب ، بحث ، أعمال جمعية الآداب الهولندية ، ليدن ،١٨٧٩م .
* دي خويه : وجود نظير لأسطورة القديس برندان في مصادر عربية ، أعمال مؤتمر المستشرقين الثامن ، ج١ ، ١٨٩٣م .

ثالثًا- المراجع :

* سعيد إدوارد : الاستشراق (المعرفة ، السلطة ، الانشاء) ، ترجمة : كمال أبو الديب ، بيروت : ط٢ ، ص٨٣ .
* عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولي .
* عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٣ . ١٩٩٣م ، ص٢٣٠ .
* علي أمان علي : السيرة النبوية الشريفة في كتابات المستشرقين الهولنديين "دي خويه نموذجًا" ، بغداد : الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ٢٠١٠م ، ص٥ ، رسالة ماجستير .
* علي بن إبراهيم الحمد النملة : المستشرقين ونشر التراث ، الرياض : موسوعة الدراسات الاستشراقية ، ط١ . ٢٠٠٣م .
* نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج٢ ، القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ط٣ . ١٩٦٥م .
* وليم رايت : رحلة ابن جبير ، صححه : دي خويه ، لندن : سلسلة جب التذكارية ، ١٩٠٧م .

مدرسة الاستشراق الألماني
ودورها في النشر النقدي لنصوص التراث الإسلامي
(دراسة في المنهج وملامح تطوره)

د . أحمد عطية

كبير باحثين بمركز المخطوطات ، مكتبة الإسكندرية

تقديم

إنَّ المتتبع لمنهج المدرسة الألمانية في نشراتها النقدية لنصوص التراث العربي المخطوط يلحظ تطوراً في هذا المنهج ، وهو تطور لا يمكن بأي حال من الأحول رصده من خلال الدراسات النظرية التي حاولت أن تجمع الأفكار من هنا وهناك عند الحديث عن منهج هذه المدرسة التي تركت أثراً كبيراً في مجال النشر النقدي لنصوص التراث العربي المخطوط ، وإنما السبيل الوحيد إلى إدراك ملامح هذا التطور في منهج المدرسة الألمانية هو متابعة ما أنجزته هذه المدرسة من نشرات نقدية لنصوص خطية مختلفة ، وهي متابعة قائمة على استقراء هذا المنجز وقراءته قراءة نقدية ، والتي ستفضي في النهاية إلى نتائج غاية في الأهمية .

فالقراءة النقدية المتأنية لمنجز المدرسة الألمانية في باب النشر النقدي لنصوص التراث العربي تستطيع أن ترصد عدة ملامح للتطور ، حيث بدأت بفكرة إتاحة النص المخطوط ، اعتماداً على إحدى نسخه الخطية فقط دون وجود أي أثر لمسألة دخول النسخ الخطية الأخرى في برنامج النشر النقدي للنص المخطوط ، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في تحقيق ماركس مولّر (١٨٠٩- ١٨٧٤) لرسائل ابن رشد الثلاث .

ثم حدث تطور بعد ذلك في منهج المدرسة الألمانية ، تمثل في إيراد بعض الملاحظات على النص المخطوط ، وقد تجلى ذلك في نشر المستشرق الألماني وليم ألورد (١٨٢٨- ١٩٠٩) لعدة رسائل من التراث العربي جمعها في كتاب يحمل عنوان (جُرزة الطالب وتحفة الحاطب) ، ومن بينها ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، حيث رصد وليم ألورد بعض الملاحظات على النص المخطوط ، وأوردها في نهاية نشرته النقدية بعد أن أشار إليها بأرقام داخل النص المنشور .

وما فعله وليم ألورد في الرسائل الأربعة التي ضمَّها كتاب (جُرزة الطالب) يعدُّ

التطور الأول في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع نصوص التراث العربي المخطوط، والذي تمثَّل في إيراد بعض الملاحظات على النص المخطوط، وهو ما افتقدته نشرات ماركس مولر.

ثم رصدنا من خلال القراءة النقدية تطوراً ثانيًا جاء مع نشرة المستشرق الألماني كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦) لكتاب (عيون الأخبار)، لابن قتيبة، حيث وجدنا أثراً في هذه النشرة النقدية لدخول نسخ خطية أخرى في برنامج التحقيق، وعدم الاكتفاء بإحدى النسخ الخطية فقط، وهذا تطور مهم في منهج المدرسة الألمانية في نشرها النقدي لنصوص التراث العربي.

ثم رصدنا بعد ذلك تطوراً ثالثًا في منهج هذه المدرسة تمثَّل في وجود التعليقات على النص المخطوط في هامش التحقيق أو النشر النقدي جنبًا إلى جنب مع الفروق بين النسخ الخطية، وهو ما تجلى في نشرة برجشتراسر (١٨٨٦- ١٩٣٣) لمختصر (شواذ القرآن)، لابن خالويه.

ثم إنَّ القراءة النقدية المتأنية لمنجز المدرسة الألمانية في نشر نصوص التراث العربي المخطوط أوقفتنا على تطور رابع في منهج تعاملها مع النصوص العربية المخطوطة، وقد تمثل هذا التطور في تطور فكرة التعليق على النص من مجرد التعليق إلى خلق الاختلاف مع النص المخطوط، والترسيخ لمسألة النص الموازي. وقد تجلّى هذا التطور في نشرة هلموت ريتر(١٩٠٢ - ١٩٦٩) لكتاب (مقالات الإسلاميين)، لأبي الحسن الأشعري.

إنَّ رصد ملامح التطور في منهج المدرسة الألمانية في النشر النقدي لنصوص

التراث العربي المخطوط أمر في غاية الأهمية ؛ وذلك لأننا نستطيع من خلاله فهم آليات تلك المدرسة في تعاملها من النصوص العربية المخطوطة ، ثم بعد ذلك بيان ما يستحق إعادة نشر أو تحقيق من تلك النصوص المنشورة على أيدي مستشرقي تلك المدرسة ، فليس كل ما أنجزته هذه المدرسة

يحتاج إلى إعادة نشر مرة أخرى ، وهذا أمر من شأنه أن يوفر جهداً كبيراً في تعاملنا نحن المشارقة مع التراث العربي المخطوط من ناحية ، ثم مع تحقيقات المستشرقين من ناحية أخرى .

وقد عالجت فكرة التطور في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع نصوص التراث العربي المخطوط بنوع من التفصيل في المحور الثاني من محاور هذه الدراسة .

أمَّا المحور الأول منها فقد اقتصر على التعريف ببعض أعلام المستشرقين ممن ينتسبون إلى المدرسة الألمانية ، ولكن لم أتوسع في هذا المحور بالشكل الكافي ، فقد حظي المستشرقون الألمان بترجمات قدمت نبذة عن حياتهم وعرَّفت ببعض إسهاماتهم في مجال النشر النقدي لنصوص التراث العربي المخطوط ، وكذلك عرَّفت ببعض المؤلفات العربية التي نقلوها إلى الألمانية[١] ، وجاءت هذه الترجمات ضافية في بعض الأحيان ، خاصة في البحوث الخاصة التي انفردت بالحديث عن بعض المستشرقين ، وبيان إسهاماتهم في مجال النشر النقدي للنصوص العربية المخطوطة[٢] ، أو في مقدمات التحقيقات التي أعادت ما أنتجه المستشرقون من تحقيقات مرة أخرى[٣] .

(١) انظر على سبيل المثال : المستشرقون ، نجيب العقيقي ، القاهرة : دار المعارف ، ط٣ . ١٩٦٤م ، وموسوعة المستشرقين ، لعبد الرحمن بدوي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٣ . ١٩٩٣م .

(٢) انظر دراسة بعنوان : جهود المستشرقين الألمان في تحقيق مخطوطات علم الكلام (ماركس مولر أنموذجًا) : د . أحمد عطية ، مجلة علوم المخطوط العربي ، مركز المخطوطات ، مكتبة الإسكندرية ، العدد الثالث ، ص ٧٨- ١٠٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال : نشرة د . محمد عمارة لرسائل ابن رشد بعد نشرة مولَّر لها . (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، لأبي الوليد بن رشد ، تحقيق د . محمد عمارة ، القاهرة : دار المعارف) .

وأحيانًا تقدم بعض مؤلفات تراجم المستشرقين ترجمة ضافية لأحد المستشرقين تتسع لفهم نشأته وبعضٍ من منجزاته في حقل خدمة العربية وعلومها[١] .

ولهذا السبب فإنَّني أزعم أنَّ التعريف بالاستشراق الألماني وأعلامه أصبح من الأمور المتاحة التي يسهل الوصول إليها دون معاناة ، وأغلب المحاولات في هذا الباب ما هي إلا اجترار لما سبق ، بل أكثر من ذلك يصل الأمر ببعض هذه المحاولات إلى النقل بالنص عن كتب التراجم السابقة ، وإنما الذي يستحق العناء في هذا الباب ذباب دور الاستشراق الألماني في النشر النقدي لنصوص التراث الإسلامي- هو محاولة الوقوف على منهج الاستشراق الألماني في تعامله مع نصوص التراث العربي من حيث النشر النقدي لتلك النصوص ؛ لأنَّ الوقوف على المنهج سيجعلنا ندرك ملامح التطور في منهج هذه المدرسة .

غاية الأمر أن دراسة منهج الاستشراق الألماني في معالجاته لنصوص التراث العربي المخطوطة مهم جدًا ، ولن يتم الوقوف على ملامح هذا المنهج إلا من خلال الوقوف على نماذج حقيقية لنشرات المستشرقين لبعض مؤلفات التراث العربي ؛ لذا سيكون هذا هو منهجي في هذه الدراسة ، والتي تهتم ببيان دور المدرسة الألمانية في النشر النقدي لنصوص التراث الإسلامي ، حيث سأركز عند الحديث عن أي مستشرق من أعلام هذه المدرسة على ما قدمه من تحقيقات أو نشرات نقدية للنصوص المخطوطة .

ولن تستطيع حدود هذه الدراسة البحثية الضيقة -بطبيعة الحال- استيعاب جلّ المستشرقين الألمان ، وإنما ستقتصر على أشهر هؤلاء المستشرقين ، في محاولة لاستخلاص منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع نصوص التراث الإسلامي

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكره عبد الرحمن بدوي عند ترجمته للمستشرق الألماني فستنفلد ، موسوعة المستشرقين ، ص٣٩٩ .

المخطوطة ، وهؤلاء المستشرقون هم :

جاكوب ريسكه (١٧١٦- ١٧٧٤) ، وماركس مولّر (١٨٠٩- ١٨٧٤) ، وهنري فستنفلد (١٨٠٨- ١٨٩٩) ، ووليم ألورد (١٨٢٨- ١٩٠٩) ، وتيودور نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣١) ، وكارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦) ، ويوسف شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩) ، وهلموت ريتر (١٨٩٢- ١٩٧١) ، وبرجشتراسر (١٨٨٦- ١٩٣٣) .

محاور الدراسة :

المحور الأول : التعريف بأشهر المستشرقين الألمان ، وبيان إسهاماتهم في النشر النقدي لنصوص التراث العربي .

المحور الثاني : منهج المدرسة الألمانية في نشر نصوص التراث العربي (الملامح والسمات) .

إشكالية الدراسة :

إنَّ الأسئلة المهمة التي تطرحها هذه الدراسة تتمثل فيما يلي :

أولاً- ما المنهج الذي سلكته كتب التراجم التي تعرضت لترجمة المستشرقين الألمان؟ وهل يمكن الوقوف على ترجمات وافية للمستشرقين من خلالها؟

ثانيًا- ما ملامح التطور في منهج المدرسة الألمانية في نشراتها النقدية لنصوص التراث العربي المخطوط؟

منهج الدراسة

إنَّ المنهج الأمثل الذي ينسجم وهذه الدراسة التي تهدف إلى التعرف على أشهر أعلام المدرسة الألمانية في النشر النقدي للمنجز المعرفي في التراث العربي ، ثم بيان ملامح التطور في منهجهم ، هو المنهج الاستقرائي العقلي المقارن ، فهو استقرائي من حيث كونه يهتم باستقراء وتتبع نشرات المستشرقين للتراث العربي المخطوط ، وهو عقلي حيث يسلك المسلك النقدي في تعامله مع هذه النشرات المختلفة ، ثم هو

مقارن ، حيث تعد المقارنة بين النشرات المختلفة جزءاً أصيلًا من هذا المنهج النقدي .

الاستشراق الألماني (نبذة تاريخية)

لقد اتصلت ألمانيا بالشرق عبر ثلاثة مسارات أساسية : مسار الحرب الصليبية الثانية (١١٤٧- ١١٤٩) ، ثم مسار عودة حجاجها من الأراضي المقدسة ، ووصفهم لها ونقلهم شيئًا من حضارتها ، ثم قيام الرهبان الألمان بالترجمة عن العربية بالأندلس ، والذي هو المسار الثالث من مسارات اتصال ألمانيا بالشرق .

ثم حدث أن اتَّجه بعض علماء الكتاب المقدس إلى التجريح في ترجمات التوراة ، خاصة بعد حركة الإصلاح الديني التي نادى بها مارتن لوثر (١٥٢١م) ، والنهج الذي سلكته حركة الإصلاح الديني تمثَّل في نقد الكتاب المقدس الذي يعدُّ المرجع الوحيد للعقيدة المسيحية ، وقد نهضت جامعة هايدلبرج بهذه المهمة (١٥٦١) فكثرت ترجمات التوراة من السريانية والعبرانية والعربية إلى اللاتينية ، حيث ترجم تريميليوس (١٥١٠- ١٥٨٠) ، وكان يهوديًا اعتنق الكاثولوكية ثم تركها إلى البروتستانية ، التوراة إلى اللاتينية بعد أن كلَّفه فريدريك الثالث بذلك ، ثم تُرجم الإنجيل من السريانية إلى اللاتينية في السنة نفسها ، ثم وضع يعقوب كريستمان (١٥٥٤- ١٦١٣) فهرس المخطوطات الشرقية لبوستل ، فوجدت العبرية والكلدانية والعربية والسريانية طريقها إلى جامعات ألمانيا ، فدرس بعضها يوهان كريستوف فولف (١٦٨٣-١٧٣٩) في جامعة هامبورج ، واقتنى مكتبة للمخطوطات العربية ، وصنَّف المكتبة العبرية[1] .

إنَّ هذه المقدمة لا غنى عنها في فهم السبل التي اتصلت بها ألمانيا بالشرق ،

(١) انظر في ذلك : المستشرقون ، لنجيب العقيقي ، ص٦٧٨ ، الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية ، محمد سعدون المطوري ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد الثالث ، شتاء ٢٠١٥ ، ص١٩١- ٣١٤ .

ومن ثمَّ باللغة العربية عبر حركات الترجمة للكتاب المقدس من العربية إلى اللاتينية التي قام بها الرهبان الألمان ، إضافة إلى عدد من الإصلاحيين الذي اعتنقوا البروتاستنية .

ثم أحدثت المدرسة الألمانية نقلة كبرى في مجال تعلم اللغات الشرقية في مطلع القرن الثامن عشر ، فبعد أن تعلمها المستشرقون الألمان في هولندا ورجعوا إلى بلادهم أخرجوها من نطاق التوراة إلى ميدان الثقافة العامة ، ثم اتصلوا بعد ذلك بالحواضر التي كانت لها علاقات سياسية وتجارية مع الدولة العثمانية ، مثل النمسا التي أنشأت فيها الإمبراطورة ماريا تبريزيا مدرسة للغات الشرقية في فيينا (١٧٥٣م) بلغ ازدهارها ألمانيا فقبست منها[١] .

وفي مطلع القرن التاسع عشر حلَّت فرنسا محل هولندا بفضل العلامة دي ساسي ، أستاذ العربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، ومن أشهر من تتلمذ عليه من الألمان أستاذان كان لهما الفضل الأكبر في إرساء الدراسات العربية في ألمانيا ، هما : فلايشر (١٨٠١- ١٨٨٨) وإيفالد (١٨٠٣-١٨٧٥) فقد أصبح فلايشر أستاذاً للغات الشرقية في جامعة ليبزيج ، وإيفالد أستاذاً لها في جامعة جوتنجن ، وتخرَّج عليهما كثير من المسترقين الذين علَّموها مع اللغات الشرقية والدراسات الإسلامية في الجامعات ، وفهرسوا لمخطوطاتها في المكتبات ، ونظموا متاحفها ، وأسسوا مطابعها وجمعياتها ومجلاتها ، ونشروا عنها المجموعات ، فأسهموا في التعريف بالتراث الإسلامي على نطاق عالمي[٢] .

وفي هذا القرن - التاسع عشر- حفل الاستشراق الألماني بالتنوع والتقدم في دراساته الشرقية ، فمن دراسة اللغات إلى جمع وتحقيق النصوص ، ثم دراسة جغرافيا

(١) المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ص٦٧٩ .

(٢) السابق ، ص٦٧٩ .

البلدان الشرقية ، والاهتمام بتاريخها وواقعها السياسي والاجتماعي ودور الأديان فيها . إلى الاهتمام بالقديم والتركيز على التراث العربي ، فضلًا عن استحداث المزيد من كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الألمانية[١] .

وقد نعبت المكتبات الألمانية دورًا مهمًا في تطوير الدراسات الاستشراقية ، وكانت هذه المكتبات على قسمين : الأول ألحق بالبلديات ، وتبلغ سبعة آلاف مكتبة . أما القسم الآخر فكان تابعًا للكنائس ، وبلغت أحد عشر ألف مكتبة ، وعدت مكتبة برلين الوطنية ، ومكتبات جامعات : جوتنجين ، وهايدلبرغ ، ومانيس من أغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية ، لا سيما العربية ، وقد قرر مجلس العموم الألماني توسيعها وإنشاء مثيلاتها للمعاهد ، والتنسيق فيما بينها للحيلولة دون تكرارها . كما أقيم متحف للفن الإسلامي في برلين سنة (١٩٠٤م) احتوى على مصحف نادر من القرن السابع الهجري مكتوب بالخط الفارسي . وربما كان لتوافر الإمكانيات المذكورة سابقًا ، مضافًا إليها قيام الوحدة الألمانية سنة ١٨٧٠م هي عوامل مسرعة في تقدم المستوى العلمي للدراسات الشرقية في ألمانيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي الذي شهد بزوغ نخبة من المستشرقين الكبار من أمثال : فريدريش روكرت ، وأوكست ديلمان ، وجاكوب بارت ، وفلايشر ، وهنريخ أوالد ، وغيرهم[٢] .

وتميز الاستشراق الألماني بعدد من الميزات المهمة التي تركت آثارها على المنجز الاستشراقي تجاه التراث العربي بالذات ، فلم ينطلق هذا الاستشراق من منطلقات سياسية أو استعمارية أو دينية . فألمانيا لم يُتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية ، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق ؛ لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان -على حد قول د . المنجد- وظلت محافظة على

(١) الاستشراق الألماني ، ودوره في الدراسات الشرقية ، محمد سعدون المطوري ، ص١٩٧
(٢) السابق ، ص١٩١

الأغلب على التجرد غالبًا ، والروح العلمية[١] .

ومن الميزات التي تميز بها الاستشراق الألماني كذلك أنَّ دراساته عن الحضارة العربية والإسلامية لم تتصف ذفي الأغلب- بروح العدائية للإسلام والمسلمين ، على الرغم من أن بعضهم جاء بآراء مخالفة للعقلية الإسلامية ، كبعض آراء نولدكه عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ، وبعض آراء بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) إلا أنها آراء فردية لا تمثل المنهج العام الذي سار عليه الاستشراق الألماني وانعكس في كتاباته وتحقيقاته عن التراث العربي .

إضافة إلى ذلك فإن المنهج العلمي الدقيق الذي انتهجه الاستشراق الألماني كان له أكبر الأثر في دراساته عن الشرق .

المحور الأول : التعريف بأشهر المستشرقين الألمان ، وبيان إسهاماتهم في النشر النقدي لنصوص التراث العربي .

لن أستطيع هنا بطبيعة الحال التي تفرضها الحدود الضيقة لهذا البحث التعريف بكل المستشرقين الذي ينتمون إلى المدرسة الألمانية في نشر نصوص التراث العربي المخطوط ، فهذا أمر يحتاج إلى دراسات مستقلة ، ربما يتسع بعضها لعدة مجلدات ، وإنما سأقتصر هنا على أعلام هذه المدرسة ، في محاولة لتقديم صورة كلية عن أعلام مدرسة التحقيق الألمانية تصلح أن يُستنبط منها المنهج العام الذي سلكته هذه المدرسة في نشرتها النقدية للتراث العربي ، ومن ثم رصد ملامح التطور في هذا المنهج .

ولكن لن يقتصر هذا المحور على مجرد التعريف بهؤلاء الأعلام فقط ، فهذا مما

(١) المستشرقون الألمان (تراجمهم ، وما أسهموا به في الدراسات العربية) ، دراسات جمعها وشارك فيها د . صلاح الدين المنجد ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، ط١ . ١٩٧٨ ، ١/٨ .

أوفت به كتب تراجم المستشرقين المختلفة، وإنما سأحاول أن أناقش قضية مهمة من خلال هذا المحور، وهي تتمثل في هذا السؤال: هل استطاعت كتب التراجم أن تقدم ترجمات وافية لكل المستشرقين الألمان؟ وما الخلل الناتج عن القصور في هذه الترجمة.

جاكوب ريسكه: (١٧١٦- ١٧٧٤)

وردت معلومات كثيرة عن جاكوب ريسكه في أكثر من مصدر من المصادر التي تعرضت لترجمة هذا المستشرق، وهي معلومات تؤكد حبه للغة العربية ومجاهدته في سبيل تعلمها والقراءة بها، وعشقه لها إلى الحد الذي سبب له بعض المشكلات في حياته الاجتماعية.

ففي الربع الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، وبالأخص في سنة ١٧٣٣م شعر ريسكه برغبة قوية ملحة في داخله تدفعه إلى تعلم اللغة العربية، وبعد فترة وجيزة استطاع إتقان اللغة العربية وتعلم النحو العربي إلى الحد الذي مكنه من قراءة كتاب (عجائب المقدور في وقائع تيمور)، لابن عرب شاه، وهو مخطوط مسجوع كله، وتبعًا لذلك صعبٌ في القراءة على حد قول عبد الرحمن بدوي في ترجمته لريسكه[١].

ولعل أهم محطة في حياة جاكوب ريسكه التي مكنته من العربية وجعلته قوي الصلة بتراثها اطلاعه على مخطوطات مكتبة ليدن بهولندا، حيث سافر إليها سنة ١٧٣٨م، وحضر محاضرات المستشرق الهولندي ألبرتوس اسخولتنز (ت ١٧٥٠م)، وهو الذي وجهه إلى العناية بالشعر العربي، "فنسخ لنفسه في سنة ١٧٣٩ قصائد جرير ولامية العرب، للشنفرى، وديوان طهمان، وفي السنوات التالية نسخ الحماسة، للبحتري، لكن عنايته الأساسية اتجهت إلى المعلقات، فاطلع عليها في المخطوطين

(١) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، ص٢٩٨.

رقمي : ٢٩٢- ٦٢٩ من مخطوطات مجموعة فارنر في ليدن ، بشرحي : التبريزي ، وأبي جعفر النحاس"[١] .

وإن صنيع جاكوب ريسكه في معلقة طرفة بن العبد التي أعدها للنشر يدل على سعة اطلاعه وغزارة علمه بالعربية ، يتضح ذلك من تعليقاته التي تناولت ذعلى حد قول عبد الرحمن بدوي في ترجمته- "سير أفكار الشاعر ، وتشرح الموضوعات المفردة مع مقارنتها بما يرد في سائر المعلقات ، وفي ديوان الهذليين ، وفي الحماستين ، (لأبي تمام والبحتري) وفي شعر المتنبي وأبي العلاء المعري ، وسائر الشعراء . . . وتكلم عن الشروح على المعلقات ، وذكر مختلف الأسماء التي سُميت بها (المعلقات) ، وأعطى بيانًا موجزًا عن مضمون كل واحدة منها ، وعن حياة ناظمها ، وفي نهاية المقدمة يستعرض بالتفصيل حياة طرفة بن العبد . ويقدم جدول أنساب يوضح علاقات النسب بين طرفة وسائر الشعراء الجاهليين[٢] .

وخالف ريسكه المنهج الاستشراقي الذي كان يدرس العربية في دائرة اللغات السامية الأخرى ، الأمر الذي يفرض على المستشرق أن يكون ملمًا بهذه اللغات السامية ، ولكن ريسكه لم يعبأ بتلك اللغات ولم يتعلمها ولم يهب لها من وقته أي شيء ، "لأنه ادركَ أنَّ الاشتغال بها لم يدر أدنى نفع على فقه اللغة العربية في حد ذاته ، وفطن إلى تفاهة صور اللعب الاشتقاقية ، تصيد المعنى الأساسي الوهمي للجذور السامية ، وصرّح بوضوحٍ إذا المرء أراد أن ينهض بدراسة العربية ، فيجب ألا يدرسها دراسة عالم اللاهوت"[٣] .

أمَّا آثاره التي خلَّفها للمكتبة العربية فكثيرة تدل على تمكُّنه في العربية ونبوغه

(١) انظر : موسوعة المستشرقين ، لعبد الرحمن بدوي ، ص٢٩٩ .

(٢) السابق : ص٢٩٩ .

(٣) الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين ، يوهان فوك ، نقله إلى العربية : د . سعيد بحيري ، ود . محسن الدمرداش ، القاهرة : زهراء الشرق ، ص٢١١ .

المبكر في علومها، منها على سبيل المثال: المقامة السادسة والعشرون من الحريري، متنًا وترجمة ألمانية (١٧٣٧)، ومعلقة طرفة بن العبد، بشرح ابن النحاس، متنًا وترجمة لاتينية، بتفسير وحواشٍ، مع مقارنتها بديوان الهذليين وحماستي: البحتري، وأبي تمام، وشعر المتنبي وأبي العلاء، فوضع بها الأساس العلمي للشعر العربي حتى اليوم (ليدن ١٧٤٢)، ومدخل عام إلى تاريخ الإسلام استنادًا إلى حاجي خليفة في ثلاث مجلدات... والمختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء، متنًا وترجمة لاتينية، ورسالة هجو لأبي أوس، بشرح الصفدي، والرسالة الجدية، لابن زيدون، بشرح الصفدي، إلى غير ذلك من تلك المؤلفات التي أثرى بها المكتبة العربية[١].

مارکس مولّر: (١٨٠٩- ١٨٧٤)

توزعت ترجمة ماركس مولّر بين خمسة مصادر حديثة- وقد أطلقنا عليها مصادر تجاوزًا من حيث هي مصدر ترجمته- أولها ما كتبه عنه الكونت فون شاك في كتابه (نصف قرن: ذكريات ودراسات)، ثم ما كتبه عنه يوسف سركيس في كتابه (معجم المطبوعات العربية والمعربة)، ثم ما أورده عبد الرحمن بدوي من ترجمة له في كتابه (موسوعة المستشرقين)، ثم ما أورده الزركلي في كتابه (الأعلام)، ثم ما كتبه عنه كامل الجبوري في (معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢).

وإنَّ أوفى ترجمة لماركس مولّر وردت عند فون شاك، ونقلها عنه عبد الرحمن بدوي في موسوعته عن المستشرقين، حيث لم تزد ترجمة بدوي عن هذه الترجمة إلا قوله "مستشرق ألماني، مصنف فهرس للمخطوطات العربية في منشن (ميونخ)[٢]. يقول فون شاك في ترجمته: " إنه عالم ممتاز في مجال اللغات الشرقية، وخصوصًا

---

(١) انظر آثار جاكوب ريسكه بشكل مفصّل في: المستشرقون، لنجيب العقيقي، القاهرة: دار المعارف، ص٦٩٣.

(٢) موسوعة المستشرقين، ص ٥٦٦.

اللغة العربية ، واتُّهم بالتهمة التي كانت شائعة كثيرًا آنذاك ، وهو أنه (ديمقراطي أحمر) فصار مشبوهًا لدى البلاط الملكي ولدى الوزارة ، ومن بين ما اتُّهم به أنه في ١٨٤٨ حاول ، على رأس مجموعة مسلحة ، الاستيلاء على الحرس الرئيس . لكن كل الذين عرفوا ملَّر لابد أنهم كانوا يعلمون أنَّ هذا غير صحيح . لقد كان مُلَّر من الأحرار ، لكنه لم يكن أبدًا ثوريًا ، وابتعد تمامًا عن السياسة . . . ومع ذلك كان لهذه الوشاية تأثير سيئ على مركزه ، فبقي مرتبه ضئيلًا جدًا ، بينما كان يستحق أن يرفع . وبينما عهد على علماء آخرين بمهمات علمية ، كان مُلر يُهمل دائمًا . وفي ميدان الآداب الشرقية لا يستطيع الفقراء أن يقوموا بعمل مهم دون مساعدة الدولة . . ."[١] .

إلى غير ذلك من تلك الترجمة التي تبين كيف أنَّ السبل تيسرت لمولر بعد ذلك ، وتم إيفاده في مهمة علمية إلى إسبانيا ، واحتك هناك احتكاكًا مباشرًا بالمخطوطات العربية في مكتبة دير الإسكوريال .

يقول (فون شاك) : "وبعد إقامته هناك لمدة قرابة عامين قضى معظمها في الإسكوريال ، عاد مُلَّر بدوافع قوية ومخطوطات نسخها هو ، وتعليقات وفيرة ، ومقتطفات كثيرة- عاد ملَّر إلى منشن . وقد أدهشني كيف أنه استغل وقته خير استغلال . إنَّ المواد التي عاد بها كانت ثمينة جدًا ووفيرة جدًا ، حتى أنه لو قُدر له أن يعيش الكثير من عشرات السنين ، لما استطاع أن يحقق كل النصوص التي جاء بها تحقيقًا نقديًا أو أن يترجمها"[٢] .

ولم أنقل بطبيعة الحال الترجمة كاملة في هذه الدراسة ، وإنما اقتطفت منها ما يخدم المقصد من هذه الدراسة .

(١) موسوعة المستشرقين .

(٢) السابق ، نفسه

وذكر يوسف سركيس أنّ مولّر عني بنشر الكتب الآتي بيانُها(١) :

-أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر ، وهم ملوك غرناطة الأندلس ، أظهرها من النسخة المحفوظة في دير الإسكوريال ، ومعها ترجمة باللغة الألمانية ، مونيخ ١٨٦٣م .

– مجموعة رسائل لابن رشد .

– المجموعة المغربية : استخرجها من جملة تواريخ ، وهي جزءان . وعني الأستاذ مرقص مُلّر بنشر الرسالة المسماة بمقنعة المسائل ، تأليف : لسان الدين بن الخطيب" .

-هنري وستنفلد (١٨٠٨- ١٨٩٩م)

ولد في ٣١ يوليو ١٨٠٨ في موندن Munden (بمقاطعة هانوفر) . وتعلم في مدارس بلده حتى سن السابعة عشرة ، ثم دخل المدرسة الثانوية في هانوفر . وعاش في بيت ناظر هذه المدرسة ، ويدعى جورتفند Grotefund ، وانعقدت بينهما أواصر صداقة علمية حميمة استمرت حتى موت جروتفند في ١٨٥٣"(٢) . ثم دخل جامعة جيتنجن في سنة ١٨٢٧ ، وحضر دروس إيفالد العالم الشهير باللغات السامية ، ثم بعد ذلك بعامين سافر إلى برلين لإتقان اللغات السامية ، حيث تلقى محاضرات على يد أستاذين شهيرين ، هما : ڤلكن (Wilken) وبوب (Bopp) ، ثم حصل على الدكتوراه الأولى من جامعة جوتنجن عام ١٨٣١ م ، وبعدها بسبع سنوات أي في سنة ١٨٣٨ صار أمينًا لمكتبة جامعة جوتنجن ، ثم عُين أستاذًا مساعدًا في جامعة جوتنجن سنة ١٨٤٢ ، ثم رُقّي أستاذًا ذا كرسي في ١٨٥٣م .

وقد خدم وستنفلد العربية بمؤلفات كثيرة تربو على المائتين ، وهذا يدل على

---

(١) انظر : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس ، ٢/ ١٧٩٦ .

(٢) موسوعة المستشرقين ، ص٣٩٩ .

تمكنه في العربية وغزارة إنتاجه ، "وذلك بما حققه ونشره من مخطوطاتها القديمة النادرة التي نسخها بخطه الجميل ، وبما صنفه بالألمانية عن آدابها وتاريخها حتى عُدَّ علامة فيها"[١] .

ومن هذه المصنفات ما يلي : طبقات الحفاظ ، للذهبي (جوتنجن ١٨٣٣-٣٤) ، ووفيات الأعيان ، لابن خلكان بعد مقابلته على عدة مخطوطات ، وتقويم البلدان ، لأبي الفداء (جوتنجن ١٨٣٥) ، واللباب في معرفة الأنساب ، لابن الأثير الجزري (جوتنجن ١٨٣٥) ، ومصادر ابن خلكان (جوتنجن ١٨٣٧) وتهذيب الأسماء ، للنووي ، من سبعة أجزاء في مجلدين (١٨٤٢-٤٧) ، والمشترك وصفًا والمفترق صقعًا ، لياقوت الحموي (ليبزج ١٨٤٦) ، وأكاديميات العرب وأساتذتها ١٨٣٧ ، ويقع في ١٣٦ صفحة مع ٢٢ صفحة نص عربي مكتوب بخط يده ، وقد استخرج فيه فصولًا من طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ، يتكلم فيه عن مدارس بغداد ونيسابور ودمشق والقدس والقاهرة ، ويورد تراجم موجزة عن الأساتذة الذين درَّسوا فيها . . . إلى غير ذلك من المصنَّفات الكثيرة التي لا تطيقها حدود هذا البحث ، ويمكن الوقوف عليها في المصادر التي ترجمت لهنري ويستنفلد[٢] .

-وليم ألورد (١٨٣٨-١٩٠٩م) (فيلهلم الورد)

تعلم ألورد العربية وأولع بآدابها ، مما دفعه إلى الرحلة إلى عواصم الشرق الإسلامي لنسخ مخطوطاتها ، ثم تناولها بالتحقيق والشرح والتعليق ، وإن صنيعه في مجموعته التي عنونها بـ(جُرزة الحاطب وتحفة الطالب) يدل على تمكنه من العربية وعشقه لها ، فقد اشتملت هذه المجموعة على خمسة رسائل مهمة هي : صفة السرج واللجام ، لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، وصفة السحاب والغيث ، لابن دريد ، تلقيب

(١) المستشرقون ، للعقيقي ، ص٧١٣ .

(٢) انظر في مصنفاته : موسوعة المستشرقين ، لعبد الرحمن بدوي ، ص٣٩٩- المستشرقون ، لنجيب العقيقي ، ص٧١٣-٧١٤ .

القوافي ، لابن كيسان ، وديوان طهمان الكلابي ، ومقطعات مراثٍ لبعض العرب .

ويمكن من خلال هذه المجموعة أن نتوصل لمنهجه في النشر النقدي لنصوص التراث العربي ، والتي غالبًا ما كانت تدور حول إتاحة النص المخطوط كما هو دون التعليق عليه إلا في بعض المواطن فقط ، ثم التدقيق على المستوى اللغوي للنص ، فالفهرس الذي صنعه ألورد للألفاظ المفسرة الواردة في كتاب ابن دريد (صفة السحاب والغيث) يدل على المنهج اللغوي في معالجة النص المخطوط ، وكذلك ملاحظاته التي أوردها في نهاية نشرته لديوان طهمان الكلابي تدل على سعة علمه بالعربية ، وخاصة أنساب العرب ، فقد شرح السكري البيت العاشر من قصيدة طهمان التي أنشدها بين يدي عبد الملك بن مروان ، والذي يقول فيه :

إذا شبَّ منهم ناشئٌ شبَّ لاعنًا لمرْوان والملعُون منهم لَعِينُها

قال السكري : وكان يُهاجي موزون بن عمير بن هانئ بن ربيعة بن عبد بن أبي بكر ، وهانئ بن شِبل بن مَزْيَد بن أبي ربيعة بن عبد بن أبي بكر وهانئ بن عمير[١] .

فقد علَّق وليم ألورد على هذا بقوله إنَّه يوجد شخصان يتشابهان في هذا الاسم هما : مَوزون هانئ بن عمير بن هانئ بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، وهانئ موزون بن يزيد بن شبل بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب[٢] .

(١) انظر : جرزة الحاطب وتحفة الطالب (ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، برواية : أبي سعيد السكري) ، وليم ألورد ، ص٨٤ .
(٢) السابق : ص ٩٣ .

40) These names seem to be rather corrupt. Comparing the different forms in which they subsequently occur, I think that we have two persons of each name before us.

مُوزِن / هانِئ } بن عُمَيْر بن هانِئ

هانِئ / مُوزِن } بن يَزِيد بن شِبْل

} بن رَبِيعَة بن عَبْد الله بن أبي بَكْر بن كِلاب

وقد نشر ألورد أيضًا قصيدة تأبط شرًا في أخذ الثأر وسفك الدماء بشرح واف ، والفخري في الآداب السلطانية ، لابن الطقطقى ، وديوان أبي نواس على مخطوطي : برلين ، وفيينا ، وبمعاونة دي خويه : فتوح البلدان ، للبلاذري ، في ثلاثة أجزاء . وله : العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، بمقدمة إنجليزية ، وتذييل يشتمل على المخطوطات الباريسية والجوطية والليدنية ، وذكر السبب في قول المعلقات واختلاف نسخها ، ونشر تاريخًا عربيًا لمؤلف مجهول ، والجزء الحادي عشر من أنساب الأشراف ، للبلاذري ، وقد بلغ الذروة في وضعه فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية في عشرة مجلدات جسيمة ، وصف ما يربو على عشرة آلاف مخطوط عربي تحوي كنوز الثقافة العربية وصفًا علميًا دقيقًا ، ونشر أشعار خلف الأحمر ، ومجموع أشعار العرب في ثلاثة أجزاء . ومن مصنفاته : شعر العرب وشاعريتهم ، وملاحظات على صحة الشعر الجاهلي(١) .

تيودور نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣٠)

ما تزال رسالته (أصل وتركيب سور القرآن) ، والتي نال بها جائزة مجمع

(١) المستشرقون ، للعقيقي ، ص٧٢١ .

الكتابات والآداب في باريس (١٨٥٨)، والتي أعاد النظر فيها وترجمها إلى الألمانية ونشرها بعنوان: تاريخ النص القرآني، ما تزال موضع ردود وانتقادات إلى الآن، وهذا يدل على وجهته المبكرة في دراسة الأدب العربي.

وكان لدى نولدكه اهتمام خاص بالشعر العربي، فقد نشر على صفحات المجلة الآشورية عدة دواوين شعرية مهمة في تلك الفترة المبكرة، مثل ديوان أمية بن أبي الصلت، والسموءل، وديوان معن بن أوس المزني، وديوان قيس بن الحطيم، وديوان عمر بن قميئة، وديوان ذي الرُّمة، وديوان النصارى. كما نشر على صفحات المجلة الشرقية الألمانية لامية الشنفرى، ثم ترجمها إلى الإنجليزية عن نص دي ساسي، وجمهرة أشعار العرب، وديوان الصحاح، وديوان طرفة. كما نشر في جوتنجن (١٨٦٣) ديوان عروة بن الورد... إلى غير ذلك من تلك النشرات المهمة التي تعكس اهتمامه بالشعر العربي.

ولعل هذه النشرات تؤكد مسألة مهمة تتمثل في أنَّ الشعر العربي كان هو المتكأ لنولدكه في فهم العربية وليس الدراسات القرآنية كما هو مشهور[١]، فما نشره من دراسات عن دواوين الشعر العربي، إضافة إلى النشرات الخاصة ببعض هذه الدواوين أكسبه فهماً جيداً عن العربية.

أما عن مؤلفاته الفكرية فقد كتب نولدكه عدة مؤلفاته منها على سبيل المثال: تاريخ النص القرآني، وفكرة عامة عن حياة محمد، وفي سبيل فهم الشعر العربي، وتاريخ الشعوب السامية، وعلم الأنساب في جزيرة العرب، وسيرة محمد، وتاريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين، ودراسات تاريخية عن فارس، ومنتخبات... إلى غير ذلك من تلك المؤلفات التي ذكرتها له كتب التراجم التي تعرضت لترجمته[٢].

(١) انظر دراسة بعنوان: أخبار وانتقادات، لتيودور نولدكه، وهي دراسة انتقد بها آراء المستشرق البلجيكي هنري لامنس، ترجمة: قاسم العكيلي: مجلة دراسات استشراقية، العدد الرابع، ربيع ٢٠١٥م، ص ٢٧٥- ٢٨٤.

(٢) انظر: المستشرقون، للعقيقي، ص٧٣٨.

ويمكن فهم منهج نولدكه في تعامله مع النصوص العربية ، فقد غلب عليها التعمق بفقه اللغة (الفيولوجيا) ، وقد انعكس ذلك في دراساته المختلفة ، ويمكن الاعتماد على مصدرين ندلل بهما على هذا المنهج ، وهذان المصدران هما : كتابه تاريخ القرآن ، ومقالته في الرد على هنري لامنس ، والتي جاءت تحت عنوان : أخبار وانتقادات .

كارك بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م)

تلميذ نولدكه النجيب ، والذي ذاعت شهرته في علم العربية ، حتى غدت مؤلفاته مرجعًا للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي ، توزع إنتاجه بين مؤلفات تعالج قضايا مهمة في التراث العربي ، ونشرات نقدية لنصوصه الخطية ، فنشر عيون الأخبار ، لابن قتيبة(برلين ١٩٠٠) ، وتلقيح فهوم أهل الأثر ، لابن الجوزي ، وهي رسالته للأستاذية (ليدن ١٨٩٢) ، وكتاب الوفا في فضائل المصطفى ، عن مخطوط ليدن (ليبزج ١٨٩٥م) ، ورسالة في لحن العامة ، للكسائي ، مزيلة بشروح وفوائد ، والمجلد الثامن من كتاب الطبقات الكبير ، لابن سعد ، وهو المجلد الخاص بسير النساء (ليدن ١٩٠٤) . . . وغيرها من النشرات النقدية لنصوص التراث العربي المخطوط . أمَّا انتاجه الفكري فغزير جداً أيضًا يكاد يفوق معالجاته لنصوص التراث العربي ، من ذلك على سبيل المثال : العلاقة بين كتاب الكامل ، لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك ، للطبري ، وهي رسالته للدكتوراه (ستراسبورج ١٨٩٠) ، وتراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق للمغازي (ليدن ١٨٩٠) ، وتاريخ الآداب النصرانية في الشرق (ليبزج ١٩٠٧م) ، وكتاب المفصل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية (برلين ١٩٠٧) ، وتاريخ الشعوب الإسلامية ، في خمسة أجزاء (ميونخ- برلين ١٩٣٩) ، إضافة إلى مؤلَّفه الضخم تاريخ الأدب العربي ، والذي عرض فيه تراجم العلماء والأدباء في العصور الإسلامية جمعاء ، وذيَّل كل ترجمة

بمصادرها، ووصف الكتب وميزاتها وتاريخ طبعها، ومكانها في الشرق والغرب، وأحصى المخطوطات في مكتبات أوربا، فجاء نموذجًا في ترتيبه وسعة دقته، كدائرة معارف للأعلام الإسلامية والعربية والمكتبة الشرقية لمؤرخي الآداب خلال الخمسين سنة الأخيرة، وقد نقل منه ثلاثة مجلدات إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، ونشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، إلى غير ذلك من المؤلفات الفكرية الكثيرة.

ولقد كان لفهارس المخطوطات حظ في مؤلفات كارل بروكلمان، فقد صنع فهرسًا للمخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية في مكتبة مدينة برسلاو (١٩٠٠م)، وفهرس المخطوطات الشرقية- خلا العبرية- في مكتبة هامبورج الوطنية، القسم الأول: المخطوطات العربية والفارسية والتركية والملقية والقبطية والسريانية والحبشية، في ٢٤٦ صفحة (هامبورج ١٩٠٨م). إضافة لى ذلك فلكارل بروكلمان إسهامات كبرى في دائرة المعارف الإسلامية[١].

أمَّا عن منهجه في النشر النقدي لنصوص التراث العربي المخطوط فيمكن الوقوف عليها من خلال نشره لكتاب (عيون الأخبار)، لابن قتيبة، فقد نشره كارل بروكلمان في أربعة أجزاء، نشر الجزء الأول في برلين ١٩٠٠، ونشر الجزء الثاني في ستراسبورج سنة ١٩٠٣م، والثالث (١٩٠٦م)، والرابع (١٩٠٨م)، وسنتحدث ذبحول الله- عن هذا المنهج بشيء من التفصيل في المحور الثاني من محاور المؤتمر.

-يوسف شاخت (١٩٠٢م- ١٩٦٩م)

مستشرق ألماني الجنسية، ولد في بلدة راتيبور في الخامس عشر من مارس سنة ١٩٠٢م، وتقع هذه البلدة في إقليم شيلزبان الألماني، أمَّا الآن فهي تخضع للسيطرة البولندية، وكانت ديانته مثار جدل بين المشارقة والغربيين، فقد ذكر بعض الباحثين

(١) انظر في ترجمته: المستشرقون، للعقيقي، ص٧٧٧- المستشرقون، لعبد الرحمن بدوي، ص٩٨.

العرب أنه كان يهوديًا ، في حين نفى بعض معاصريه وتلامذته يهوديته ، فممن قال بيهوديته من العرب د . أكرم ضياء العمري في كتابه (موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية) ، حيث قال مستعرضًا اهتمامات بعض المستشرقين بعلوم التراث الإسلامي : "في حين ركّز جوزيف شاخت على أحاديث الأحكام في كتابه (أصول الشريعة المحمدية) ، وكتابه الآخر (مقدمة في الفقه الإسلامي) ، وهو يهودي الديانة بريطاني الجنسية"[(١)] .

وكذلك ممن قال بيهوديته من الباحثين العرب د . مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)[(٢)] .

وقد نفى عنه اليهودية برنارد لويس في مقال بعنوان : جوزيف شاخت ، وكذلك معاصره روبير برونشفيج في مقاله : يوسف شاخت حياته وآثاره[(٣)] .

تخرّج شاخت في جامعتي برسلو وليبزج ، وعين أستاذًا في جامعة فرايبورج (١٩٢٧م) ، وفي جامعة كونسبرج (١٩٣٢) ، وفي الجامعة المصرية (١٩٣٤) ، ومحاضرًا للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد (١٩٤٨) وأستاذًا للأحداث العلمية في جامعة الجزائر(١٩٥٢) ، وأستاذًا في جامعة ليدن (١٩٥٤) ، وأستاذًا زائرًا في جامعة كولومبيا (١٩٥٧) ، وانتُخب عضوًا في مجامع وجمعيات ونواد عدة ، منها المجمع العلمي العربي في دمشق[(٤)] .

وقد كان الفقه الإسلامي هو الحقل الدراسي الأول الذي انصرف إليه جوزيف

---

(١) موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية ، د . أكرم ضياء العمري ، ص ٧١-٧٢ .

(٢) السنة ومكانته في التشريع الإسلامي ، د . مصطفى السباعي ، ص٢٩ .

(٣) انظر دراسة بعنوان : العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية ، لخالد بن منصور بن عبد الله الدريس ، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية ، عام ١٤٢٥هـ ، ص٥ .

(٤) انظر في ترجمته : المستشرقون ، للعقيقي ، ص٨٠٣ - ٨٠٤ .

شاخت ، ويعد كتابه (أصول الفقه المحمدي) من أشهر مؤلفاته ، بل هو المصدر الأول في هذا الباب لدي المستشرقين الغربيين .

أمًا عن نشراته النقدية لنصوص التراث الإسلامي ، فقد نشر جوزيف شاخت كتاب (الحيل والمخارج) ، للخصاف (سنة ١٩٢٣) وكتب له مقدمة وحواش ، وكتاب (الحيل في الفقه) ، للقزويني ، وترجمه إلى الألمانية (سنة ١٩٢٤م) ، وكتاب (المخارج في الحيل) ، للشيباني ، من مخطوطات متعددة بمقدمة وتعاليق ، وذيله برواية أخرى للسرخسي (ليبزج ١٩٣٠) ، وأذكار الحقوق والرهون من كتاب (الجامع الكبير في الشروط) ، للطحاوي ، وكتاب (الشفعة من كتاب الطحاوي) ، ودراسات في خزائن استانبول والقاهرة ، في ثلاثة أجزاء (برلين ١٩٢٨) ، ورسالة جالينوس في الأسماء الطبية ، لحنين بن إسحاق (برلين ١٩٣١ بمعاونة مايرهوف) ، والرسالة الكاملية ، لابن النفيس ، وخمس رسائل لابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري ، متنًا وترجمة إنجليزية (القاهرة ١٩٣٧) [1] . . .إلى غير ذلك من النشرات والمؤلفات الفكرية التي تدل على غزارة إنتاجه العلمي .

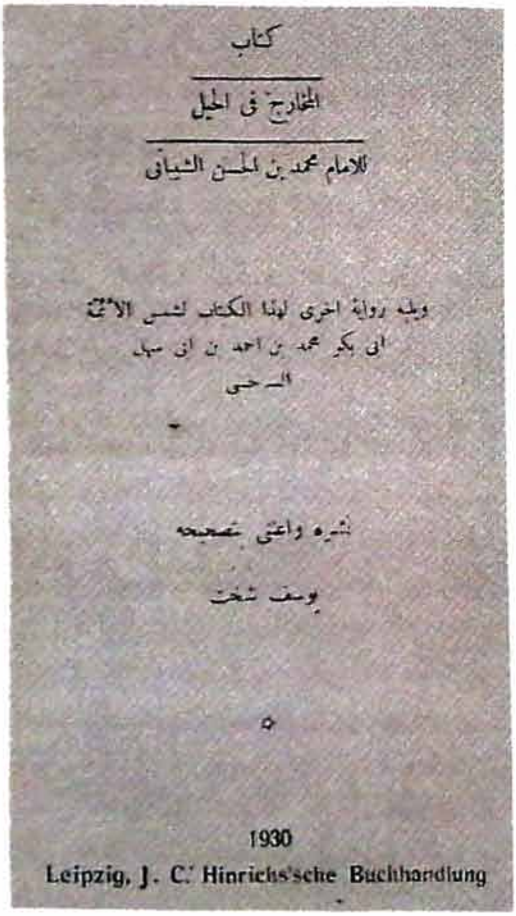
أمًا عن منهج جوزيف شاخت في تعامله مع نصوص التراث العربي فيمكن الوقوف عليها من خلال نشرته لكتاب (المخارج في الحيل) ، لمحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) فقد حقق هذا الكتاب على عدة نسخ خطية ، كما ذكر ذلك العقيقي في ترجمته ، وذيله برواية أخرى للسرخسي ، وقد وقفت على هذه النشرة التي نشرها شاخت في ليبزج ١٩٣٠ ، ثم أعادت مكتبة المثنى ببغداد طباعتها بالأوفست ، وقد تبيَّن لي من خلالها أنَّ شاخت سار على نفس المنهج الذي سار عليه الاستشراق في تعامله مع نصوص التراث العربي ، فقد جاءت طبعته خالية من أية إشارات إلى النسخ التي اعتمد عليها في نشرته لهذا الكتاب المهم ، وهو (كتاب

(١) انظر : المستشرقون ، للعقيقي ، ص ٨٠٣-٨٠٤ .

الحيل) ، لمحمد بن الحسن الشيباني ، باستثناء بعض الأرقام الواردة في حاشية المتن ، والتي ربما تشير إلى اختلافات بين النسخ الخطية ، ولكن لم يشر إلى ذلك في نهاية هذه النشرة التي ذكر في آخرها فهرسين فقط ، هما : فهرس الموضوعات ، وفهرس الأسماء الواردة في المتن ، ومكان ورودها .

وكذلك -جريًا على منهج المستشرقين في تعاملهم مع النصوص العربية المخطوطة- لم تحظ الفروق بين النسخ الخطية بأي اهتمام من قبل شاخت في كتابه هذا ، ولم أقف له على مقدمة قدم بها لنشرته هذه ، وإن كان العقيقي ذكر أنَّه قدم لها بمقدمة ، ولعله كتبها ، ولكن لم تطبعها مكتبة المثني .

والشيء الوحيد الذي يعد تطورًا حقيقيًا في نشرة شاخت لكتاب الحيل لمحمد ابن الحسن الشيباني هو الرواية الأخرى التي ذيَّل بها نشرته هذه ، وهي رواية السرخسي ، وهذا موطن جدة غير معهودة عند المستشرقين قبله فيما أعلم . ولكن كان شاخت دقيقًا في تعامله مع الأعلام الواردة في المتن المحقق ، فقد ميَّز بشكل جيد في الفهرس المصنوع لهم في نهاية النشرة بين الأعلام الواردة في الروايتين .


كتاب
المخارج فى الحيل
للامام محمد بن الحسن الشيبانى
ويليه رواية اخرى لهذا الكتاب لشمس الائمة
ابى بكر محمد بن احمد بن ابى سهل
السرخسى
نشره واعتنى بتصحيحه
يوسف شخت
1930
Leipzig, J. C. Hinrichs'sche Buchhandlung

المحور الثاني : منهج المدرسة الألمانية في نشر نصوص التراث العربي (الملامح والسمات) .

أمَّا عن منهج المدرسة الألمانية في نشر نصوص التراث العربي فبين أيدينا الآن سبع نشرات لسبعة من المسترقين الألمان يمكن من

خلالها رصد ملامح هذا المنهج، وأظن أنَّ هذه الطريقة هي المثلى في الحكم على نشرات المستشرقين لنصوص التراث العربي، بدلًا من النقل من هنا وهناك.

وهذه النشرات السبع، هي:

- نشرة ماركس مولر لرسائل ابن رشد.
- نشرة وليم ألورد لديوان طَهْمان بن عمرو الكلابي برواية السكري، وثلاث رسائل أخرى ضمنها كتابه (جُرزة الحاطب).
- نشرة كارل بروكلمان لكتاب (عيون الأخبار)، لابن قتيبة.
- نشرة يوسف شاخت لكتاب (المخارج في الحيل)، للشيباني.
- نشرة هلموت ريتر لكتاب مقالات الإسلاميين، للأشعري.
- نشرة برجشتراسر لكتاب (شواذ القرآن)، لابن خالويه.
- كتاب (أمراء غسان)، لتيودور نولدكه.

هذه هي النشرات السبع التي يمكن من خلالها استخلاص منهج المدرسة الألمانية في نشر التراث العربي المخطوط، وميزة هذه النشرات أنها ترتبط بتطور تاريخي يمكن من خلاله الوقوف على تطور فكرة التعامل مع النصوص الخطية في أذهان المستشرقين، فقد نشر ماركس مولر الرسائل الثلاث، لابن رشد في عام ١٨٥٩م، ونشر برجشتراسر مختصر شواذ القرآن، لابن خالويه في ثلاثينيات القرن العشرين، وبالتحديد (١٩٣٤م) بحسب نشرة المكتبة الرحمانية بمصر، وبين التاريخين قرابة القرنين من الزمان تطورت فيهما فكرة التعامل مع النص المخطوط عند المستشرقين، وهذا ما سنحاول بيانه في هذا المحور إن شاء الله تعالى.

ولكن قبل الحديث عن عملية التطور هذه التي أحدثها كثرة التعامل مع النصوص العربية عند المستشرقين يجب أن نحدد الإطار التي سيتم مناقشة منهج المحققين في التعامل مع نصوص التراث الإسلامي في ضوئه، وهذا أمر مهم؛ لأنه

يرسم الخريطة العامة التي سيتم في ضوئها الحديث عن هذا المنهج .

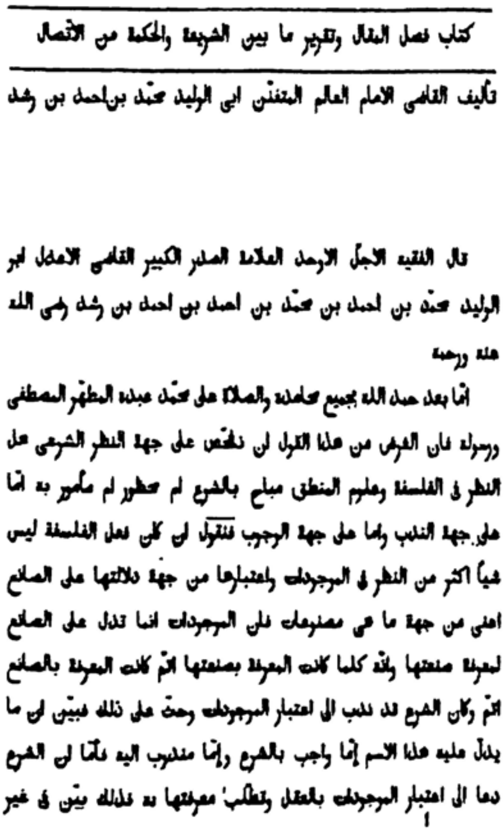
ويتضمن هذا الإطار الحديث عن القضيتين التاليتين :

أولاً- إتاحة النص المخطوط بين الاعتماد على إحدى نسخه الخطية وجمع نسخه الأخرى .

ثانيًا- التعليق على النص وخدمته . (الحوار مع النص) .

إتاحة النص المخطوط بين الاعتماد على إحدى نسخه الخطية وجمع نسخه الأخرى

قد يكون من المهم في البداية أن نقرر أن فكرة العموم التي تُطلق على تعامل الدرس الاستشراقي مع التراث مرفوضة في هذا السياق ، فالقول بأنَّ الاستشراق في عمومه كان غرضه إتاحة النص على أي نسخه ، دون الاعتداد بفكرة الاعتماد على بقية النسخ الخطية للمتن قول مرفوض في عمومه هكذا ، فقد ساد في الأوساط الثقافية المهتمة بدراسة المنجز التحقيقي للمستشرقين أن الاستشراق لا يهمه ضبط النص من حيث صحة المتن ، والتأكد من صدق النص من خلال الاعتماد على النسخ الخطية المختلفة في عملية المعالجة التحقيقية ، وإنما يكفيهم فقط إتاحة النص ، بالاعتماد على إحدى نسخه الخطية فقط ، وهذا تعميم مرفوض ، صحيح أنه من بين المستشرقين الألمان ما اعتمد في نشر النص على إحدى نسخه الخطية فقط ، ولكن من بين هؤلاء المستشرقين الألمان أيضًا ما نجد في نشرته للنص المخطوط أثرًا لنسخ خطية أخرى


كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

تأليف القاضي الامام العالم المتفنن ابي الوليد محمّد بن احمد بن رشد

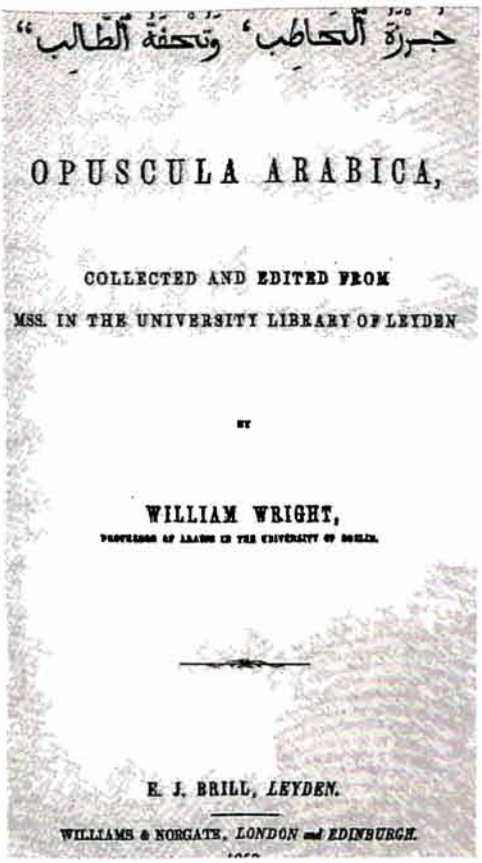
قال الفقيه الاجلّ الاوحد العلامة الصدر الكبير القاضي الافضل ابو الوليد محمّد بن احمد بن محمّد بن احمد بن احمد بن رشد رضي الله عنه ورحمه

اما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة على محمّد عبده المطهّر المصطفى ورسوله فان الغرض من هذا القول ان نفحص على جهة النظر الشرعي هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع ام محظور ام مأمور به اما على جهة الندب واما على جهة الوجوب فنقول ان كان فعل الفلسفة ليس شيأ اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع اعني من جهة ما هي مصنوعات فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها وانّه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتمّ كانت المعرفة بالصانع اتمّ وكان الشرع قد ندب الى اعتبار الموجودات وحثّ على ذلك فبيّن ان ما يدلّ عليه هذا الاسم إمّا واجب بالشرع وإمّا مندوب اليه فامّا ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلّب معرفتها به فذلك بيّن في غير

١

أدخلها المستشرق في برنامج تحقيقه للنص المخطوط ، مما يمثل تطوراً مهمًا في تعامل الاستشراق الألماني مع النصوص العربية المخطوطة ، وهذه مسألة في غاية الأهمية نحاول إقرارها في هذه الدراسة التي تحاول أن ترصد منهج مدرسة الاستشراق الألماني في تعاملها مع نصوص التراث العربي المخطوط .

فماركس مولَّر- على سبيل المثال- نشر ثلاث رسائل لابن رشد في ميونخ سنة ١٨٥٩م معتمداً على مخطوطة دير الإسكوريال ، والتي تقع تحت رقم رقم (٦٣٢) وتاريخ نسخه سنة ٧٢٤ هجرية ، (١٣٢٤م) ومخطوط الإسكوريال هذا يشتمل على النصوص الرشيدية الثلاثة : فصل المقال ، والضميمة ، ومناهج الأدلة . كما أخبر بذلك الدكتور محمد عمارة في المقدمة التي صنعها لإعادة تحقيق فصل المقال مرة أخرى[١] . وقد جلب مولر هذه النسخة الخطية من رحلته العلمية إلى إسبانيا ؛ لذلك لا نجد أثراً لنسخ خطية أخرى عالج مولر النص في ضوئها ، وإنما كل ما فعله المستشرق هو إتاحة النص معتمداً على نسخة الإسكوريال فقط .


جِزْرَةُ ٱلْحَاطِبِ وَتُحْفَةُ ٱلطَّالِبِ

OPUSCULA ARABICA,

COLLECTED AND EDITED FROM
MSS. IN THE UNIVERSITY LIBRARY OF LEYDEN

BY

WILLIAM WRIGHT,
PROFESSOR OF ARABIC IN THE UNIVERSITY OF DUBLIN.

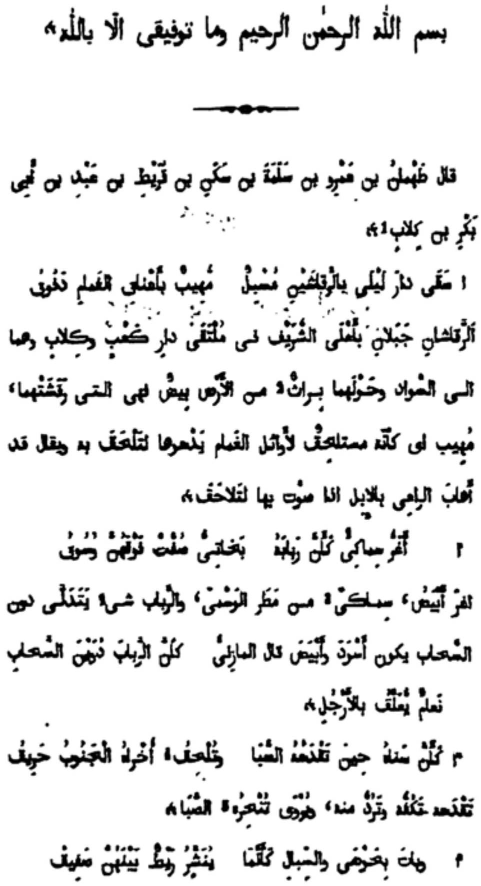
E. J. BRILL, LEYDEN.
WILLIAMS & NORGATE, LONDON and EDINBURGH.

إذن فنشرة مولَّر يمكن ان تمثل الرأي القائل بأنَّ الاستشراق في عمومه- فضلًا عن الاستشراق الألماني- كان غرضه إتاحة النص فقط معتمداً على بعض نسخه ، دون الالتفات إلى بقية النسخ الخطية للنص المخطوط .

(١) انظر فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، عمارة ، دار المعارف بمصر ، ص١٢ .

ويمكن أن يدخل معه في هذا الإطار تحقيق وليم ألورد لديوان طهمان بن عمرو الكلابي برواية أبي سعيد السكري ، فألورد نشر النص فقط معتمداً على بعض نسخه الخطية ، دون أن نجد أثرًا لنسخ أخرى في برنامج التحقيق أو في عملية نشره ومعالجته لهذا الديوان الذي يمثل نصًا عربيًا أصيلًا .

وقد طُبعت نشرة وليم ألورد ضمن كتاب (جُرْزَةُ الحاطِبِ وتحفَةُ الطالبِ) ، والذي ضمَّ عدد من الرسائل الأخرى بالإضافة إلى ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، حيث ضمَّ كتاب صفة السرج واللجام ؛ لابن دريد الأزدي ، وكتاب صفة السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلأ ، لابن دريد أيضًا ، وكتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها ، لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان(١) .


بسم اللّه الرحمٰن الرحيم وما توفيقى الّا باللّه

قال طَهمانُ بن عَمْرِو بن سَلَمَةَ بن سَكَنِ بن قُرَيْطِ بن عَبْدِ بن أُبَى بَكْرِ بن كِلاب

١ سَقَى دارَ لَيْلَى بالرَّقاشَيْنِ مُسْبِلٌ مُهِيبٌ بأَعْناقِ الغَمامِ دَفُوقُ

الرَّقاشانِ جَبَلانِ بأَعْلَى الشُّرَيْف فى مُلْتَقَى دارِ كَعْبٍ وكِلاب وهما الى السَّواد وحَوْلَهما بِراثٌ من الأرض بيضٌ فهى التى رَقَّشَتْهما، مُهِيب اى كأنّه مستلحِقٌ لأوائل الغمام يَدْعوها لتلحَقَ به ويقال قد أهابَ الراعى بالابل اذا صوّت بها لتلاحَقَ

٢ أَغَرُّ سِماكِىٌّ كأَنَّ رَبابَهُ بَخاتِىُّ صُفَّتْ فوقَهُنَّ وُسُوقُ

أغرّ أبيض، سِماكىّ من مَطَر الوَسْمىّ، والرَّباب شىء يَتَدَلَّى دون السَّحاب يكون أسْوَدَ وأبيضَ قال المازنىّ كأنّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ نَعامٌ تُعَلَّقُ بالأَرْجُلِ

٣ كأَنَّ سَناهُ حِينَ تَقْدَحُهُ الصَّبا وتُلْعِجُهُ أُخْرَى الجَنُوبِ حَرِيقُ

تَقْدَحه تُكَلِّفُه وتَرُدُّ منه، هَوَى تَسْتَخِرُه الصَّبا

٤ وهَتْ بِخَرْضَى والسِّبالِ كأَنَّما يُنَشِّرُ رَيْطًا بينَهُنَّ صَفِيقُ

وكل هذه النشرات التي ضمها هذا الكتاب (جُرزة الحاطب وتحفة الطالب) نشرها وليم ألورد معتمداً على نسخ خطية واحدة فقط لكل رسالة ، ومن ثمَّ فهي تصلح أن تكون دليلًا على الرأي القائل بأن المنهج الاستشراقي في نشره لنصوص التراث العربي لا يعبأ بحضور النسخ الخطية الأخرى للنص الواحد ، بل يمكن إتاحته أو نشره اعتمادًا على بعض نسخه الخطية فقط .

---

(١) انظر : جُرزة الحاطب وتحفة الطالب ، اختيار وتحقيق وليم ألورد ، لندن ، ١٨٥٩ .

ولكن عند تأمل نشرات وليم ألورد لهذه الرسائل الأربعة نلاحظ أمرًا جديدًا لم يكن موجودًا عند ماركس مولر في نشره لرسائل ابن رشد ، وهذا

الأمر الجديد هو وجود أثر للتعليق على النص المنشور ، وهذا الأثر ربما يظهر هنا لأول مرة على مستوى الاستشراق الألماني ، فقد عقَّب ألورد نشرته لكل رسالة من الرسائل الأربعة التي ضمها كتابه (جُرزة الحاطب) بملاحظات ارتبطت بأرقام داخل النشرة التي صنعها للنص المخطوط ، وهي من قبيل التعليق على النص ، من ذلك على سبيل المثال قوله معلقًا على ما أورده ابن كيسان في رسالته (تلقيب القوافي وتلقيب حركاته) ، حيث يقول : وأمَّا الردف في الموصول بالهاء فقوله[1] :

مَهْلًا فِدَاء لك يا فَضَالة

أَجِـرْه الرَّمْحُ ولا تُهَالهْ

حيث علَّق وليم ألورد على لفظة (فداء) بقوله : "يقالُ : قُم فِدًا لك أبي ، ومن العربِ من يكسرُ فِدَاءً بالتنوينِ إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول : فداءً لك ، لأنه نكرة ، يريدون به معنى الدعاء ، وأنشد الأصمعي للنابغة :

مَهْلًا فِدَاءٌ لك الأقوامُ كُلُّهم

ومَا أُثْمروا من مَالٍ ومن وَلَد"[2] .

وقد وردت هذه التعليقات في نهاية

10) Marg. note: لُراد فاضْرِبَنْ فحَذَفَ النونَ وتَرَكَ الفتحةَ تَدُلّ عليها
I have added the word النون, which is wanting in the Ms.

11) On this form Al-Jauhari remarks: يقال قُمْ فِدًا لك أبى ومن العَرَب مَنْ يَكْسِر فداء بالتنوين اذا جاور لامَ الجَرّ خاصّةً فيقول فداءٍ لك لأنّه نكرةٌ يريدون به معنى الدُّعاء وانشد الأصْمعىُّ للنابغة مَهْلًا فِداءٍ لك الأقوامُ كُلُّهمُ وما أُثَمِّرُ من مَالٍ ومن وَلَدِ
On this verse the commentator in the Oxford Ms. of the Diwân of the Six Poets, reading فداء لك, remarks: وأمّا مَنْ يُرْوَى فداءِ لك بكَسْر الهَمْزة جازَ ذلك لأنّها كَثُرَتْ فى الاستعمال ووَقَعَتْ مَوْقِعَ الدُّعاء فبُنِيَتْ ودَخَلها التنوينُ مع البِناء كما دَخَلَ ايه وما أَشْبَهَ ذلك فَرْقًا بين المَعْرِفة والنَّكِرة

12) Al-Jauhari, art. رجم: رِجامٌ موضعٌ قال لَبِيدٌ بمنى تأبّد غَولُها فرِجامُها

13) Ms. جُنَّفَى

14) Al-Jauhari cites these verses in the art. بزز, ascribing them to خَلَد ابن زُهَيْر الهُذَلىّ. He has كأنّى instead of كأنّما, and explains بزّ by يَجْلِب اليه

15) A verse of Tarafa's, cited by Al-Jauhari, art. حنى

16) The first verse of a poem by العَجّاج, cited by Al-Jauhari, art. جبر
The verb جبر is here used, as Al-Jauhari remarks, both in its transitive and intransitive signification.

17) See the Diwân of Imrau 'l-Kais, ed. de Slane, p. ff. In the third verse de Slane has قُرّ, which is an error; قَرّ is the reading of the Leyden Ms. 901.

18) Cited by Al-Jauhari, art. خمش, with the var. عاشم جَنْدلا. In the next verse صلاحِ (also صَلاحِ) is a name of Makka.

---

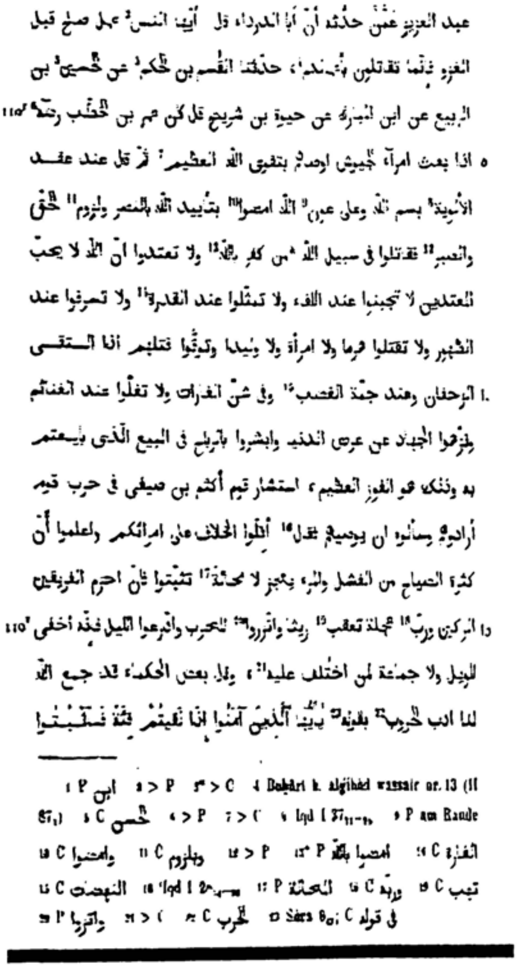
(١) جُرزة الحاطب وتحفة الطالب ، ص٥٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٢ .

النشرة مشارٌ إليها بأرقام داخل النص المحقَّق .

وما فعله وليم ألورد هنا يعدُّ تطوراً مهماً في تعامل الاستشراق الألماني مع النص المخطوط ، فقد نشر ألورد الرسائل الأربع التي يحوها كتاب (جُرزة الحاطب) في نفس السنة تقريبًا التي نشر فيه مولر رسائل ابن رشد الثلاث ، ورغم ذلك وُجد هذا الاختلاف بينهما في تعاملهما مع النص المخطوط من حيث نشره والتعليق عليه ، وهذه تعد ذفي رأيي- أولى حلقات التطوير في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع النص المخطوط .

وبمراجعة نشرة كارل بروكلمان لكتاب (عيون الأخبار) ، لابن قتيبة نجد أنَّ منهج المدرسة الألمانية في نشر نصوص التراث العربي المخطوط قد تطورت تطوراً آخر ملحوظًا ، فلم يعد الأمر يتوقف عند مجرد إتاحة النص المخطوط ، اعتماداً على إحدى نسخه الخطية فقط كما عند ماركس مولّر ، ولم يتوقف عند حد التعليق على النص في شكل ملاحظات على المتن كما فعل ألورد في ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، وإنما تطور الأمر بشكل ملحوظ مع كارل بروكلمان في نشرته لعيون الأخبار ، لابن قتيبة ، حيث نجد أثراً واضحًا لدخول نسخ خطية أخرى في برنامج تحقيق النص ، فقد أدخل بروكلمان نسخ خطية أخرى في نشرته

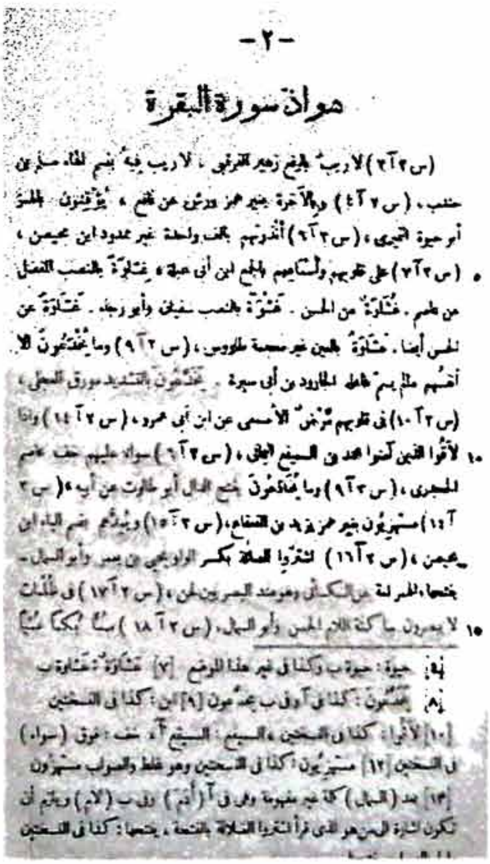

عبد العزيز غشن حدثه أن أبا الدرداء قال أيها الناس[2] عمل صالح قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالكم، حدثنا القسم بن الحكم[3] عن الحسين[4] بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال كان عمر بن الخطاب رحمه الله ١١٥
٥ اذا بعث امراء الجيوش اوصاهم بتقوى الله العظيم[7] ثم قال عند عقد الألوية[8] بسم الله وعلى عون[9] الله امضوا[10] بتأييد الله بالنصر ولزوم[11] الحق والصبر[12] فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله[13] ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة[14] ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقّوا قتلهم اذا التقى
١٠ الزحفان وعند حمة النهضات[15] وفي شن الغارات ولا تغلّوا عند الغنائم ونزّهوا الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالربح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم، استشار قوم أكثم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه ان يوصيهم فقال[16] أقلّوا الخلاف على امرائكم واعلموا أنّ كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة[17] تثبّتوا فانّ احزم الفريقين
١٥ الركين وربّ[18] عجلة تعقب[19] ريثا واتّزروا[20] للحرب وادّرعوا الليل فانّه أخفى للويل ولا جماعة لمن اختلف عليه[21]، وقال بعض الحكماء قد جمع الله لنا ادب الحرب[22] بقوله[23] يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا

1 P ابن 2 > P 3 > C 4 Bokhari k. algihâd wassair nr. 13 (II 87,1) 5 C الحسن 6 > P 7 > C 8 Iqd I 37,11-14 9 P am Rande 10 C القدرة 11 C امضوا بالله 12 > P 13 P ولزوم 14 C وامضوا 15 C تيب 16 C وربه 17 P المحالة 18 Iqd I 2... 19 C النهضات 20 C في قوله 21 Sûra 8,47 C الحرب 22 > C 23 P واتزروا

لكتاب عيون الخبار، ورمز لها برموز A-B-C-p يتضح ذلك من هامش التحقيق الذي رصد فيه الفروق بين النسخ الخطية[1].

لقد نشر كارل بروكلمان نشرته هذه لعيون الأخبار في سنة ١٩٠٣م، أي بعد نشرات مولر ووليم ألورد بحوالي خمسين سنة تطورت فيهما فكرة معالجة النص المخطوط في أذهان المستشرقين الألمان نحو إيجاد سبل أخرى للتيقن من صدق النص، فكان السبيل إلى ذلك هو الاعتماد في نشر النص على نسخة الخطية المختلفة وليس مجرد نشره اعتماداً على بعض نسخه الخطية فقط.

وهذا تطور كبير وملحوظ في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع نصوص التراث العربي المخطوط، ما كنّا لندركه إذا وقفنا عند حد الاطلاع على الدراسات النظرية التي تكلمت عن المدرسة الألمانية، ودورها في النشر النقدي لنصوص التراث العربي الإسلامي.


-٢-

هواذ سورة البقرة

(س ٢ آ ٢) لا ريبُ بالرفع زهير القرقبي، لا ريب فيهُ بضم الهاء مسلم بن جندب، (س ٢ آ ٤) وبالآخرة بغير همز ورش عن نافع، يُؤقنون بالهمز أبو حيوة التميمي، (س ٢ آ ٦) أنذرتهم بألف واحدة غير ممدود ابن محيصن، (س ٢ آ ٧) على قلوبهم ولسماعهم بالجمع ابن أبي عبلة، غشاوةً بالنصب الفضل عن عاصم. غُشَاوَةٌ من الحسن. غَشْوَةٌ بالنصب سفيان وأبو رجاء. غَشَاوَةٌ عن الحسن أيضا. غشاوةٌ بالعين غير معجمة طاووس، (س ٢ آ ٩) وما يخدعون إلا أنفسهم ملإ بسم خاطه الجارود بن أبي سبرة. يُخَدِّعُونَ بالتشديد مورق العجلي، (س ٢ آ ١٠) في قلوبهم مَرْضٌ الأصمعي عن ابن أبي عمرو، (س ٢ آ ١٤) وإذا لاقَوا الذين كفروا محمد بن السميفع اليماني، (س ٢ آ ٦) سواءٌ عليهم خفّ عاصم الجحدري، (س ٢ آ ٩) وما يُخَادِعُونَ بضم الدال أبو طالوت عن أبيه، (س ٢ آ ١٤) مستهزِيُون بغير همز زيد بن الشعاع، (س ٢ آ ١٥) ويُمِدُّهم بضم الياء ابن محيصن، (س ٢ آ ١٦) اشتَرَوا الضلالة بكسر الواو يحيى بن يعمر وأبو السمال، بفتحها المرلة عن الكسائي وهو عند البصريين لحن، (س ٢ آ ١٧) في ظُلُمَات لا يبصرون ساكنة اللام الحسن وأبو السمال، (س ٢ آ ١٨) بكمًا عميًا

[٤] حيوة: حيوة ب وكذا في غير هذا الموضع [٧] غشاوةٌ: غشاوة ب
[٨] يخدّعون: كذا في آ وفي ب يخدعون [٩] ابن: كذا في النسختين
[١٠] لاقَوا: كذا في النسختين، السميع: السميع آ، خف: فوق (سواء) في النسختين [١٢] مستهزيون: كذا في النسختين وهو غلط والصواب مستهزون
[١٣] بعد (السمال) كلمة غير مفهومة وهي في آ (أدم) وفي ب (لام) ويحتمل أن تكون الشارة اليمني هو الذي قرأ اشتروا الضلالة بالضمة، بفتحها: كذا في النسختين

فإذا ما انتقلنا إلى تحقيق المستشرق الألماني برجشتراسر لكتاب (مختصر شواذ القرآن)، لابن خالويه نجد أنَّ عملية النشر النقدي للنصوص التراث العربي المخطوط عند المدرسة الألمانية قد تطورت تطوراً آخر ملحوظًا يتمثل في دخول إجراء التعليق على

---

(١) انظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، نشرة كارل بروكلمان، ليبزيج، ١٩٠٣م.

النص جنبًا إلى جنب مع ذكر الفروق بين النسخ الخطية ، أي أنَّ هامش التحقيق أو النشر النقدي يضم الفروق بين النسخ الخطية ، إضافة إلى التعليق على المتن ، وهو أقرب ما يكون من منهج التحقيق الحديث الذي تبنته المدرسة الشرقية .

لقد نشر برجشتراسر نشرته لمختصر شواذ القرآن سنة ١٩٣٤م بحسب ما ورد على طبعة المطبعة الرحمانية ، أي بعد حوالي ثلاثين سنة من نشرة كارل بروكلمان لكتاب عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري ، تطورت فيهما فكرة معالجة النصوص العربية المخطوطة في ذهن المدرسة الألمانية نحو خدمة النص بشكل يقربه للقارئ ، ويزيل عنه غموضه ، فكان ذلك بالتعليق على النص في هامش التحقيق جنبًا إلى جنب ، مع ذكر الفروق بين النسخ الخطية المختلفة(١) .

والأمر الجدير بالإشارة في هذا الموطن أنَّ فكرة التعليق على النص هنا في نشرة برجشتراسر لمختصر شواذ القرآن لم تأت على هيئة ملاحظات في نهاية النشرة كما عند وليم ألورد ، وإنما كانت لصيقة الصلة بالنص المخطوط ، حيث تكررت على مستوى صفحاته .

فإذا ما انتقلنا إلى نشرة المستشرق الألماني هلموت ريتر لكتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ، لأبي الحسن الأشعري نجد أنَّ منهج معالجة النص المخطوط ونشره عند المدرسة الألمانية قد استقر بشكل كبير ، حيث نجد أنَّ هامش التحقيق ، أو هامش النشرة النقدية قد انحاز بشكل كبير لما استُقر عليه حديثًا من إجراءات تحقيق النص المخطوط ، فقد ضمَّ الهامش التعليق على النص بالإضافة إلى ذكر الفروق بين النسخ الخطية المختلفة التي اعتمد عليها المستشرق في نشرته النقدية للنص المخطوط .

---

(١) انظر : مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه ، عني بنشره : برجشتراسر ، مصر : المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٤م .

يعلق ريتر على سبيل المثال في نشرته لمقالات الإسلاميين على قول الأشعري : "اختلف المسلمون عشرة أصناف : الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والضرارية ، والحسينية ، والبكرية ، والعامة ، وأصحاب الحديث ، والكُلَّابية أصحاب عبد الله بن كُلاب القطان"(١) .

حيث علَّق هلموت ريتر على ذلك بقوله : "هكذا في الأصول كلها ، والتعداد الإجمالي هنا لا يتفق بما يأتي في تفصيل الفرق" .

وهذا التعليق مهم في بابه جداً ؛ لأنه ينتقل بالتعليق على النص المخطوط من مجرد التعليق إلى مرحلة الاختلاف مع النص المخطوط ، وهذا تطور آخر مهم في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع النصوص العربية المخطوطة .

ومسألة الاختلاف مع النص ، أو خلق ما يسمى بالنص الموازي أمر جدير بالدراسة في المنجز التحقيقي للمدرسة الألمانية ، ويمكن التأريخ له بنشرة هلموت ريتر لكتاب مقالات الإسلاميين . هذا مجرد افتراض فقط ، فلم أقف من بين نشرات المدرسة الألمانية السابقة على نشرة ريتر لمقالات الإسلاميين ما نهج هذا المنهج .

إذن فيمكننا أن نرصد ملامح التطور في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع نصوص التراث العربي المخطوط فيما يلي :

أولًا- بدأت فكرة النشر النقدي بإتاحة النص المخطوط ، اعتماداً على إحدى نسخه الخطية ، كما عند ماركس مولر في نشره لرسائل ابن رشد الثلاث .

ثانيًا- ثم وجدنا التطور الأول في منهج المدرسة الألمانية في النشر النقدي لنصوص التراث العربي المخطوط ، والذي ظهر على يد وليم ألورد في نشره للرسائل الأربع التي حواها كتاب (جُرزة الحاطب) ومن بينها ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، حيث رصد عدداً من الملاحظات على النص ، وأوردها في نهايته .

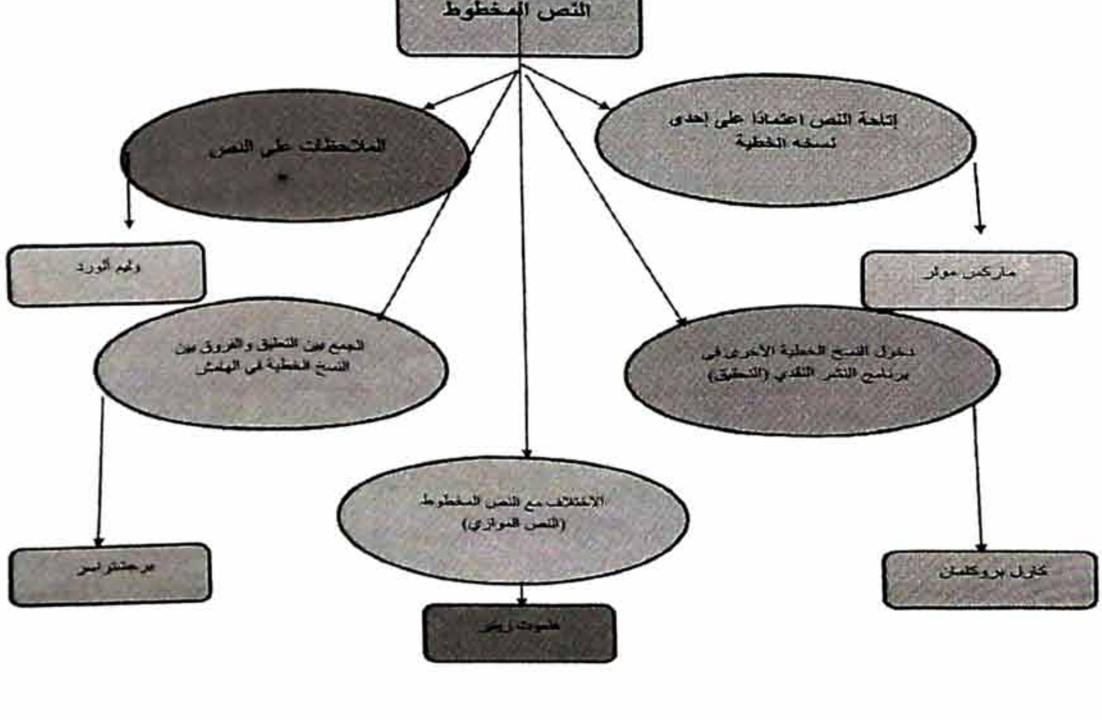
---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : هلموت ريتر ، ألمانيا : دار فرانز شتايز ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص٥ .

ثالثًا- ثم وجدنا تطوراً ثانيًا على يد كارل بروكلمان تمثل في دخول نسخ خطية أخرى في برنامج التحقيق أو النشر النقدي للنصوص ، فلم يعد الأمر يقتصر على نشر النص اعتماداً على إحدى نسخه الخطية فقط ، بل أدخل المستشرق الألماني النسخ الخطية الأخرى للنص المخطوط في برنامج نشره للنص ، بحيث ضبط نشرته على ما استطاع الوقوف عليه من نسخ خطية ، ووجدنا أثراً للفروق بين النسخ الخطية في هامش التحقيق .

رابعًا- ثم رصدنا تطوراً ثالثًا تجلى من خلال تحقيق برجشتراسر لكتاب (مختصر شواذ القرآن) ، لابن خالويه ، وتمثل هذا التطور في دخول التعليق على النص جنبًا إلى جنب مع الفروق بين النسخ في هامش التحقيق على مستوى الصفحة الواحدة من المتن .

خامسًا- ثم وجدنا بعد ذلك تطوراً رابعًا في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع نصوص التراث العربي المخطوط تمثل في تطور التعليق على النص المخطوط من مجرد تعليق على النص إلى الاختلاف مع النص ، وهو ما لاحظناه عند هلموت ريتر



في نشره لكتاب (مقالات الإسلاميين)، لأبي الحسن الأشعري. وهذا التطور يمكن تمثيله بالرسم البياني التالي:

نتائج الدراسة وتوصياتها

لقد خلصت هذه الدراسة التي تهدف إلى بيان منهج الاستشراق الألماني في نشره النقدي لنصوص التراث الإسلامي إلى عدد من النتائج المهمة التي تتمثل فيما يلي:

أولًا- إنَّ أوفق طريق للوقوف على منهج المدرسة الألمانية في نشراتها النقدية لنصوص التراث العربي المخطوط يتمثل في المتابعة الفعلية لمنجز المدرسة الألمانية في مجال النشر النقدي لمخطوطات التراث العربي، وهي متابعة قائمة على الاحتكاك الفعلي بنشرات تلك المدرسة، وتكوين وجهة نظر نقدية حيالها.

ثانيًا- إن القراءة النقدية لمنجز المدرسة الألمانية في مجال النشر النقدي لنصوص التراث العربي المخطوط يمكن أن ترصد عدة ملامح للتطور في منهج هذه المدرسة، وهي ملامح دقيقة لا يمكن رصدها إلا من خلال الدراسة التطبيقية، وليس متابعة الدرس النظري.

ثالثًا- إنَّ أغلب الدراسات الحديثة عن مدرسة الاستشراق الألماني تنحو نحو الترجمة فقط، وهو أمر من شأنه ألا يقدم جديداً في هذا الباب، فغالب ما يُكتب فيه مجرد اجترار لأفكار كُتبت من قبل.

رابعًا- لقد بدأ منهج المدرسة الألمانية في تعامله مع نصوص التراث العربي المخطوط بفكرة إتاحة النص اعتماداً على إحدى نسخه الخطية فقط، دون الاهتمام بالنسخ الخطية الأخرى، وقد مثلّت نشرة ماركس مولر لرسائل ابن رشد الثلاث هذا المنحى أو المسلك.

خامسًا- إنَّ نشرة وليم ألورد للرسائل الأربعة التي ضمَّنها كتابه (جُرزة الحاطب وتحفة الطالب) ، ومن بينها ديوان طهمان الكلابي تقدم دليلًا أكيدًا على الملمح الأول من ملامح التطور في منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع النص المخطوط ، وهو إيراد بعض الملاحظات على النص في نهاية النشرة النقدية .

سادسًا- لقد نشر كارل بروكلمان كتاب (عيون الأخبار) ، لابن قتيبة ، وقد مثَّلت نشرته هذه الملمح الثاني من ملامح تطور منهج المدرسة الألمانية في تعاملها مع النصوص العربية المخطوطة ، وتمثَّل هذا الملمح في دخول نسخ خطية أخرى في برنامج النشر النقدي ، وعدم الاعتماد على إحدى النسخ الخطية فقط .

سابعًا- إنَّ الملمح الثالث من ملامح تطور منهج المدرسة النقدية في نشرها للتراث العربي المخطوط تمثَّل في دخول التعليقات على النص المخطوط جنبًا إلى جنب مع الفروق بين النسخ الخطية في هامش التحقيق ، ولم تعد تقتصر على الملاحظات في نهاية النشرة النقدية ، وقد جاء تحقيق برجشتراسر لمختصر شواذ القرآن ، لابن خالويه خير شاهد على هذا الملمح .

ثامنًا- تمثَّل الملمح الرابع من ملامح التطور في منهج المدرسة الألمانية في نشرها لنصوص التراث العربي المخطوط في مسألة مهمة تتمثل في الارتقاء بالتعليق على النص إلى مرحلة الاختلاف مع النص وليس مجرد شرحه أو تفسيره ، وقد تجلَّى ذلك في نشرة هلموت ريتير لكتاب (مقالات الإسلاميين) ، لأبي الحسن الأشعري .

المصادر والمراجع :

- أخبار وانتقادات، لتيودور نولدكه، وهي دراسة انتقد بها آراء المستشرق البلجيكي هنري لامنس، ترجمة : قاسم العكيلي، مجلة دراسات استشراقية، العدد الرابع، ربيع ٢٠١٥م، ص ٢٧٥- ٢٨٤ .

- الاستشراق الألماني، ودوره في الدراسات الشرقية، محمد سعدون المطوري، مجلة دراسات استشراقية، العدد الثالث، شتاء ٢٠١٥، ص١٩١- ٣١٤ .

- جرزة الحاطب وتحفة الطالب (ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، برواية أبي سعيد السكري)، وليم ألورد، لندن، ١٨٥٩ .

- جهود المستشرقين الألمان في تحقيق مخطوطات علم الكلام (ماركس مولر أنموذجًا)، د . أحمد عطية، مجلة علوم المخطوط العربي، مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، العدد الثالث، ص ٧٨، ١٠٥ .

- العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، لخالد بن منصور بن عبد الله الدريس، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، عام ١٤٢٥هـ .

- عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، نشرة كارل بروكلمان، ليبزيج، ١٩٠٣م .

- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، لأبي الوليد بن رشد، تحقيق : د . محمد عمارة، مصر : دار المعارف .

- الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين، يوهان فوك، نقله إلى العربية : د . سعيد بحيري، ود . محسن الدمرداش، القاهرة : زهراء الشرق .

- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، عني بنشره :

برجشتراسر ، مصر : المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٤م .

- المستشرقون الألمان (تراجمهم ، وما أسهموا به في الدراسات العربية) ، دراسات جمعها وشارك فيها : د . صلاح الدين المنجد ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، ط١ . ١٩٧٨ .

- المستشرقون ، نجيب العقيقي ، القاهرة : دار المعارف ، ط٣ . ١٩٦٤م .

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : هلموت ريتر ، ألمانيا : دار فرانز شتايز ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- موسوعة المستشرقين ، لعبد الرحمن بدوي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٣ . ١٩٩٣م .

حسن حسني عبد الوهاب
ودوره في المحافل الاستشراقية
ابتداءً من ١٩٠٥-١٩٦٨

أ / دعاء علي أحمد سليمان

مقدمة

يأتي موضوع البحث في إطار الدراسات التي تتناول الثقافة العربية الإسلامية ، وتحقيق التراث العربي الذي حظي باهتمام كبير من قبل علماء العرب وعلماء المستشرقين من خلال الاحتكاك السياسي والثقافي بين الجانبين ، فعلاقة تونس بالدول الأوروبية لم تكن وليدة اللحظة ، حيث مثلت القضية التونسية أهم الموضوعات الدبلوماسية بين الدول الأوروبية الكبرى خلال القرن التاسع عشر الميلادي بعد احتلال الجزائر١٨٣٠ .

وقد تأثرت تونس بالنهضة الفكرية الأوروبية ، وبرزت تيارات ثقافية ونخب اصلاحية تفكر في مصير البلاد أمام السياسة التوسعية الاستعمارية ، في الوقت نفسه بذل المستشرقون الجهود العلمية الكبيرة ، فكانت هناك المراكز الثقافية والمطابع والمجلات وعقد الندوات والمؤتمرات العالمية ، وإنشاء المطابع الشرقية في الغرب التي نشرت العديد من أمهات الكتب من علوم وآداب التراث العربي الإسلامي ، وقد استعانوا في سبيل تحقيق ذلك بعلماء العرب ، فاستفادوا منهم وأفادوهم ، أمثال حسن حسني عبد الوهاب (١٣٠١- ١٨٨٤م/ ١٣٨٨- ١٩٦٨م) ، وغيره من علماء العرب الذين لهم باع في خدمة التراث العربي .

تميز حسن حسني عبد الوهاب بسعة اطلاعه ، ورقي فكره وثقافته ، شارك في العديد من المؤتمرات الاستشراقية ، وكانت تربطه علاقات ود وصداقة ببعضهم ، وكان ينظر إليه بعين الاحترام من طرف الحكومة الفرنسية ، هذه النظرة كان يشوبها في بعض الأحيان شيء من القلق ، وعدم الارتياح وقد أثار الجدل حول شخصيته ، واتهم بالتعاون مع الاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية ، نظراً لعمله في الإدارة المركزية تحت مظلة الاستعمار . تأتي هذه الورقة البحثية لتسليط الضوء على المشاريع

العلمية الاستشراقية، وأثر ذلك على المجتمع التونسي، ودور حسن حسني عبد الوهاب في مؤتمرات المستشرقين، وحضور المحافل العلمية من هذا المنطلق جاءت عناصر البحث كالتالي:

١-الاحتلال الفرنسي لتونس، والمشاريع العلمية الاستشراقية.

٢- البعثات العلمية إلى أوروبا، وأثر ذلك على المجتمع التونسي.

٣-موقف حسن حسني عبد الوهاب من المؤسسة الاستشراقية الفرنسية في تونس.

٤- علاقة حسن حسني عبد الوهاب بعلماء المستشرقين، وحضور المؤتمرات والمحافل الاستشراقية منذ عام ١٩٠٥.

أولاً- الاحتلال الفرنسي لتونس، والمشاريع العلمية الاستشراقية

لا ينفك الاستشراق بما يدعيه من هيمنة فكرية ومركزية ثقافية، وبما فرضه ورسخه من تباين بين الغرب المتحضر والشرق المتخلف، وإخضاع الآخر للدراسة والنقد. وتسليط أدواته البحثية والمنهجية العلمية، بغية ترسيخ تفوقه وتقرير تمايزه عنه. يخدم المصالح الاستعمارية للدول الأوروبية، فمن خلال الاستشراق والرحالة المستكشفين استطاعت هذه الدول الأوروبية أن تخترق العالم الإسلامي، وتدرس أحواله للوصول إلى إخضاعه واستغلاله.

فمنذ القرن التاسع عشر الميلادي بدأ تزايد حركة القوى الاستعمارية للاستحواذ على المستعمرات الشرقية. حيث فرضت فرنسا الحماية على تونس بمقتضى معاهدة باردو سنة ١٨٨١، ثم سعت لاستعمارها بشكل رسمي بعد اتفاقية المرسى سنة

١٨٨٣[١] ، بموافقة بعض القوى الخارجية الأوروبية المتنافسة على المنطقة[٢] . في هذا السياق يشير أحد الباحثين أن بعض الأحرار الفرنسيين أمثال البرلماني كليمنصو كانوا يندّدون بالعدوان على تونس ، ويطالبون بإجلاء الجيوش الفرنسية عنها . وكذلك الصحفي المناهض روشفور الذي شن حملة ضد روسطان ومناصريه بوزارة الخارجية . فأخذ رئيس الحكومة الفرنسية (جول فيري) موقفًا وسطًا ، وقال : إن فرنسا لا تريد استعمار تونس ، ولا ترمي إلى إدماج ترابها في التراب الفرنسي ، وإن احتلالها لها إنما هو ضمان لبقائنا بالجزائر ، ولكن ما حدث عكس ذلك ، حيث جاء بول كمبون ، وفرض على تونس اتفاقية المرسى الشهيرة[٣] ، ومنذ تلك الفترة تعيش البلاد التونسية معتركًا ثقافيًا شديداً كان له نتائجه على المستوى الاجتماعي والفكري بوجه عام ، ويتضح ذلك من خلال الأبعاد الاستعمارية التي سعت إليها فرنسا ، وحرصها الشديد على محو شعور الأمة التونسية بالهوية القومية ، كي يَمكن للشعب التونسي من الاندماج في نظامها الاستعماري ؛ وبذلك أظهرت فرنسا بوضوح الوجه القبيح للسياسية الاستعمارية الفرنسية ، وينفي عنها المبررات التي رفعها منظروها بكون هدفهم نقل الحضارة الغربية إلى شعوب المستعمرات المتخلفة[٤] ، واتخذت فرنسا من المشاريع الاستشراقية الفرنسية وسيلة تعمل على جعل المدرسة أداة لبث النفوذ الثقافي الفرنسي واحتواء النخب الوسيطة التي يمكن توظيفها بعد تخرجها في المدارس العصرية لخدمة المصالح الاستعمارية الفرنسية[٥] .

(١) الطاهر عبدالله : الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ، تونس : دار للمعارف ، ط٢ . د .ت ، ص٢٥ .

(٢) حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الكتب العربية الشرقية ، ط٣ . د .ت . ص١٧٨ .

(٣) علي البلهوان : تونس الثائرة ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٨ ، ص١٤ .

(٤) أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر ١٨٨١- ١٩٥٦ ، تعريب : حمادي الساحلي ، الشركة التونسية ، ط١ . د .ت ، ص١٠ ، ١٣ .

(٥) علي البلهوان : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

ويمكن القول إن التعليم في فترة الحماية الفرنسية مثل أداة من أدوات الهيمنة والسيطرة ، ومكمل للأشكال الأخرى من التدخل ، سواء في الاقتصاد أو الإدارة أو السياسة ، وسيتضح جليًا أن الفرنسيين ألبسوا خططهم الاستعمارية بنظام تعليمي تحت مسميات عديدة ، منها : المدارس الفرنسية الحرة في تونس ، والمدارس الإيطالية ، والمدارس اليهودية والتبشيرية ، والمدرسة العلمية للدراسات العليا[١] ، كما قام كامبون المشرف العام على نظام التعليم في تونس بإدماج المدرسة الصادقية مع معهد كارنو الفرنسي الذي أصبح يسمى بالمعهد الثانوي الصادقي ، وعندما أثيرت ضجة من قبل التونسيين عين المستشرق ماريوس دالماس مديراً على المدرسة الصادقية من ١٨٩٢-١٩١٢ ، وإجراء تعديلات على التعليم التونسي ، من خلال جعل اللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية للتعليم ، بجانب دراسة الآداب الفرنسية[٢] ، في محاولة لتفكيك وطمس البنية القومية للشعب التونسي ، حيث صارت اللغة العربية منحصرة فقط داخل إطار المراكز العلمية التقليدية ، هذه اللغة التي تحدث عنها المستشرق الفرنسي جاك بيرك : "إن العرب مدينون للغتهم برهيف تحسسهم لشخيصتهم . . . فقد زودتهم ثقافتهم القديمة بأبين الآيات النضالية من هويتهم"[٣] ، وهذه المشاريع العلمية جميعها تعد خطوة ضمن مخططات فرنسا لإحداث تحولات عميقة في الذات القومية للشخصية التونسية[٤] .

(١) توفيق بشروفي : المدارس الحرة الفرنسية في البلاد التونسية (١٨٥٦/٥٥-١٨٨٦/٨٥) رسالة ماجستير ، جامعة تونس ، ١٩٩٠ ، ص٣٨ .

(٢) فايزة بن سعيد ، وآمال بن عدودة : دور الطبة الزيتونيين في الحركة الوطنية التونسية من ١٩٠٧-١٩٣٩ ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون ، ٢٠٢١ ، ٢٠٢٠ ، ص٥٩ .

(٣) سالم لبيض : الهوية : الإسلام ، والعروبة التونسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ذ بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص١٠ .

(٤) عبد المجيد كريم وأخرون : موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١-١٩٦٤ ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، جامعة منوبة ، ٢٠٠٨ ، ص٢٥ ،٢٦ .

ويتضح أيضًا أن الهدف من السياسة التعليمية خلال فترة الاستعمار ليس تكوين جيل تونسي متعلم ، بقدر ما كان هدفها تكوين نخبة تونسية وسيطة تخدم مصالحها الآنية والمستقبلية ، لذلك اتسمت سياستها بمحدودية العرض التعليمي سواء في المناهج أو في عدد الطلبة ، بالإضافة إلى تنوعه ما بين تعليم مقدم للفرنسين والأوروبيين ، وآخر مقدم لعموم الشعب التونسي(١) ، فكان هناك مايقرب من عشرين مدرسة أجنبية مخصصة لفئات معينة في تونس كانت تباشر عملية التعليم حسب المناهج الأوروبية تحت إدارة لويس ماشوال(٢) .

وكان باش حانية أحد أعضاء النخب الإصلاحية يطالب بمبدأ المشاركة في تعليم سائر طبقات المجتمع التونسي ، وشعار : التثقيف بالفرنسية وتعليم العربية ، فيقول : " إنه بكل بساطة إمكانية دخول الأهالي في كل المدارس الابتدائية الحكومية ، في نفس الظروف المتاحة للأجانب . . . لقد أنشئت مدارس في تونس ، خصصت للكل ماعدا المسلمين . فهذه المدارس المريحة بمبانيها الجديدة ، والتي أنفق عليها من أموال الدولة التونسية ، مفتوحة للفرنسيين والإيطاليين واليهود التونسيين ، وليس أبدًا للأهالي المسلمين(٣) .

ويلاحظ أن الجهود العلمية الفرنسية كانت تسير في خط موازٍ للاستعمار ، حتى صار الغزو العلمي يتسرب في يسر إلى العقول ، فيوهنها ويمتد إلى شخصية الأمة وثقافتها ، فيفكك أواصرها ويجعلها من حيث لا تشعر تابعًا ، والتابع لا يفكر ، وهذا ما سعت إليه فرنسا جاهدة(٤) .

---

(١) علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سرار للنشر ، ١٩٨٦ ، ص ٤٠ .
(٢) جلول ريدان : حسن حسني عبد الوهاب ١٨٨٣-١٩٦٨ ، المكتبة الوطنية التونسية ، د .ت ، ص٣٦ .
(٣) الجابري عابد : التعليم في المغرب العربي ، دار البيضاء ، ١٩٨٩ ، ص٧٤ .
(٤) علي المحجوبي : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

في الوقت نفسه أدركت النخبة الثقافية في تونس مدى خطورة الوجود الفرنسي في البلاد حيث طرحت حكومة الحماية الفرنسية باب التجنيس الفرنسي للجاليات الموجودة في تونس، وكذلك الأهالي، ولا سيما اليهود[١]؛ وذلك تجنبًا للصعوبات التي ربما تسببها هذه الجاليات على الصعيد العالمي[٢]، كما أدركوا أبعاد هذا الطرح، وأن ذلك يمس بالذاتية التونسية وتقضي عليها بالفناء؛ لذلك انصبت جهودها على مواجهة التجنيس[٣]، وطالبت بإدخال الإصلاحات وبث روح القومية في نفوس الشعب[٤]، وفي هذا الصدد يذكر أبو اليقظان: "التجنيس بالمعنى الذي عرفوه، الاعتراف بفساد الشريعة الإسلامية، وعدم الالتزام بأحكامها والاعتراف بصلاحية التشريع الفرنسي الوضعي، والالتزام بأحكامه، وبعمله هذا فقد جنى على نفسه وعلى ذريته من بعده"[٥]، وكانت ظاهر التجنيس تهدف أيضًا إلى الحد من تأثير الحركة الوطنية التونسية من خلال استقطاب العناصر المثقفة، وحصولهم على الجنسية الفرنسية، وترغيبهم في تقلد المناصب العليا في الدولة[٦] .

كانت النخبة الإصلاحية الوطنية التونسية نتاج التعليم التقليدي الموجود في جامع الزيتونة والجمعية الخلدونية، وكانت أكثر تمسكًا بالمقومات الدينية واللغوية والحضارية للبلاد[٧]، وربما كانت أقل اندفاعًا نحو الانفتاح على الغرب والتطلع للنظم الأوروبية الحديثة، فهذه النخبة ركزت على الاهتمام باللغة العربية والهوية العربية الإسلامية، وهناك النخبة العصرية التي تلقت تعليمها في المدارس الرسمية

(١) كريدية إبراهيم: الحماية القنصلية أصلها وتطوراتها حتى مؤتمر مدريد، سنة ١٨٨٠، ص١٨ .

(٢) علي المحجوبي: المرجع السابق، ص١٤٣، جلول ريدان: المرجع السابق، ص ٣٧ .

(٣) محمد الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة، دار النوادر، ط١ . ٢٠١٠، ص١٧٧ .

(٤) حسن حسني عبدالوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص١٨٥ .

(٥) أبو اليقظان: رأينا في التجنيس، جريدة وادي ميزاب، عدد٧٠، ١٩٢٨، ص١٠٤، سالم لبيض: المرجع السابق، ص٤٢ .

(٦) عبدالمجيد كريم وآخرون: المرجع السابق، ص٦٩ .

(٧) يوسف مناصريه: الحزب الحر الدستوري ١٩١٩- ١٩٣٤، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١ . ١٩٨١، ص١٧٧ .

والأوروبية ضمن البعثات العلمية ، لكن كانت يغلب عليها الغموض والتناقض في شخصيتها متمسكة بالهوية والشخصية التونسية ، وفي الوقت نفسه مندفعة نحو الثقافة الأوروبية والحداثة بشكل كبير . وأغلب هؤلاء كانوا من وجهاء القوم من الطبقة الأرستقراطية ، ومنهم حسن حسني عبد الوهاب[١] . على كلٍّ عملت النخبة المثقفة على إحداث تغيرات عصرية على نظام التعليم التونسي ، بإدخال العلوم التطبيقية والفكرية[٢] ، وتوسيع دائرة التعليم على النمط الحديث لمسايرة نظام التعليم العصري داخل المؤسسات الاستعمارية[٣] ، حيث اتخذت من الصحافة وسيلتها المثلى للتعبير عن أرائها ونشر الأفكار الجديدة[٤] ، ويمكن القول إن النخبة التونسية قد تأثرت بالأفكار الإصلاحية للشيخ محمد عبده واستاذه جمال الدين الأفغاني[٥] ، وهم الذين خاضوا المقاومة ضد الوجود الاستعماري ، حيث تأثروا بالحركات التحررية الموجودة آنذاك[٦] ، فكانت جريدة الزهرة تندد بالوجود الفرنسي ، فلم يرُق وجودها على الساحة ؛ لأنها أيقظت الشعور بالهوية والقومية ، وسرعان ماسقطت بسبب معاداتها للاستعمار[٧] ، أما جريدة الحاضرة ١٨٨١ ، فكانت بعيدة عن تسلط الحماية الفرنسية ، ربما لاعتدال الموضوعات المنشورة في الجريدة[٨] ، بل على العكس من

(١) جلول ريدان : المرجع السابق ، ص٥٤ .

(٢) جمعة زروال : نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١ إلى غاية ١٩٥٦ ، مجلة الإحياء ، مجلد٢٠ ، عدد ٢٧ ، نوفمبر٢٠٢٠ ، ص٧٣١ .

(٣) محمد الفاضل بن عاشور : الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٥ ، ص٢١٧ .

(٤) عبدالقادر العريبي : تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي(١٩٤٧-١٩٨٠) ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بتونس ، جامعة تونس ، إشراف : علي المحجوبي ، ١٩٩٩ ، ١/ ٢٥ .

(٥) عبدالعزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ، ترجمة : سامي الجندي ، دار القدس ، ط١ . ١٩٧٥ ، ص٧ .

(٦) أحمد سوالم : النخبة في المغارب زمن الحماية الفرنسية من خلال التعليم : "تونس والجزائر نموذجًا" ، المجلة المغاربية للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، وجدة ، مجلد١ ، عدد١ ، ص١٠ .

(٧) أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر ، ص٣٢٩ .

(٨) يوسف مناصريه : المرجع السابق ، ص ١٨ ، ١٩ .

ذلك، فقد حظيت بتشجيع من الكاتب العام للحكومة الفرنسية روينو وماشوال مدير العلوم والمعارف[١]، ربما يعود ذلك إلى أن القائم على هذه الجريدة هو ضمن النخبة العصرية علي بوشوشة، أحد الطلبة التونسيين الذين تم إرسالهم ضمن البعثات العلمية للخارج[٢].

ثانياً- البعثات العلمية إلى أوروبا، وأثر ذلك على المجتمع التونسي

نشطت البعثات العلمية من وإلى تونس منذ وقت مبكر[٣]، حيث دشنت الدول الأوروبية مرحلة اكتشاف العالم الإسلامي ولا سيما المغرب، والتعرف عليه في إطار علمي من خلال دراسة المناطق، وما يتعلق بحضارته ومعالمه الجغرافية، وتمثلت مظاهره المعلنة في التسرب العلمي والثقافي، بهدف نشر العلوم العصرية داخل البلاد الإسلامية، وقد كان لفرنسا السبق في رصد الأوضاع المغربية لأهداف استعمارية، وازدادت الأطماع الفرنسية بعد احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠، وقد تأثرت فئة من المجتمع التونسي بالنهضة الأوروبية ورغبتهم في الانفتاح على الغرب، ومسايرة نظام الحداثة والتحولات العصرية، وذلك بفعل احتكاك التونسيين بالجاليات الأوروبية الموجودة في تونس، والبعثات العلمية إلى أوروبا، فكانت النخبة العصرية تنادي بنهوض التعليم، ومواكبة الحداثة الأوروبية[٤]. لذلك أنشأ المشير أحمد باشا باي ١٨٠٥-١٨٤٩ أول مدرسة متعددة، وجلب إليها أساتذة من الدول الأوروبية[٥]، وعهد بإدارتها للمستشرق الإيطالي كاليقاس، وحاول أن يعمل على إيجاد توازن بين

---

(١) يوسف مناصريه، المرجع نفسه، ص٣٢٨.

(٢) أحمد خالد: أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٩، ص١٥.

(٣) خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، القاهرة: دار الكتاب المصري، ٢٠١٢، ص٤٠، ٣٩.

(٤) توفيق بشروفي: المرجع السابق، ص٥١.

(٥) فتحي مهيفي: النخبة التونسية، وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد ١٠، عدد ٢، ديسمبر٢٠١٩، ص١٦٦.

الحضارة العربية الإسلامية ، والغربية الأوروبية[١] .

أما فكرة إرسال الطلبة للخارج فهي تعود للوزير خير الدين التونسي الذي كان الداعم الرئيس لفكرة إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا لتحصيل العلوم والمعارف المختلفة ، وذلك يرجع إلى تأثره بالأفكار الإصلاحية ، والأخذ بأسباب النهضة بما يتماشى مع المجتمع التونسي ، بعد زياراته العديدة لأوروبا[٢] .

جاءت فكرة إرسال البعثات العلمية للخارج من أجل عدة أهداف ، منها الحفاظ على القيم الوطنية والهوية العربية الإسلامية ، فضلًا عن تكوين ملكات في مختلف العلوم والفنون ومسايرة العصر من خلال دراسة الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافية والهندسة ، حتى ينشأ الطالب على وعي بثقافته وهويته وتراثه العلمي ، مع الأخذ بأسباب النهضة وتطوير المجتمع التونسي[٣] .

في الوقت نفسه عملت فرنسا على تسهيل حركة البعثات العلمية ، والسماح لبعض الطلبة للولوج إليها ، حيث كان يراد من ذلك تخريج جيل من الشباب التونسي مشبع بالثقافة الفرنسية ؛ للعمل في المؤسسات الفرنسية[٤] ، حيث أسست جميعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا سنة ١٩٣١ ، وخصصت بعض الأماكن لتوطيد الصلة بين التونسيين وباقي طلبة العرب الذين يدرسون بالخارج ١٩٣١[٥] ،

(١) الحبيب الجنحاني : الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد٦ ، ١٩٦٩ ، ص١١٨ .

(٢) فتحي مهيفي : المرجع السابق ، ص١٧٢ .

(٣) حمو عبد الله عيسى : دور البعثات العلمية المزابية إلى تونس في إعادة انتاج القيم الوطنية ، بعثة أبي اليقظان ١٩١٤-١٩٢٦ أنموذجًا ، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، مجلد ٧ ، عدد ٣ ، ص٥٦٨ .

(٤) محمد عزيز الحبابي : الاستعمار المقنع ، مجلة الأصالة ، عدد٤ ، أكتوبر ١٩٧١ ، ص٥٨ .

(٥) عادل بن يوسف : قراءة في مواقف الطلبة التونسيين بفرنسا من بعض القضايا الوطنية في مطلع الثلاثينات التجنيس ، والمؤتمر الأفخارستي والوزاج المختلط ، جامعة منوبة ، عدده ، ص٧٠ .

ورغم ذلك جاءت بنتيجة عكسية ، حيث إنها أيقظت روح الحماسة والوطنية والدفاع عن الشخصية القومية . ويمكن القول إنهم خيبوا آمال فرنسا في الاندماج في حضارتها وسياستها . بعد تطلعهم على مبادئ الثورة الفرنسية ، وأدركوا مفاهيم العروبة والإسلام والهوية الحضارية ، وسنرى أن فرنسا خشيت من هذا الأمر ، وتوقفت إرسال البعثات العلمية للخارج . عملت بعض المؤسسات العلمية في تونس على إرسال بعثات علمية للخارج ، فكانت المدرسة الصادقية أولى المؤسسات التعليمية التي اتخذت هذه الخطوة ، حيث تم إرسال البعثات إلى تركيا وفرنسا وإنجلترا . وذلك قبل الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية ، ففي سنة ١٨٨٠ تم إرسال بعثتين : إحداهما موجهة إلى اسطنبول ، والأخرى إلى باريس ، ولا سيما إلى معهد سان لوي . وكان ضمن الطلبة محمد البشير صفر (رئيس البعثة) ، ومحمد بن محمد المعتمري ، والعربي بن الباجي ، ويلاحظ أن هذه البعثات كانت توجه إلى المؤسسات الحكومية الرسمية بأمر من المفتش العام للتعليم العمومي بفرنسا روبار[١] ، أما عن البعثة العلمية الموجهة إلى إنجلترا من نفس العام ، فكان على رأسها علي بوشوشة الذي مكث في لندن قرابة الثلاث سنوات ، وعاد سنة ١٨٨٣[٢] ، وبعد الاحتلال الفرنسي لتونس شجعت فرنسا هجرة الطلبة من مختلف الجنسيات في تونس ؛ لتكوين كفاءات تعمل لدى إدارة الاحتلال ، وتكون همزة الوصل بينها وبين الشعب التونسي . حيث كانت تتم البعثات العلمية بشكل منتظم في مجموعات يتراوح عددها ما بين عشرة إلى خمسة عشر طالبًا خلال فترات العطلة المدرسية ، وقد قدمت السلطات الفرنسية المنح الدراسية للطلبة المقيمين في فرنسا ، ففي عام ١٩٤٧ أوصى الأمين العام بتقديم معونة مالية قدرها مليونا فرنك فرنسي لإتمام تعليمهم العالي ، كما قدم المفكر الفرنسي قاستون فالون منحة دراسية للطلبة وأسس نقابة في مدينة

---

(١) مصطفى النعلي ، مرجع سابق ، ص٥٦

(٢) الصادق الزمرلي ، أعلام تونسيون ، ترجمة : حمادي الساحلي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦ ، ص٣٥

بروفانس لجميع الطلبة الوافدين على فرنسا . عادت البعثات التعليمية وتقلدت مناصب داخل المؤسسات والإدارة العمومية .

ويلاحظ على هذه البعثات أن العائدين منها يرون تطبيق ما لاحظوه من تقدم الحياة الغربية ، وترسيخ فكرة النهضة المعاصرة ، والتخلص من العادات البالية من وجهة نظرهم ، والارتقاء بالشعب التونسي ، مع التمسك بالهوية القومية . ومن ثم أدركت الحكومة الفرنسية ضرورة إلغاء اللغات الاجنبية من برنامج الصادقية . واستدعاء المبعثوين التونسيين من فرنسا وغيرها من الدول الأوربية . ووقف حركة البعثات العلمية التي سينتج عنها تطور الفكر لدى التونسيين ، والشعور بالوحدة الوطنية ، والمطالبة بإجلاء الاحتلال عن البلاد ، وعليه أحيلت بعض هذه البعوث إلى كلية سان شارل في تونس[١] .

ثالثًا- موقف حسن حسني عبد الوهاب من المؤسسة الاستشراقية الفرنسية في تونس

قام حسن حسني عبد الوهاب (١٨٨٤-١٩٦٨) بدور كبير في الحفاظ على التراث العربي والوحدة القومية الوطنية ، ولد وتربى في تونس المحتلة ، من أسرة مخزنية أرستقراطية ، حفظ القرآن و أتم دراسته في المدرسة الابتدائية بالمهدية ، ونال شهادة العلوم الابتدائية سنة ١٨٩٩[٢] ، التحق بعدها بالمدرسة الصادقية ودرس اللغة الفرنسية حتى أتقنها[٣] ، وكان ضمن البعثات العلمية الموجهة إلى فرنسا من قبل المدرسة الصادقية ، التحق بمدرسة العلوم السياسية وتتلمذ على أيدي أساتذتها دي منتاي (De Monteil) ، وشاركو (Charcot) ، ثم عاد إلى بلده ١٩٠٤ بعد الضائقة

(١) عبد العزيز الثعالبي : المرجع السابق ، ص٦٢ .

(٢) فاطمة شلفوج : الإدارة والموظفون السامون التونسيون ١٨٨١-١٩٥٦ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، تونس ، ١٩٥٨ ، ص٦٠٣ .

(٣) حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص١٧٧ .

المالية التي مرت بها أسرته بعد وفاة أبيه ، عمل في إدارة الفلاحة والتجارة حتى سنة ١٩٠٥[١] ، ثم تقلد عدة وظائف إدارية في تونس ، ثم تولى خزانة المحفوظات التونسية ، ومن خلال هذه الوظيفة تمكن من الاطلاع على نفائس المخطوطات في اللغة والأدب وسائر العلوم والفنون ، واطلاعه أيضًا على مجريات الأحداث التاريخية في تونس منذ وقت مبكر ، حتى عين وزيرًا للقلم سنة ١٩٤٣ في عهد محمد الأمين - باي ، وكانت مهمته الإشراف على إدارة الشؤون الداخلية للبلاد ، ورفعها للمقيم العام بتونس[٢] ، وهذا المنصب جعله محط اتهامات من قبل الكثيرين ، مستدلين في ذلك بوضعه ومكانته لدى السلطة الحاكمة[٣] ، في حين نفى عنه البعض ذلك ، وطالب بدراسة تراث الرجل دراسة جادة ، وبين مد وجزر تبقى شخصية حسن حسني عبد الوهاب تحتاج إلى مزيد من البحث والعناية والإنصاف ؛ لأنه كان صاحب شخصية متناقضة كما وصفه جلول ريدان ، فهل حقًا كان حسن حسني عبد الوهاب يعمل لخدمة الاستعمار الفرنسي؟

لا بد من الإشارة أولًا إلى أن حسن حسني عبد الوهاب كان من أسرة أرستقراطية مخزنية من خريجي المدارس العصرية[٤] ولا سيما المدرسة الصادقية ، وتأثر بمبدأ الحداثة ، واستكمل تعليمه العالي في باريس ، فرأى ما لم يره في بلده من النظم الحديثة في كافة المجالات[٥] ، وعليه فكان ذا ازدواجية في مستوى التكوين

(١) الشاذلي بو يحيى : حسن حسني عبد الوهاب (١٣٠١-١٨٨٤/١٣٨٨-١٩٨٦) ، مجلة حوليات تونسية ، عدد٦ . ١٩٦٩ ، ص١٦ .

(٢) مختار العياشي : البيئة الزيتونية ١٩١٩-١٩٤٥ ، الجامعة الإسلامية التونسية- تونس ، ١٩٩٠ ، ص٢٦٢ .

(٣) فتحي العابدي : أن تكون قائدًا ثم وزيرًا ، دار محمد علي الحامي ، د .ت ، ص١٢٦ .

(٤) محمد البشير رازقي : النخبة المخزنية وشبكات النفوذ في المغرب خلال القرن التاسع عشر ، دورية كان التاريخية ، السنة الحادية عشرة ، العدد الثاني والأربعون ، ديسمبر ٢٠١٨ ، ص١٤٢ .

(٥) أحمد خالد : المرجع السابق ، ص١٣ .

عربي فرنسي[١] ، وهذا الأمر ساعده على التأقلم مع الوضع السائد ؛ للحصول على وظيفة داخل المجتمع الجديد[٢] ، عمل في بادئ الأمر على مسايرة الأمر الواقع من خلال التوفيق بين القضايا الوطنية وبين مصالح الاستعمار ، فكان يسعى في تلك الفترة إلى استرجاع مكانة وبريق عائلته المخزنية ، وقد وجد في مجاراة الواقع سبيلًا للترقي داخل الإدارة المركزية ، بعد طرد أبيه من منصبه[٣] ، فحينما احتلت فرنسا تونس تأثرت فئة المخزن البلدية التقليدية ، وتراجعت هيبتهم الاجتماعية ، وكان هناك تنميط جديد للمجتمع أضر بالفئات القديمة ؛ نتيجة لاستفحال النمط العصري في البلاد ، ويلاحظ أن حسن حسني عبد الوهاب لم يفضل الانخراط في الأحزاب السياسية الموجودة ، حيث فضل النضال الفكري ، والعمل من داخل الإدارة الأهلية ، من خلال التسرب داخل النظام الحاكم ، فكان يسعى دائمًا للحصول على خطة قايد ، وقد تم له ما أراد واسترد مكانة عائلته[٤] ، ثم بدأ مقاومة الاستعمار من خلال النهوض بالمجتمع التونسي ونشر التعليم العصري في جميع البلاد ، فكان يميل إلى الاجتهاد وإعمال العقل دون جمود أو تقليد ، فهو يعد من رجال الصحوة الإسلامية الحديثة ، ويمكن القول إنه من الطبقة التونسية المشحونة بقيم الحداثة في شكلها الغربي ، لكنه كان على علم بألاعيب الاستعمار . وكان له دور فعال في إحياء التراث العربي الإسلامي ، حيث حاول بكل ما أوتي من قوة أن يبقى المكون الوطني والديني والهوية لأهلها في تونس ، مع إدخال بعض الإصلاحات لمواكبة العصر[٥] ،

(١) هنري مونتيتي : العائلات العريقة والنخب الجديدة في تونس ، ترجمة : علي آيت ميهوب ، دار محمد علي الحامي ، د .ت ، ص٩ ، هامش رقم ٣ .

(٢) جلول ريدان : المرجع السابق ، ص٤٨ .

(٣) فتحي العايدي :المرجع السابق ، ص١٢٢ .

(٤) الشاذلي بو يحيى : المرجع السابق ، ص ٩ ،٨ .

(٥) عائشة بن يوسف : المؤسسات الدينية والعلمية بتونس ، ودورها في مواجهة السياسة الدينية والثقافية الفرنسية (١٨٨١-١٩٥٦) مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، ٢٠١٨ ، ٢٠١٩ ، ص١١٦ .

في الوقت الذي كانت تعمل فيه المؤسسة الاستعمارية الفرنسية على طمس القيم الوطنية وإخفاء الوازع العلمي من الشخصية العربية الإسلامية ، وهذا ما أكده تصرف أحد الموظفين الفرنسيين ، حيث كان يطعن في تعليم المسلمين التونسيين ويحط من قيمتهم العلمية[١] ، وقد لمس حسن حسني عبد الوهاب هذه الأهداف الخفية ، إذ كان يرى أن هذه الأهداف الاستعمارية لن تتحقق إلا بإقامة نخبة من الإصلاحيين لمواجهة عجرفة الغرب الفرنسي الذي كان ينظر للشعوب المستعمرة على أنها شعوب من الدرجة الثانية ، إن هذا الموقف يفسر إلى حد ما طبيعة شخصية حسن حسني المتناقضة ، ففي الوقت الذي كان يسعى للحصول على المناصب والوجاهة ، فهو وزير الدولة ورئيس المجلس الأعلى للأوقاف ، وهو المكلف بالأرشيف العام ، ومع ذلك كله كان رئيس لجنة إصلاح التعليم الزيتوني ، وممثل الحكومة في الخارج ، ويعمل على مقاومة الاستعمار بشكل غير مباشر[٢] . وتمثلت جهوده العلمية من خلال تأليف العديد من الكتب و المؤلفات في جميع التخصصات المختلفة ، شملت السياسية والاقتصاد والدين وعلوم اللغة والأدب والموسيقى والفنون[٣] ، وغيرها من الميادين التي قدم فيها بحوثًا جديرة بالاهتمام والدراسة ، وكان يقوم بتقديم العديد من الخدمات في الإدارة التعليمية بحكم منصبه كوزير القلم ، يذكر أحد الباحثين أنه تقدم بطلب منحة مالية للطبة بالخارج إلى الحكومة الفرنسية ، حيث منحتهم الحكومة منحة قدرها ٥٠ ألف فرنك[٤] . كان حسن حسني عبد الوهاب عضوًا في مجمع اللغة العربية بمصر ، تعرف من خلال هذا المجمع على العديد من الشخصيات المرموقة ، حيث كان يحضر في هذا المجمع علماء ولغويون من عرب ومستشرقين ، وأثاروا العديد من القضايا الشائكة في اللغة العربية والأدب ،

(١) موظف فرنسي كبير : بحوث تونية ، مجلة الزيتونية ، مجلد٣ ، جـ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٢) جلول ريدان : المرجع السابق ، ص٣٤١ .

(٣) مهدي علام : حسن حسني عبد الوهاب في مجمع اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عدد٦١ ، ١٩٨٧ ، ص٢٣٥ .

(٤) مختار العياشي : المرجع السابق ، ص١٥٦ .

وتطويع اللغة العربية لاستيعاب المصطلحات العلمية والفنية الغربية وألفاظ الحضارة العصرية[(١)] ، وقد ضم هذا المجمع عدداً هائلًا من علماء العرب والمستشرقين ، أمثال : محمد توفيق رفعت ، ومنصور فهمي ، والشيخ حسين والي ، والشيخ عبدالقادر المغربي ، ومحمد كرد علي ، والدكتور فيشر الألماني ، ونلينو الإيطالي ، وماسينيون الفرنسي ، وفنستك الهولندي ، وغيرهم[(٢)] ، كما حصل حسن حسني على عدد من الجوائز الشرفية ، منها الدكتوراه الفخرية من مصر ، جامعة العلوم في القاهرة سنة ١٩٥٠ ، والدكتوراه الفخرية من جامعة العلوم الجزائرية سنة ١٩٦٠ ، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٨ ، ثم بعدها أصيب بمرض أقعده في بيته طريح الفراش ، لكنه ظل متيقظ العقل وافر النشاط ، يفتح بابه للمترددين عليه من أهل العلم والأدب ، ويجيب على ما يرد عليه من أسئلة وقضايا ، مات حسن حسني بعد صراع مع المرض وتوفى ٩ نوفمبر عام ١٩٦٨ . إذاً يمكن القول إن حسن حسني عبد الوهاب كان من طبقة تونسية مشحونة بقيم الحداثة في شكلها الغربي ، وعلى الرغم من عمله داخل أطر الاستعمار إلا أنه لم يساوم على هويته وانتمائه العربي الإسلامي كما ناهض سياسة الإدماج الفرنسية إزاء مسألة التجنيس[(٣)] ، وظل محفافظًا على هويته واستقلاله الفكري .

رابعًا- علاقة حسن حسني عبد الوهاب بعلماء المستشرقين ، وحضور المؤتمرات والمحافل الاستشراقية منذ عام ١٩٠٥

بدأ احتكاك العرب بالغرب منذ القدم في آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وقد مثلت آسيا الصغرى والأندلس وصقلية أهم مراكز هذا التلاقي ، ثم تطورت العلاقات المتبادلة للاستشراق في القرن الثامن عشر الميلادي[(٤)] ، وهذا القرن فيما يبدو أنه قرن

(١) شوقي ضيف : مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً ١٩٣٤- ١٩٨٤ ، ط١ . ١٩٨٤ ، ص٢١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٢١ .
(٣) جلول ريدان : المرجع السابق ، ص٢٤ .
(٤) عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥ ، ص١٦ .

الفلسفة التنويرية التي تعتد بالعقل الإنساني ، وقد شجع ذلك على البحث في نفائس الشرق من تحف ومخطوطات ، واقتنائها ، ونقل قدر منها إلى أوروبا[١] ، وفي القرن التاسع عشر- قرن الاستعمار- دفع المستعمرين إلى دراسة الثقافة الشرقية بشكل أكثر دقة وتحقيقاً . ثم تكونت الجمعيات الآسيوية في أوروبا[٢] ، وقد حقق عدد من المستشرقين إنجازات كبيرة في دراسة اللغات الشرقية ، وترجمة العديد من قوائم الكتب العربية للغات الأوروبية[٣] . كانت النظرة لفكرة الاستشراق مختلفة ما بين مؤيد ومعارض . فمنهم من نظر إلى هذه الظاهرة بنظرة ريبة وتوجس ، ومنهم من دافع عن الهدف العلمي للاستشراق ، ولكن الأمر مختلف ، فليس كل المستشرقين منصفين ، وليسوا جميعًا متعصبين[٤] . صحيح كانت هناك كتابات تحمل أفكارًا عدوانية عن الشرق . وتتسم بروح التعالي ونبرة التفوق العنصري والثقافي ، وبعضها ذو نوازع استعمارية . غير أنه لا يمكن التقليل من الدور الذي قام به علماء المستشرقين . وذلك من خلال نشر نفائس التراث العربي نشرًا علميًا ، وهذا الفضل للمستشرقين لا يمكن غض الطرف عنه مهما تكن بواعث المستشرقين في ذلك ، ما دامت تلك البحوث أمرًا واقعًا ، وهي تغطي مساحات واسعة في مجال البحث التاريخي[٥] . ولكن هذه الدراسات الاستشراقية ليست جميعها تسير على وتيرة

---

(١) محمود محمد الطناحي : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط١ . ١٩٨٤ ، ص٢٠٦ .

(٢) فتحي مهيبل : المرجع السابق ، ص١٦٩ .

(٣) عبدالوهاب بن محمد آل دبع عسيري : المستشرق غوستاف لوبون ، وموقفه من الإسلام ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٣٦هـ ، ص٦٥ .

(٤) محمد عوني عبدالرؤوف : جهود المستشرقين بين التحقيق والترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤ ، ص١ .

(٥) محسن بن علي بن صالح سهيمي : مؤتمرات المستشرقين العالمية : نشأتها ، وتكوينها ، وأهدافها ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه ، كلية الدعوة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، المدينة المنورة ، ١٩٩٩ ، ص٤٩ .

واحدة ، فهناك بعض المستشرقين كانوا عملاء للاستعمار وأدوات له كالقناصل والسفراء والمبشرين والعسكريين[١] .

أما حسن حسني عبد الوهاب فكان يرى أن الاستشراق ظاهرة سياسية حضارية ، فهو يسميها صراع الحضارات[٢] ، أو كما يذكره بعض الباحثين بـ (الحرب الباردة)[٣]. من ذلك نجد أن فرنسا أولت اهتمامًا كبيرًا بمشروع اكتشاف المغرب عامة ، وأن المعلم الرئيس للدراسات الاستشراقية تمثل في جمع المعلومات المختلفة ، ورصد أوضاع البلاد لأهداف استعمارية ، وقد دعمت فرنسا البعثات العلمية كوسيلة للغزو العلمي تمهيدا للتغلل الاستعماري . وقد بدأ نشاط المستشرقين بشكل أوضح في القرن العشرين ، وازداد احتكاك العرب بالمستشرقين ، وذلك من خلال إرسال البعثات العلمية إلى البلاد الأوروبية ، أو عقد المؤتمرات العالمية التي شارك فيها علماء العرب ، إما بإلقاء الأبحاث العلمية أو بالحضور .

بدأ الاهتمام الدؤوب بعقد المؤتمرات العالمية للمستشرقين منذ مائة عام ، فكان أول مؤتمر للمستشرقين عقد في باريس عام ١٨٧٣ ، وفي المدينة نفسها عقد آخر مؤتمر عام ١٩٧٣ بمناسبة العيد المئوي[٤] ، وتضم هذه المؤتمرات في عضويتها مئات العلماء سواء أكانوا مستشرقين أم علماء شرقيين يدعون كضيوف مشاركين في كل دورة . وتتميز هذه المؤتمرات والمحافل الاستشراقية بالتركيز والتدقيق في الأبحاث التي تناقش من قبل المشاركين ، وتعطيها بعداً عالميًا ، فيكون المؤتمر منظمًا تنظيمًا حسب

(١) حسن عزوز : مناهج المستشرق في دراسة الفكر الإسلامي ، مجلة الوعي الإسلامي ، عدد٤٥٠ ، صفر ١٤٢٤هـ ، ص٥٥ .

(٢) جلول ريدان : المرجع السابق ، ص٥٢٨ .

(٣) رالف بالم : مظاهر الاستعمار الجديد ، ترجمة : جليل كمال الدين ، مجلة الآداب ، عدد١٠ ، أكتوبر١٩٧٠ ، ص٥٠ . ، عبدالرزاق خليل : الاستشراق والمستشرقين أحمد أمين وكتابه فجر الإسلام مثالًا تطبيقيًا ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، عدد ٤٩ ، ٢٠٠٥ ، ص١٠١ .

(٤) نجيب العقيقي : المستشرقون ، القاهرة : دار المعارف ، ط٤ . د .ت ، ٣/ ٣٦٥ .

الموضوعات المقرر دراستها ، والمؤتمرون والحاضرون موزعون وفق الموضوعات[١] .

انصب اهتمام علماء المستشرقين بالدراسات المشرقية وتعلم اللغة العربية والتردد على مدارس المسلمين ، وترجمة علوم العرب إلى اللغات الأجنبية[٢] ، حيث كرسوا جهدهم في سبيل تحقيق ذلك من خلال التأليف والترجمة والتحقيق ، وإصدار الموسوعات والمجلات والصحف[٣] . فضلًا عن أن علماء المستشرقين الغرب عملوا على تأسيس الجمعيات العلمية[٤] ، والتي تعد أول انطلاقة لعلم الاستشراق ، فقد شملت مجالات عدة ، منها العناصر العلمية والإدارية والمالية ، فساعد على ذلك اكتشاف عالم الشرق ، والتعرف على حضارته ، من أجل تحقيق أهداف استغلالية واستعمارية[٥] ، وقد اتسعت جهود الاستشراق ، وأخذت تشهد انعقاد المؤتمرات الدولية ، وقد احتضنت فرنسا أولها عام ١٨٧٣م وصارت باريس عاصمة الاستشراق ، وأصبح الاستشراق منطلقات للبحث ، حيث نمت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الاستشراقية عبر عدد من دول الغرب ؛ مما أتاح مجالًا واسعًا لنشر الدراسات الأكاديمية ، وهذا الميدان من أبرز الميادين التي يعتمد عليها المستشرقون في الوصول لأغراضهم ، ثم امتد نشاط المستشرقين إلى مجال المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، سواء داخل أوروبا أو خارجها[٦] .

---

(١) الجاسر حمد : على هامش مؤتمر المستشرقين ، دار اليمامة للنشر ، مجلد٨ ، عدد٥ ، ٦ ، ص٤٧١ .

(٢) طاهر البدري : العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج خلال القرون الوسطى ، مجلة حوليات التراث ، العدد ١٣ ، يناير ٢٠١٣ ، ص٩ .

(٣) أحمد باستا : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٨ ، ص٥٤٦ .

(٤) إدوارد سعيد : الاستشراق : المعرفة ، السلطة ، الإنشاء ، ترجمة : كمال أبو ديب ، لبنان : مؤسسة الأبحاث العربية ، ط٢ . ١٩٨٤ ، ص١٨٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص٨٠ .

(٦) سعد بوفلاقة : الاستشراق الألماني في الثقافة العربية "أنا ماري شميل نموذجًا" ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، عدد٧٣ ، مارس ٢٠١١ ، ص٦١ .

لقد تعززت الروابط الفكرية بين العلماء والمفكرين التونسيين والمستشرقين عن طريق وسائل مختلفة ، منها الزيارات وتبادل المواضيع الفكرية من خلال الجرائد والمجلات المختلفة ، ومنهم حسن حسني عبد الوهاب الذي عمل على مد جسور الصداقة بينهم ، وتعزيز سبل التواصل بين علماء العرب والمستشرقين[١] ، كان حسن حسني عبد الوهاب من علماء العرب الذين استعان بهم المستشرقون في تحرير النصوص ونشرها[٢] . كما كان هناك عدد من علماء العرب عملوا مع المستشرقين في نشر النصوص والتعريف بالمخطوطات ، فكان لابد من الاستعانة بأهل اللغة في تحرير النصوص ؛ لذلك برز عدد من علماء العرب في مؤتمرات المستشرقين ، أمثال : أحمد زكي باشا ، وأحمد تيمور ، ومحمد بن شنب ، والشيخ الطاهر الجزائري ، وغيرهم كثير[٣] .

سافر حسن حسني عبد الوهاب إلى أوروبا ، وقد هيأت له الظروف أن يتصل بعدد كبير من كبار العلماء في الشرق والغرب ، وارتبط بعلاقات علمية مع علماء عصره ، وقد حظى حسن حسني عبد الوهاب بمكانة كبيرة في المحافل العلمية ، فكان له العديد من المراسلات مع بعض علماء العرب والمستشرقين ، أشار إلى بعضها في ترجمته الذاتية ، حيث التقى ببعضهم في مؤتمر الجزائر عام ١٩٠٥[٤] برئاسة رونييه باسيه (R.Basset) ، وهو أول مؤتمر حضره بترشيح من صديقه محمد الأصرم رئيس الجمعية الخلدونية ، قدم فيه بحثًا باللغة الفرنسية ، بعنوان : الاستيلاء العربي على صقلية ، وتم ترجمة هذا البحث ونشره ضمن أعماله في القسم الثالث من كتاب

(١) مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق ، د.ت ، ص٣٥ .

(٢) علي بن إبراهيم النملة : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، السعودية : مكتبة التوبة ، ط١ . ١٩٩٨ ، ص٢٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٥ ،٢٢ .

(٤) محمد مهدي علام : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٩٦٦ ، ص٦٧ .

ورقات، ويلاحظ أن الصفة التي حضر بها حسن حسني عبد الوهاب هذا المؤتمر لم يكن ممثلًا للحكومة التونسية، وإنما حضره بصفة شخصية، إذ لم يبلغ عمره حينها ٢١ سنة، كما لم يثبت مكانته العلمية بعد.

وعلى كلٍ تعرف في هذا المؤتمر على عدد من الشخصيات العربية والأجنبية، أمثال: محمد بن شنب، والشيخ عبد العزيز جاويش، كما التقى في هذا المؤتمر محمد فريد رئيس الحزب الوطني، وعبد العزيز جاويش، والمستشرق الإنجليزي جورج بروان (بويجي)، والمستشرق الألماني نلدكه وكوديرا وريبيرا، وميقال آسين بلاثيوس المستشرق الإسباني الذي اهتم بتحقيق التراث الإسلامي، ويعد من المستشرقين المنصفين الذي أعطى التراث العربي الإسلامي حقه[1]، كما اتصل بالمستشرق الفرنسي لوي ماسينيون مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا، كما التقاه مرة أخرى في المجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي بدمشق[2].

والمؤتمر الآخر الذي شارك فيه عبد الوهاب مؤتمر كوبنهاكن بالدنمارك سنة ١٩٠٨. وطبقًا لما ذكره حسن حسني عبد الوهاب في ترجمته أنه كان المسلم الوحيد الذي شارك فيه، وقد تعرف في هذا المؤتمر على بعض المستشرقين، منهم قستاف أدلف، والألماني البارون ماكس أوبنهائم، والنمساوي المشهور قولد زيهر، والأب لامنس، وهو مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي، ورفيقه الأب لويس شيخو، وقد عارضهما عند وصفهما للنبي صلى الله عليه وسلم بأوصاف لا تليق به، ولم يذكر عبد الوهاب تفاصيل من شأنها تفيد في التعرف على ما تم في هذا المؤتمر.

أما المؤتمر الثالث لعبد الوهاب هو مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنسيين عام

---

(١) محمد الأمين بوحلوفة: نماذج من جهود المستشرقين ابن أبي شنب وآسين بلاثيوس في تحقيق التراث الإسلامي، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، مجلد٢، عدد٢، ٢٠٢٠، ص٢١٢.

(٢) سعد بوفلاقة: الاستشراق الألماني في الثقافة العربية "أنا ماري شميل نموذجًا"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد٧٣، مارس ٢٠١١، ص٦٥.

١٩٢٢[١] ، كما كانت تربطه علاقات ثقافية بالمستشرق الألماني روبرت لخمان الذي كان يعمل مدرسًا في معهد الموسيقى في برلين ، حينما قدم الأخير إلى تونس والتقى عبد الوهاب ، وهو قايد على «جبنيانة» ، ودارت بينهما بعض الأمور المتعلقة بأنواع الأغاني التونسية الحضرية والبدوية ، وأصدر كتابًا عن الموسيقى العربية في تونس ، ويذكر حسن حسني عبد الوهاب أنه التقاه مرة أخرى في مؤتمر الموسيقى الشرقية المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٣٢[٢] ، وشارك عبد الوهاب في مؤتمر باريس للأديان كممثل للحكومة التونسية[٣] .

كما اتصل بالمستشرق الاسكتلندي هنري جورج فارمر(١٨٨٢-١٩٦٥) الذي التقاه حسن حسني في مؤتمر الموسيقى الشرقية والغناء العربي ، ويعد هذا المستشرق من أهم المستشرقين الذين تعاملوا مع تاريخ الموسيقى العربية بدقة وموضوعية وحيادية[٤] ، وقد شارك بكلمة ألقاها أمام الحضور متحدثًا عن اهتمامه الخاص بالسماع عن الثقافة العربية عبر العصور ، والمستشرق الألماني كورت زاكس الذي ألف الكتاب الخاص بتراث الموسيقى العالمية ، وقد جمع في هذا الكتاب تاريخ الموسيقى منذ البداية حتى العصر الحاضر[٥] .

وترأس حسن حسني عبد الوهاب الوفد التونسي المشارك في المؤتمر العربي الأول للموسيقى بالقاهرة سنة١٩٣٢ ، كما شارك في مؤتمر الاستقلال (المؤتمر الوطني) سنة ١٩٤٦م ، وكان موضوع هذا المؤتمر يدور حول استقلال تونس ، وقد تحدث باسم التونسيين ؛ لما له من مكانة كبيرة [٦] .

---

(١) فتحي العايدي : المرجع السابق ، ص١٢٦ .

(٢) حسن حسني عبدالوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية القسم الثاني ، تونس : مطبعة المنار ، ١٩٦٦ ، ص٢٧٣ .

(٣) الشاذلي بو يحيى : المرجع السابق ، ص١٧ .

(٤) قسطندي رزق : الموسيقى الشرقية والغناء العربي ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٧ ، ص١٤٤ .

(٥) المرجع نفسه ، ص١٤٤، ١٤٥

(٦) حسن حسني عبدالوهاب : حسن حسني عبدالوهاب ، مجلة حوليات تونسية ، عدد٦ ، ١٩٦٩ ، ص٤٣ : ٤٦ .

خاتمة

يعد حسن حسني عبد الوهاب أنموذجًا للنخبة الإصلاحية وفق نمط الحداثة، سعى إلى تطبيق أفكاره في ظل الاستعمار الفرنسي الذي كان يسعى إلى استغلال مقدرات البلاد التي وصفها بول كبون (بالثروات المعتبرة)، ويعمل على شرعنة وجوده واحتلاله للبلاد التونسية من خلال ابتكار طرق مختلفة لتحقير الممارسات التراثية التونسية، ووصمتها باعتبارها ممارسات غير متحضرة، فالبلاد من وجه نظر المستعمر كانت في حاجة ماسة للوجود الفرنسي لإخراجه من الظلمات إلى النور، بمعنى أن الاستعمار قام بدور تحضيري تجاه الشعوب المتخلفة، اتضحت خفايا فرنسا لفرض الحماية على تونس حيث كشف موضوع التعليم الستار عن جانب هام من السياسة الاستعمارية التي كانت تدعي ظاهريًا أنها أتت لنشر رسالتها الحضارية في البلدان المستعمرة، من خلال تعميم التعليم الفرنسي بها، وتمكين الأهالي من استيعاب مبادئ الحضارة المدينة للوصول إلى دمج الأهالي كلية في المجتمع الغربي بواسطة المدرسة الفرنسية، لكن من الناحية التطبيقية، فإن النظام الاستعماري قد عمل جاهدًا على تحطيم المدارس العربية التقليدية، وطمس الهوية العربية الإسلامية. ظنًا أن ذلك يحول دون نشر مدرسته وثقافته، وسعى لخلق تعليم مزدوج بين التعليم التقليدي والتعليم العصري، بغية إنتاج نخبة متشبعة بالثقافة الفرنسية ومؤهلة لشغل مناصب مخزنية، وكان الاستشراق الأداة التي وظفها الاستعمار لدراسة القوميات العرقية لإضعاف الشعوب المستعمرة وبسط السيطرة عليها، على الرغم من أن الاستشراق ساهم في بيان الحضارة العربية الإسلامية في التاريخ العام للبشرية. ومدى قيمة هذه المساهمة، لكنه في نفس الوقت ساهم في تغلغل أوروبا في الشرق سياسيًا واقتصاديًا.

يمكن القول إذًا إن مسألة التعليم لم تنظر إليها الإدارة الاستعمارية من منظور إنساني أو باعتبارها رسالة حضارية كما روجت لذلك، بل باعتبارها آلية استراتيجية يمكن من خلالها تكوين يد عاملة تقنية تعمل دون وعي في دعم الوجود الاستعماري بالبلاد. بالإضافة إلى إقامة نخب منبهرة بالحداثة الغربية ومبادئها، تضمن ولاءها والتبشير بقيمها وتدعم امتدادها داخل المؤسسات التونسية.

قائمة المراجع :

١ - أحمد خالد : أضواء من البيئة التونسية ، على الطاهر الحداد ونضال جيل ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٩ .
٢ - أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ، وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٨ .
٣ - أحمد سوالم : النخبة في المغارب زمن الحماية الفرنسية من خلال التعليم : "تونس والجزائر نموذجًا" ، المجلة المغاربية للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، وجدة ، مجلد١ ، عدد١ .
٤ - أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر١٨٨١- ١٩٥٦ ، تعريب : حمادي الساحلي ، الشركة التونسية ، ط١ . د .ت .
٥ - إدوارد سعيد : الاستشراق المعرفة ، السلطة ، الإنشاء ، ترجمة : كمال أبو ديب ، لبنان : مؤسسة الأبحاث العربية ، ط٢ . ١٩٨٤ .
٦ - الجابري عابد : التعليم في المغرب العربي ، الدار البيضاء ،١٩٨٩ .
جمعة زروال : نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية١٨٨١ إلى غاية ١٩٥٦ ، مجلة الإحياء ، مجلد٢٠ ، عدد ٢٧ ، نوفمبر٢٠٢٠ .
٧ - الجاسر حمد : على هامش مؤتمر المستشرقين ، دار اليمامة للنشر ، مج٨ ، عدد ٥ ، ٦ .
٨ - جلول ريدان : حسن حسني عبد الوهاب١٨٨٣- ١٩٦٨ ، المكتبة الوطنية التونسية ، د .ت .
٩ - الحبيب الجنحاني : الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد٦ ، ١٩٦٩ .
١٠ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الكتب العربية الشرقية ، ط٣ . د .ت .
-حسن حسني عبد الوهاب ، مجلة حوليات تونسية ، عدد٦ ، ١٩٦٩ .
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الثاني ، مطبعة المنار- تونس ١٩٦٦ .

١١- حسن عزوز: مناهج المستشرق في دراسة الفكر الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، عدد٤٥٠، صفر ١٤٢٤هـ .

١٢ - حمو عبد الله عيسى: دور البعثات العلمية المزابية إلى تونس في إعادة إنتاج القيم الوطنية، بعثة أبي اليقظان ١٩١٤-١٩٢٦ أنموذجًا، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، مجلد ٠٧، عدد ٣ .

١٣ - خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، القاهرة: دار الكتاب المصري، ٢٠١٢ .

١٤ - رالف بالم: مظاهر الاستعمار الجديد، ترجمة: جليل كمال الدين، مجلة الآداب، عدد١٠، أكتوبر١٩٧٠ .

١٥ - عبدالرزاق خليل: الاستشراق والمستشرقين، أحمد أمين وكتابه فجر الإسلام مثالًا تطبيقيًا، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد ٢٠٠٥، ٤٩ .

١٦- سالم لبيض: الهوية: الإسلام، والعروبة التونسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩

١٧ - سعد بوفلاقة: الاستشراق الألماني في الثقافة العربية "أنا ماري شميل نموذجًا"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد٧٣، مارس ٢٠١١ .

١٨ - الشاذلي بو يحيى: حسن حسني عبد الوهاب ١٣٠١-١٨٨٤/١٣٨٨-١٩٨٦)، مجلة حوليات تونسية، عدد٦، ١٩٦٩ .

١٩ - شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا ١٩٣٤- ١٩٨٤، ط١ . ١٩٨٤ .

٢٠ - الصادق الزمرلي: أعلام تونسيون، ترجمة: حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦ .

٢١ - الطاهر عبدالله: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، تونس: دار المعارف، ط٢ . د .ت .

٢٢ - عائشة بن يوسف: المؤسسات الدينية والعلمية بتونس، ودورها في مواجهة السياسة الدينية والثقافية الفرنسية (١٨٨١-١٩٥٦) مذكرة لنيل شهادة

الماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي ، ٢٠١٩، ٢٠١٨ .
٢٣ - عادل بن يوسف : البعثات العلمية التونسية إلى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، مجلة روافد ، عدد ١٢ .
- قراءة في مواقف الطلبة التونسيين بفرنسا من بعض القضايا الوطنية في مطلع الثلاثينيات التجنيس والمؤتمر الأفخارستي والزواج المختلط ، جامعة منوبة ، عدد٥ .
٢٤ - عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ، ترجمة : سامي الجندي ، دار القدس ، ط١ . ١٩٧٥ .
٢٥ - عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥ .
٢٦ - علي بن إبراهيم النملة : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، المملكة العربية السعودية : مكتبة التوبة ، ط١ . ١٩٩٨ .
٢٧ - علي البلهوان : تونس الثائرة ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٨ .
٢٨ - علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سرار للنشر ، ١٩٨٦ .
٢٩ - فاطمة شلفوج : الإدارة والموظفون السامون التونسيون ١٨٨١-١٩٥٦ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، ١٩٥٨ .
٣٠ - فايزة بن سعيد ، وآمال بن عدودة : دور الطلبة الزيتونيين في الحركة الوطنية التونسية من ١٩٠٧- ١٩٣٩ ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون ، ٢٠٢١ ،٢٠٢٠ .
٣١ - فتحي العايدي : أن تكون قائداً ثم وزيراً في معايير الترقي الاجتماعي زمن الاستعمار الفرنسي ، دار محمد علي الحامي ، د.ت .
٣٢ - فتحي مهيفي : النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، المجلد ١٠ ،عدد ٢ ، ديسمبر٢٠١٩ .
٣٣ - عبدالقادر العريبي : تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي(١٩٤٧-١٩٨٠) ،

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، ١٩٩٩، جـ١.

٣٤ - قسطندي رزق: الموسيقى الشرقية والغناء العربي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧.

٣٥ - كريدية إبراهيم: الحماية القنصلية أصلها وتطوراتها حتى مؤتمر مدريد سنة ١٨٨٠.

٣٦ - عبد المجيد كريم وآخرون: موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١-١٩٦٤، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، ٢٠٠٨.

٣٧ - المحسن بن علي بن صالح سويسي: مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها، وتكوينها، وأهدافها، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٩٨.

٣٨ - محمد الأمين بوحلوفة: نماذج من جهود المستشرقين، ابن أبي شنب وآسين بلاثيوس في تحقيق التراث الإسلامي، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، مجلد٢، عدد٢، ٢٠٢٠.

٣٩ - محمد البشير رازقي: النخبة المخزنية، وشبكات النفوذ في المغرب خلال القرن التاسع عشر، دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشرة، العدد الثاني والأربعون، ديسمبر ٢٠١٨.

٤٠ - محمد الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة، دار النوادر، ط١. ٢٠١٠.

٤١ - محمد عزيز الحباني: الاستعمار المقنع، مجلة الأصالة، عدد٤، أكتوبر ١٩٧١.

٤٢ - محمد عوني عبدالرؤوف: جهود المستشرقين بين التحقيق والترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤.

٤٣ - محمد الفاضل بن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٥.

٤٤ - محمد مهدي علام: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٦.

٤٥ – محمود محمد الطناحي : مداخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط١ . ١٩٨٤ .
٤٦ – مختار العياشي : البيئة الزيتونية ١٩١٩–١٩٤٥ ، الجامعة الإسلامية التونسية ، تونس ، ١٩٩٠ .
٤٧ – مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم ، دار الوراق ، د .ت .
٤٨ – موظف فرنسي كبير : بحوث تونسية ، مجلة الزيتونية ، مجلد٣ ، جـ٤ .
٤٩ – مهدي علام : حسن حسني عبد الوهاب في مجمع اللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عدد٦١ ، ١٩٨٧ .
٥٠ – نجيب العقيقي : المستشرقون ، القاهرة : دار المعارف ، ط٣ . د .ت .
٥١ – عبد الوهاب بن محمد آل فايع عسيري : المستشرق غوستاف لوبون ، وموقفه من الإسلام ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٣٦هـ .
٥٢ – أبو اليقظان : رأينا في التجنيس ، جريدة وادي ميزاب ، عدد٧٠ ، ١٩٢٨
٥٣ –يوسف مناصريه : الحزب الحر الدستوري ١٩١٩– ١٩٣٤ ، لبنان : دار الغرب الإسلامي ، ط١ . ١٩٨١ .

جهود مركز تحقيق التراث في النشر النقدي للنصوص

د / مها مظلوم خضر

مدير عام مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية سابقا

مقدمة

أنشئ مركز تحقيق التراث عام (١٩٦٦م) بدار الكتب ، بقرار رقم (٩٠) ؛ حيث " تبنى الأستاذ عبد المنعم عمر" وكيل وزارة الثقافة لشئون دار الكتب ـ في ذلك الوقت ـ فكرة إنشاء مركز لتحقيق التراث ؛ والذي "استصدر له من وزير الثقافة القرار رقم (٩٠) ، لعام (١٩٦٦م) ؛ بتاريخ (٨/٨/ ١٩٦٦م) بإنشاء مركز دراسات تحقيق التراث القومي ونشره . . . ونظمت لائحته الداخلية طرق التدريس فيه ، ودراسة الخط العربي ، ومناهج التحقيق . . ."(١) .

ويتولى هذا المركز" تدريب الأجيال الجديدة من المحققين الذين تتوافر فيهم الخصائص ، وترتفع ملكتهم التي تؤهلهم للتمرس على أعمال التحقيق والنشر العلمي ، ويتلقون الأصول الصحيحة والتدريب السليم على ذلك العمل ، على أيدي أساتذة متخصصين لهم دراية وسبق في هذا المضمار"(٢) .

ومركز تحقيق التراث هو حلقة مكملة لرحلة تحقيق المخطوطات والنشر للتراث والتعريف به في دار الكتب المصرية ؛ فقد أنشئ المركز بعد مرحلتين : (لجنة إحياء الآداب العربية) ، و(القسم الأدبي) ليكمل مسيرة النشر للتراث العربي .

(١) ، (٢) أيمن فؤاد سيد : دار الكتب المصرية : تاريخها ، وتطورها ، بيروت : أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م ـ ص ٩١ ، ٩٢ ، ١٩٩ .
- حسام عبد الظاهر : جهود دار الكتب المصرية في تحقيق التراث ونشره ، القاهرة : الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية : الإدارة المركزية للمراكز العلمية : مركز تحقيق التراث ، ٢٠١٥ م ؛ ص٩ : المقدمة .
- دار الكتب المصرية : نبذة تاريخية في أصل دار الكتب المصرية ومعرضها وحركة أعمالها ومطبوعاتها ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧م ؛ ص٣ .
- مشيرة اليوسفي : دار الكتب سيرة ومسيرة(١٨٧٠ـ٢٠٠٨م) ، القاهرة : الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٩م ؛ ص١٥٤ .

ويقوم مركز تحقيق التراث بدور أساسي في التعريف بالتراث ومحتواه خلال القرون الهجرية العشرة الأولى؛ ولا ينحصر دوره في نشر التراث وتحقيقه فقط، بل يسهم في الحفاظ عليه، وإحيائه، وليست مهمة تحقيق الكتب ونشرها فقط، بل هناك مجهودات أخرى يقوم بها المركز ومنها: "تعليم شباب الباحثين المناهج العلمية لتحقيق التراث ونشره؛ عوضًا عن القسم الأدبي".[1]

وساهم كبار المحققين وشوامخهم في هذه المهمة. ونُقِل التراث المادي المخطوط الذي هو ثمرة الفكر الإنساني عبر قرونه العشرة الأولى الهجرية إلى الأجيال المعاصرة بما يحمله من فكر وثقافة ودين ومذاهب فقهية، ونظريات علمية، والتعريف بحياة الأمم السابقة... ومركز تحقيق التراث مَعنِيٌّ بكل ذلك، وله جهود مثمرة نستعرضها في هذه الدراسة.

المحور الأول: جهود مركز تحقيق التراث في النشر النقدي للنصوص

أصدر مركز تحقيق التراث باسمه الحديث ـ منذ إنشائه ـ عام ١٩٦٦م خلال ٩١ عامًا ما يربو على (٣٦٠) عنوانًا محققًا متنوع الموضوعات والفنون، في: الأدب، والموسيقى، والحروب والأسلحة، والطب، والفلك، والصيدلة، والتاريخ، والعلوم الشرعية بأجزائها المتعددة؛ فلم يترك فنًا من الفنون إلا وأخرج ونشر فيه كتابًا محققًا: وكانت إصدارات المركز تتفاوت في كمية إصدارها، ترتفع حينًا وتهبط حينًا في سنوات أخرى بحسب أحوال الطباعة والنشر.

بالإضافة لما سبقه من جهود في تحقيق التراث في دار الكتب المصرية؛ من خلال لجنة (إحياء الآداب العربية)، و(القسم الأدبي) بدار الكتب المصرية من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٦٦م صدر ما يربو على(٤٢) كتابًا محققًا تمثل أمهات الكتب في موضوعات متنوعة هي باكورة إنتاج التراث المحقق في مصر في هذه الفترة المبكرة في نهاية القرن التاسع عشر.

(١) أيمن فؤاد سيد، دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها، ص٣٢٠.

ووضع الدكتور أحمد زكي باشا منهجًا للتحقيق ما زال يستخدم حتى اليوم ، مع تحديث أساليب التحقيق ، ونشوء مدارس متنوعة جديدة فيه .

وحمل مركز تحقيق التراث باسمه القديم والحديث عبر سنواته على عاتقه مشعل التنوير ؛ وهي مسئولية عظيمة في محاولة لإخراج أهم هذه المخطوطات عبر سنواته (١١٢) ؛ وكانت البداية بصدور "أول كتاب تراثي عن دار الكتب المصرية عام ١٨٩٣م" ، وكان المتوافر منه ـ في حينه ـ جزءان ، وهو كتاب (الانتصار لواسطة عقد الأمصار) ، لمؤلفه ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م) ؛ وصدر بعناية المستشرق كارل فولرس عام ١٩٠٩م[١] .

وتلت هذه المرحلة مراحل عدة ؛ فقامت لجنة (إحياء الآداب العربية) بتحقيق وطبع كتابي : (أنساب الخيل) ، و(الأصنام) ، لابن الكلبي ، بتحقيق : أحمد زكي باشا" ، وتم إخراجهما على أحدث المناهج العلمية في التحقيق ؛ وأُلحق بهما الفهارس التحليلية ، كما أُدخلت علامات الترقيم الحديث لأول مرة" [٢] .

وساهم كِبار وشوامخ المحققين في هذا المجهود العلمي ، وأخرجوا أمهات كتب التراث على رأسهم : د . إبراهيم مدكور ، ود . عبد السلام هارون ، ود . صلاح الدين

(١) حسام عبد الظاهر : جهود دار الكتب المصرية في تحقيق التراث ونشره ، القاهرة : الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية- الإدارة المركزية للمراكز العلمية ، مركز تحقيق التراث ، ٢٠١٥م ؛ ص٩ : المقدمة .

- دار الكتب المصرية : نبذة تاريخية في أصل دار الكتب المصرية ومعرضها وحركة أعمالها ومطبوعاتها ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧م ؛ ص٣ .

- أيمن فؤاد سيد : دار الكتب المصرية : تاريخها ، وتطورها ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥ ؛ (مكتبة الأسرة) .

(٢) مشيرة اليوسفي : دار الكتب سيرة ومسيرة (١٨٧٠-٢٠٠٨م) ، القاهرة : الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٩م ؛ ص١٥٤ .

ـــ محمد محمود الطناحي : دار الكتب ونشر التراث في مصر ، القاهرة : دار الهلال : مجلة الهلال ؛ فبراير ١٩٩٢م ؛ ص٧٩ .

المنجد ، ود . حسين نصار ، وأ . يوسف شوقي ، ود . رمضان عبد التواب ، وأ . عبد الحميد صبرة ، وأ . محمود محمد شاكر ، وأ . أحمد محمد شاكر ، د . محمود محمد الطناحي ، د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ، وأ . أحمد صقر ، وأ . محمد أبو الفضل . . . . .

ويستكمل المعاصرون الرحلة ؛ ويتجلى دورهم في : انتقاء المادة العلمية المخطوطة المقدمة للقارئ ، وعصرها ، وموضوعها ، ويحددون الهدف من تحقيقها وطبعها ونشرها ؛ لتوصيل الفائدة المرجوة من تحقيق هذه المخطوطات للقارئ لدفع حركة الفكر الإنساني .

واشتهر مركز تحقيق التراث بالتصدي لتحقيق الموسوعات في مختلف الفنون ؛ وهي أعمال ضخمة تحتاج إلى جهود كبيرة وسنوات طويلة للانتهاء من تحقيقها :

ومن أشهر هذه الموسوعات التي صدرت عن المركز لأول مرة : (صبح في صناعة الإنشا) ، للقلقشندي ، و(نهاية الأرب في فنون الأدب) ، للنويري ، وبعض أجزاء من موسوعة (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) ، لابن فضل الله العمري ، و(عيون التواريخ) .

مع تنوع العصور الإسلامية التي كُتبت فيها ما بين العصور : الأموية ، والعباسية ، والفاطمية ، والأيوبية ، والعثمانية . . . ، وفي أخبار البلدان ، وتخطيط المدن ومسمياتها قديمًا وحديثًا ، وفي سير الملوك ، وتراجم الشيوخ والعلماء ، وإبراز ألوان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والفكرية والثقافية . . . .

ونشأ جيل جديد من باحثي المركز في التحقيق ، تتلمذوا على يد هؤلاء العمالقة الذين نسلم إليهم مهمة التحقيق ، وهم من يرجى منهم الخير الكثير ، وقد تخصص بعضهم في تحقيق فن من الفنون ، وبعضهم يقوم بتحقيق أعمال موسوعية ، والرحلة لا تنتهي .

ومن جهود مركز تحقيق التراث أيضًا في نشر التراث العربي أنه شارك في

استكمال الكتب الضخمة التي بدأها (القسم الأدبي)، ولم يكملها؛ ومنها على سبيل المثال: نشر وتحقيق الأجزاء الثمانية الأخيرة من كتاب (الأغاني)، للأصفهاني، والأجزاء الأربعة الأخيرة من كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، لابن تغري بردي؛ وما زال العطاء مستمراً في مختلف الفنون والموضوعات.

وأعيد طبع بعض هذه الموسوعات عدة مرات، وما زال الطلب عليها شديداً؛ لأنها مصادر أساسية لأي محقق في هذه المجالات المتنوعة؛ وكان لمركز تحقيق التراث السبق في تحقيقها ونشرها لأول مرة.

وعندما نؤرخ أو نوثق لأي مصطلح نستخدمه في زماننا نرجع إلى أصوله الأولى في هذه المخطوطات، فنجد أول استخدام له؛ ومن هنا تأتي أهمية الاحتفاء بالمخطوط العربي الذي هو موسوعة لكل العلوم والفنون والأفكار، بل حتى الابتكارات التي نسمع عنها في العصر الحديث لها جذور في مخطوطاتنا العربية التي أخذ منها الغرب، واعتمد عليها في تجاربه وصياغته للمصطلحات الحديثة.

جهود مركز تحقيق التراث في العصر الحديث:

لتدعيم دوره في المساهمة في النشر النقدي للنصوص أُستُحدثت أوعية فكرية جديدة بيانها كالتالي:

١- مجلة (تراثيات): دورية تُعنى بنشر الدراسات والبحوث التي تدور حول موضوعات التراث العربي المادي المخطوط، منها: دراسة عن مخطوط قَيِّم نُشِرَ، ودراسات حول موضوعات المخطوطات، ودراسة عما نشر حديثًا من المخطوطات، وما ينشر على الإنترنت مما يهم التراث ...؛ وقد صدر منها حتى الآن (٢٣) عدداً خلال (٢١) سنة؛ وصدر أول عدد منها عام ٢٠٠٣م؛ وكانت تصدر في البداية نصف سنوية (يناير، يونية من كل عام)، ثم تحولت إلى سنوية اعتباراً من عام (٢٠٢٣م).

٢ـ سلسلة (تراثنا العلمي) : أنشأتها د . مها مظلوم خضر ، مدير عام مركز تحقيق التراث منذ عام(٢٠١٣م) ؛ وهي تُعنى بنشر وتحقيق ودراسات وعروض مخطوطات التراث العلمي بموضوعاته المتنوعة ، من : الطب ، والفلك ، والهندسة ، والعمارة ، والنباتات ، والعطور ، والبيطرة ، والكيمياء ، والفيزياء . ونتيجة لكثرة المخطوطات العلمية بدار الكتب المصرية التي لم تحقق كانت هذه السلسلة ؛ وقد صدر منها حتى الآن خلال إحدى عشرة سنة (١٧) عدداً ؛ وهي نصف سنوية ، تصدر في شهري (مارس وسبتمبر من كل عام) .

٣ـ سلسلة (رسائل تراثية) : أنشئت عام ٢٠٠٣م ، وصدر منها خمس أعداد حتى الآن ؛ وهي سلسلة عامة تنشر فيها الرسائل الصغيرة متنوعة الموضوعات التي تتراوح صفحاتها ما بين ١٠٠ حتى ١٥٠ صفحة بعد التحقيق ؛ وذلك خدمة للنشر النقدي للنصوص بكل صوره وأوعيته المتنوعة .

٤ـ المؤتمر السنوي لمركز تحقيق التراث : بدأ أول مؤتمر للمركز عام ٢٠٢١م ؛ وتنوعت موضوعاته ؛ وهو يعقد في شهر سبتمبر من كل عام ؛ وتُختار موضوعاته بعناية ليتناول التراث العربي المخطوط وما حوله من موضوعات ؛ وتنشر أبحاث المؤتمر ـ بعد ذلك ـ في كتاب ؛ لإفادة الباحثين المهتمين ؛ وبيانها كالتالي :

- المؤتمر الأول : القاهرة بين الواقع والمأمول ، سبتمبر ٢٠٢١م .
- المؤتمر الثاني : التراث ، وترسيخ الهوية ، سبتمبر ٢٠٢٢م .
- المؤتمر الثالث : النشر النقدي للنصوص ، سبتمبر ٢٠٢٣م .

٥ـ ومن جهود مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية للمساهمة في نشر التراث العربي التعريف به من خلال إقامة دورات تدريبية على التحقيق : من أجل التعرف على أنواع المخطوطات وموضوعاتها باللغة العربية ؛ حيث أقام المركز سبع دورات تدريبية عامة ومتخصصة خلال أعوام :(٢٠١٤ ، و٢٠١٥ ، و٢٠٢٠ ، و٢٠٢٢م) .

المحور الثاني :

١ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، تحقيق : د . عائشة عبد الرحمن نموذجًا .

٢ـ رسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب ، لأبي علي بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٣هـ) ، تحقيق ودراسة : أ . د . أحمد فؤاد باشا نموذجًا .

أخرج مركز تحقيق التراث أهم الكتب ، ومنها :

ـ كتب في الحديث الشريف ، مثل كتاب (مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح) في علوم الحديث ، تحقيق : د . عائشة عبد الرحمن .

ـ الخطط التوفيقية الجديدة ، لعلي مبارك .

ـ النجوم الزاهرة في حلى مصر والقاهرة ، لابن سعيد المغربي ، تحقيق : حسين نصار .

- رسالة الكندي في خبر صناعة التأليف ، تحقيق : يوسف شوقي .

-ديوان ابن الرومي ، تحقيق : حسين نصار .

-الأدوار في معرفة النغم ، تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة .

-المذكر والمؤنث ، للمبرد ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، وصلاح الدين الهادي .

-الشكوك على بطليموس ، للحسن بن الهيثم ، تحقيق : عبد الحميد صبرة ، ونبيل الشهابي .

- نهاية الأرب ، للنويري ، تحقيق : مجموعة من العلماء والباحثين .

وحتى تخرج هذه الكتب المحققة إلى النور لتساهم في حركة النشر النقدي للنصوص كان لا بد لشوامخ المحققين أن يضعوا منهجًا للتحقيق ؛ وأول من وضع هذا المنهج هو أحمد زكي باشا ؛ فكان كتاب مقدمة ابن الصلاح نموذجًا علميًا لما تم من جهد في التحقيق ووضع نموذج له ، وإيضاح مراحله كما سنرى :

١ـ كتاب مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح ،

تحقيق : د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) نموذجًا

ذكرت د . عائشة عبد الرحمن في مقدمتها للكتاب في هذه الطبعة المزيدة المنقحة التي صدرت في عام (١٩٨٩م) أن طبعة الكتاب الأولى صدرت عام (١٩٧٤م) عن مركز تحقيق التراث التابع لدار الكتب ؛ وأنها اتبعت المنهج التالي في تحقيقه :

١- وثقت الكتاب في أصول الحديث في عصر ابن الصلاح ومن بعده من العلماء .

٢- وثقت متن الكتاب (موضوعه) من المصادر الأصلية ، وكذلك رجعت إلى :

ابن الصلاح ، والسراج البلقيني كتبهم المطبوعة والمخطوطة .

٣- أكملت السقط في النسخة التي اعتمدت عليها .

٤- وثقت الأحاديث من كتب الحديث والسنن أولًا ، ثم من كتب علماء مصطلح الحديث الذين يشتغلون - غالبًا - بأنواع الحديث : المرفوع ، أو الموقوف ، أو المرسل ، والمنقطع ، والمقطوع ، والغريب ، والضعيف[1] .

ومن الأسباب القوية لإعادة تحقيق الكتاب كما ذكرتها المحققة في مقدمة التحقيق :

١- وضحتْ أن الطبعة الثانية استغرقت عشر سنوات في إعدادها وتوثيقها ، وتدارك ما حدث من أخطاء أو سهو أو طمس في الطبعة الأولى .

٢- اعتمدتْ - بجانب المصادر والمراجع القديمة - على الكتب الصادرة حديثًا في مجال الحديث للاستفادة منها .

٣- من أسباب إعادة التحقيق في الطبعة الثانية اكتشاف نسخة جديدة للكتاب

---

(١) عائشة عبد الرحمن : مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٩م . (سلسلة ذخائر العرب عدد٦٤) ؛ ص ٥-٨ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٥-١ .

لم تكن قد عثرتُ عليها عند تحقيقي للطبعة الأولى"[٢].

نوهت المحققة في مدخل كتابها بأنها تناولت مؤلَّفَين كانا مع بعضهما البعض في مخطوطة واحدة هما: (مقدمة ابن الصلاح، لأبي عمرو بن الصلاح، وكتاب البلقيني)؛ اللَّذين تقوم بتحقيقهما معًا، وإخراجهما في كتاب واحد كما وُجدا في النسخة المخطوطة.

وتأتي أهمية اختيارنا لهذا النموذج أنه في نطاق علوم الحديث الشريف، والفروع قريبة الصلة من العلوم الفقهية ...

موضوع الكتاب:

ينقسم كتاب ابن الصلاح الذي حققته د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

إلى كتابين، هما: مقدمة ابن الصلاح في الحديث، ومعه كتاب محاسن الإصلاح للبلقيني.

يتناول الكتاب الأصلي (مقدمة ابن الصلاح) خمسًا وستين نوعًا من أنواع الحديث، "وأضاف البلقيني في مقدمته لكتابه (محاسن الإصلاح) خمسة أنواع أخرى من الحديث الشريف"[١].

نُسخ المخطوطة:

ذكرت د. عائشة عبد الرحمن في مقدمة التحقيق عند التعريف بالنسخ التي اعتمدت عليها:

١ـ "طبعت مقدمة ابن الصلاح لأول مرة على الحجر في الهند عام (١٣٠٤هـ) بعناية الشيخ (عبد الحي اللكنوي) ونفدت.

(١) عائشة عبد الرحمن: مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٩م. (سلسلة ذخائر العرب عدد٦٤): ص ١١٥.

٢ـ وجدتُ منها نسخًا أخرى بدار الكتب المصرية ؛ فاخترت ست نسخ محفوظة . منها ثلاث نسخ مقروءة على ابن الصلاح ، وعليها خطه بتصحيح القراءة والسماع(١) .

تبعت ذلك باستعراض نسخة كتاب (محاسن الإصلاح) المضمنة في كتاب ابن الصلاح : وهي مقروءة على (سراج الدين البلقيني الشافعي) مؤلفها .

ذكرت المحققة - في نهاية مخطوطة ابن الصلاح ما نصه : "النوع الخامس والستون : معرفة أوطان الرواة وبلدانهم"(٢) .

وفي النهاية يورد البلقيني الأنواع الخمسة الزائدة عن ابن الصلاح في "أنواع الحديث : لتصبح سبعين نوعًا بدلًا من خمسة وستين نوعًا عند ابن الصلاح ؛ وهي :

النوع السادس والستون : رواية الصحابة بعضهم عن بعض (٦٨٠- ٦٨٩هـ) .

النوع السابع والستون : معرفة رواية التابعين بعضهم عن بعض - وذكر البلقيني ثلاثة أنواع لم يوردها ابن الصلاح داخل هذا النوع - (٦٩٠- ٦٩٢هـ) .

النوع الثامن والستون : من اشترك من رجال الإسناد في فقه ، أو بلد ، أو غير ذلك (٦٩٣- ٦٩٧هـ) .

النوع التاسع والستون : معرفة أسباب الحديث من طريقة نقله (٦٩٨- ٧١٣هـ) .

النوع الموفي سبعين : التاريخ المتعلق بالمتون(٧١٤ ـ ٧٤٠هـ)(٣) ؛ وذلك بحسب تصنيف الأحاديث وتوثيقها من أول روايتها توثيقًا بالفترة التاريخية لبداية رواية أول حديث .

نبذة من مقدمة ابن الصلاح التي أورد فيها قصده من تأليف الكتاب : فيقول : من أهم ما يعتني به الطالب ويرغب فيه الراغب معرفة أنواع علوم الحديث"(٤) .

---

(١) عائشة عبد الرحمن مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح ، ص ٩٤٣ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٩٤٣

(٤) المرجع السابق ص ١٤٦

تكلم ابن الصلاح -بعد ذلك - عن جميع علماء الحديث في القديم والحديث . وأضاف البلقيني الإضافات الخمسة التي ذكرناها ليكمل الكتاب ؛ واستغرقت مقدمة التحقيق التي أعدتها المحققة نحو(١٤٨صفحة) ، ثم يبدأ التحقيق .

ـ وقدمت المحققة في مقدمتها عرضًا سريعًا لمن تتابعوا في خدمة الحديث الشريف وعلومه ، ورجاله من القرن الثاني الهجري إلى عصر ابن الصلاح في القرن السابع الهجري ؛ باختلاف طبقاتهم وأمصارهم ، ومنهم الحافظ أبو عبد الله الذهبي الذي ترجم في الجزأين الأولين من (تذكرة الحفاظ) لأكثر من خمسمائة من أعيان الحفاظ إلى القرن الثالث الهجري . وتوالى ذكر كتب الحديث ومؤلفيها عبر القرون إلى أن وصلت إلى عصر(تقي الدين أبي عمرو عثمان ابن الصلاح) الشافعي المذهب من أعيان القرن السابع الهجري (٥٧٧- ٦٤٣هـ)= القرن الثالث عشر الميلادي .

ـ واستعرضت بنت الشاطئ رحلة حياة ابن الصلاح ، ومصنفاته التي اشتُهر بها ، من بينها كتابه (مقدمة ابن الصلاح) ، وذكرت رواته الذين وصلوا إلى (١٥) راويًا تناقلوا هذا الكتاب بطرق السماع أو الإجازة ؛ وجميعهم في عصر المؤلف . وكذلك من قام بعدهم بشرح او اختصار الكتاب ، ومن قام بالزيادة عليه . وهو (السراج البلقيني ، أبو عمر بن رسلان بن نصير المصري الشافعي (٧٢٤-٨٠٥هـ)".[1] .

-توثق المحققة الأعلام والأحاديث .

-تضع تعليقات البلقيني على مقدمة ابن الصلاح بعد خط ؛ ليفصل بين نص ابن الصلاح وشروح البلقيني ، وتضع عنوانًا لها (محاسن البلقيني) ؛ لتوضح الإضافات على النص الأصلي ، وربما اكتفت بذكر عنوان بالبنط الأسود(محاسن) . ثم تعود إلى النص الأصلي ـ بعد ذلك ـ ثم تورد تعليقاتها عليهما في الهامش .

ـ وضعت الصفحات الأولى والأخيرة للمخطوطة ، والنسخ المساعدة في نهاية التحقيق ، وليس في نهاية مقدمة التحقيق في أول الكتاب كما هو معتاد .

---

(١) عائشة عبد الرحمن : مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاحص ١٤٦ .

٢ ـ كتاب (رسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب)، لأبي علي بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٣هـ)، تحقيق ودراسة: د. أحمد فؤاد باشا نموذجًا [١].

منهج المحقق: قسم المحقق الكتاب إلى جزأين:

الجزء الأول: الدراسة

الجزء الثاني: الرسائل الثلاثة المحققة.

يبدأ الكتاب بدراسة طويلة مفصلة تشتمل على: ثلاثة فصول تتناول ترجمة الحسن ابن الهيثم، ومؤلفاته، وآثاره العلمية، والمنهج الذي استخدمه اعتمادًا على المنهج الاستقرائي، وكذلك نظرياته العلمية في انعكاس الضوء وانعطافه، والإبصار، وتشريح العين، وتأسيس تقنية التصوير الضوئي، وآرائه في سرعة الضوء وقدره.

قام المحقق بتحقيق رسائل ابن الهيثم الثلاث من خلال توثيق كل ما ورد فيها، وربطها بالنظريات الحديثة ومفاهيمها، بل صحح بعض الآراء الخاطئة، مثل نظرية انعطاف الضوء؛ يقول ابن الهيثم: "وإن الضوء إذا انعطف من جسم مشف لطيف إلى جسمين أغلظ من الجسم الأول، وكان الجسمان الغليظان مختلفي الغلظ، فإن انعطاف الضوء في الجسم الذي هو أكثر غلظًا يكون أكثر ..."[٢].

ذكر المحقق فيها تصحيحًا لنص يُنسب خطأ في النظرية السابقة في علم البصريات الهندسية الحديثة إلى (سنيل) في القرن السابع عشر الميلادي؛ وذلك أن بعض المراجع الحديثة تشكك في أن ابن الهيثم هو المكتشف الأصلي لهذا هذا القانون[٣].

وقام المحقق بتصحيح وتصويب رسومات بعض الاتجاهات للضوء المنعكس في الرسائل الثلاث، وذكر ذلك عن الرسم الذي قام بتصويبه. في كل رسالة ذ قبل تحقيقها ــ حيث يضع المحقق تمهيدًا، فيصف ليمهد للقارئ، ويشرح له مفهوم النظرية

(١)، (٢) رسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب، لأبي علي بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٣هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فؤاد باشا، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، ٢٠١٤م، (سلسلة تراثنا العلمي: كتب وعروض: ٢).

(٣) رسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب، لأبي علي بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٣هـ).

أو القانون الذي يتحدث عنه الحسن بن الهيثم في رسالته ؛ ليبسط المفهوم القديم ، وينقله إلى المفهوم الحديث .

خاتمة الدراسة

أبرزت هذه الدراسة جهود مركز تحقيق التراث في النشر النقدي للتراث ، ومكانته بين المستعربين والمستشرقين ، وألقت الضوء على الإنتاج العلمي المتميز الذي تفرد به مركز تحقيق التراث في نشره أوائل الكتب المحققة التي لم يعرف عنها أحد شيئًا إلا من خلال ما حققه المركز ونشره قبل أن تُفهم مصطلحات التحقيق في العالمين : العربي ، والغربي ؛ ويرجع الفضل إلى (أحمد زكي باشا) الذي أرسى مفهوم التحقيق ، وسار على دربه شوامخ المحققين في مصر وفي مركز تحقيق التراث خاصة .

أجيال تسلم لأجيال ؛ وقد نشأ مركز تحقيق التراث لإخراج جيل من شباب المحققين الذين يبذلون جهدهم للمساهمة في دفع حركة النشر التراثي للنصوص العربية في مختلف موضوعاتها وفنونها .

هكذا ساهم مركز تحقيق التراث في نشر هذا الكتاب المهم في علوم الحديث ، والذي هو مرجع أساسي لأي باحث في هذا العلم على يد واحد من كبار وشوامخ المحققين في مصر .

المصادر والمراجع :

١ـ أيمن فؤاد سيد : دار الكتب المصرية : تاريخها ، وتطورها ، بيروت : أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م .

٢ـ حسام عبد الظاهر : جهود دار الكتب المصرية في تحقيق التراث ونشره ، القاهرة : الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، الإدارة المركزية للمراكز العلمية ، مركز تحقيق التراث ، ٢٠١٥م .

٣ـ دار الكتب المصرية : نبذة تاريخية في أصل دار الكتب المصرية ومعرضها ، وحركة أعمالها ، ومطبوعاتها ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧م .

٤ـ مشيرة اليوسفي : دار الكتب سيرة ومسيرة(١٨٧٠ـ ٢٠٠٨م) ، القاهرة : الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٩م .

إطلالة على بعض الجهود الأهلية
ودورها في تحقيق التراث وإحيائه

د . يسري عبد الغني
رئيس ومؤسس مركز الأصالة والمعاصرة
للبحث العلمي والتنمية الثقافية

قبل أن نبدأ

في لفظ (التراث) إيحاء خاص إلى ما خلفه الأدباء من علوم ومعارف ومصنفات ، حتى صارت علمًا بالغلبة على النتاج الفكري لأسلافنا الذين سبقونا بالبحث والدرس ، وارتياد دروب التصنيف .

ولأمتنا نتاج غزير في شتى دروب المعارف الإنسانية ، كما أنه متنوع في طريقة عرضه بين الإيجاز والتوسع ، كما تختلف طرق عرضه ، فهو يعرف المتون والشروح ، والحواشي ، والتقريرات ، وهو يعني متابعة المعارف ، والتعقيب عليها بالحوار حتى تنجلي أفكاره .

والمطبوع من هذا التراث أقل من المخطوط ، ومخطوطاتنا تزدحم بها مكتبات العالم في الشرق والغرب .

وبداية الكلام عن التراث نشأ عند ظهور المطبعة ، واكتشاف آلات الطباعة التي يسرت الكتاب ، وجعلته في متناول الجمهرة من المثقفين ، وكان من قبل ذلك مقصورًا على أهل الغنى الذين يملكون ثمن الكتاب ، ويعدون اقتناءه في بيوتهم زينة للبيت ، كأية قطعة يعتزون بها من قطع الأثاث .

فمنذ ظهور المطبعة تحدث المثقفون والمتعلمون عن المطبوع والمخطوط ، وصارت كلمة التراث أكثر إطلاقًا على المخطوط منه بخاصة .

والمخطوط لا يعد من التراث إلا إذا كان مدونًا قبل ظهور الطباعة الحديثة ، وعند ذلك يدخل في دائرة التراث المطلوب تحقيقه .

لقد بدأ نشر التراث مع بداية آلات الطباعة بصورتها الأولى .

وكانت طريقة النشر عبارة عن مجرد طباعة النص المخطوط دون اهتمام بمقابلة النسخ المتعددة إن وجدت ، ولا تصحيحها ، ولا الفهرسة لها .

وبداية العمل لنشر التراث العربي والإسلامي كانت على يد المستشرقين .

فقد ظهر التفكير في نشر التراث العربي مسايراً لظهور المطبعة على الأرض العربية ، هذه الآلة التي استحدثها الإنسان فأثرت تأثيراً عميقًا في تاريخ الفكر والحضارة ، بل تعدّ نقطة تحول في هذا المضمار .

وكانت أول مدينة في الشرق عرفت الطباعة هي الأستانة ، طبعت فيها التوراة سنة ١٥٥١م ، وترجمت للعربية بحروف عبرية ، وكانت أشهر المطابع فيها : مطبعة الجوائب ، لصاحبها العلامة أحمد فارس الشدياق ، وكان يصدر عنها صحيفة الجوائب وبعض الكتب القيمة ، وفيها من مؤلفات الشدياق : الجاسوس على القاموس ، والساق على الساق فيما هو الفارياق .

وظهرت الطباعة في لبنان منذ عام ١٦١٠م ، ثم تطورت واتسعت ، وكان أشهر مطابعها : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، وقد تجردت إلى حد ما عن الصبغة المسيحية ، ونشرت جانبًا من أمهات كتب الأدب مثل : نوادر أبي زيد ، وفقه اللغة ، للثعالبي ، وديوان الأخطل ، وكذلك مطبعة المعارف ، للبستاني سنة ١٨٦٧ ، وصدر عنها بعض كتب الأدب والتراث .

وفي العراق أول مطبعة ظهرت فيه كانت سنة ١٨٣٠ ، وظهرت بصورة واضحة سنة ١٨٥٦ بعد أن أسس الرهبان مطبعة كاملة بالموصل .

وأنشئت أول مطبعة بفلسطين سنة ١٨٣٠ ، وفي اليمن سنة ١٧٨٨ ، وفي الحجاز سنة ١٨٨٢ ، وفي عمان بالأردن سنة١٨٢٢ .

حركة نشر التراث كانت زاخرة في مصر ، دخلت المطبعة فيها مع الغزو الفرنسي ، وسميت المطبعة الأهلية ، وكانت في الإسكندرية لخدمة أهداف الحملة ، ثم نقلت إلى القاهرة ، وانتهت بانتهاء الحملة ، أي : أن عملها من ١٧٩٨-١٨٠١ ، ولم يصدر عنها مطبوعات ذات شأن يذكر .

وفي سنة ١٨١٩م أو ١٨٢١م أسس محمد علي المطبعة الأهلية على أنقاض مطبعة نابليون ، ثم نقلت إلى شاطئ النيل عند بولاق ، وعرفت بالمطبعة الأميرية أو

مطبعة بولاق .

وكانت مطبعة بولاق ثورة ثقافية وحضارية وقفزة هائلة في تاريخ نشر التراث ، وأخرجت إلى النور أروع ما دبجته أقلام الأوائل في شتى المعارف والعلوم .

وظلت مطبعة بولاق تؤدي رسالتها على أكمل وجه نحو قرن من الزمان ، ولم تخمد جذوتها إلا في فترات قليلة ، وهي قائمة حتى الآن في مقرها الجديد على شاطئ النيل عند إمبابة تتوفر على طبع النشرات الحكومية ، والوقائع المصرية ، والقوانين الصادرة ، ومطبوعات مجمع اللغة العربية وبعض الهيئات والمؤسسات الحكومية .

لم تقم مطبعة بولاق وحدها على الساحة ، على قوامة نشر التراث وتحقيقه ، وإنما رافقتها على الطريق بعض المطابع الأهلية ، وأقدم مطبعة أهلية أنشئت بعد بولاق بنحو أربعين سنة ، وهي مطبعة الوطن أنشئت سنة ١٨٦١ ، وكانت تسمى المطبعة الأهلية القبطية ، وأصدرت من كتب التراث : أدب الكاتب ، لابن قتيبة .

ومطبعة وادي النيل أسسها عبد الله أبو السعود أفندي ، طبع فيها صحيفة وادي النيل وبعض كتب التراث ، ومما طبع فيها : الوسيلة الأدبية ، للشيخ حسين المرصفي .

ومنها : مطبعة جمعية المعارف ، واسمها : المطبعة الوهبية ، أسسها محمد عارف باشا ، وقد طبعت خمسة أجزاء من تاج العروس ، كما طبعت الصحاح ، للجوهري ، والتعريفات ، للجرجاني ، وشفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، للسيوطي"وهو من الكتب التي صححها الشيخ نصر الهوريني" .

وكان وراء هذا المجهود الكبير لهذه المطبعة جمعية المعارف التي تضم نخبة من فضلاء القوم ، أسسوا هذه المطبعة لهذا الهدف النبيل .

ومنها : المطبعة الخيرية بالجمالية ، وقد أسسها عمر حسين الخشاب ، ومحمد عبد الواحد الطوبي ، ومما نشرته : تاج العروس شرح القاموس ، للزبيدي ، وقد طبع كاملًا في عشرة أجزاء(١٣٠٦-١٠٣٧هـ)

ومنها : المطبعة الأزهرية المصرية ، وقد أخرجت الكامل في التاريخ ، لعز الدين

ابن الأثير ، وبهامشه عجائب الآثار ، للجبرتي ١٣٠١هـ .

كما لا ننسى هنا : مطبعة السعادة بميدان باب الخلق ، وقد أخرجت من كتب التراث : البحر المحيط ، لأبي حيان ١٣٢٩هـ على نفقة مولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى ، وأكثر الكتب التي حققها الشيخ محيي الدين ، ولا تزال قائمة للآن .

ومنها : مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي ، ومطبعة محمد علي صبيح ، ومطبعة الحلبي التي قامت على أنقاض المطبعة الميمنية بالكحكيين ، وانقسمت إلى مطبعتين : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ودار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، وكذلك مطبعة السنة المحمدية التي أنشأها الشيخ محمد حامد الفقي ، رحمه الله .

إن حركة نشر التراث وإحياءه لم تسر على وتيرة واحدة من حيث الإخراج والعناية بالنص وتحريره وتحقيقه ، بل إنها عبرت عدة مراحل ، ونقطة التحول فيها هو أسلوب النشر وطريقة إخراج الكتاب المراد نشره .وبالطبع لا ننسى في هذا المقام الجهود المقدرة التي بذلها كل من القدسي والخانجي . . .

ففي مرحلة المطبعة الأميرية ببولاق والمطابع الأهلية ،وكان عملها مجرد نشر للتراث ، وإن تميزت بصحة النص وضبط العبارة ، لكنها لم تعول على ذكر المخطوط ووصفه وتاريخه ومميزاته ، كما لم تعنَ بالفهارس التي تفتح مغاليق الكتاب وتكشف مجاهله ، اللهم إلا فهرساً موجزاً للموضوعات .

كما لا حظنا في هذه المرحلة نشر أكثر من كتاب في كتاب واحد ، وأحياناً يصل الأمر إلى خمسة كتب .

والمصحح للنص في هذه المرحلة ما كان يشير إلى نفسه إلا بعبارات في آخر الكتاب غاية في التواضع الذي يرفع من قدر العالم ، مع أن الجهد المبذول فيه يفوق ما يؤديه كثير من أدعياء التحقيق في عصرنا الحاضر الذين يكتبون أسماءهم على الكتاب بحروف بارزة ، بينما أسماء المصنفين بحروف صغيرة لا تكاد ترى .

ونذكر هنا الناشرين أصحاب المبدأ والرسالة .وهم طائفة من الرجال الأعلام تصدوا لصناعة النشر ، وأقاموا مطابع ، وهم من أهل العلم والمعرفة وأصحاب رأي وفكر ، يدفعهم إلى النشر إيمان وعقيدة قبل الكسب والربح .

مطلوب منا أن نعرف شبابنا ببعض من جهودهم ؛ ليكونوا لهم المثل والقدوة الحسنة .

نقول : كانتِ اللغة قد أصابها خلال فترة الاحتلال العثماني للبلاد العربية كل أنواع الضعف والانحطاط والركاكة والعقم ، فلما لاح فجر النهضة الحديثة أحس المصلحون مدى الحاجة إلى إحياء التراث القديم ، وعرض الآداب العربية في عصورها الزاهرة ، وساعد على ذلك وجود المطابع .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشرت مجموعة كبيرة من الكتب القيمة من ذخائر تراثنا اللغوي والأدبي ، كما ظهرت مطبوعات عربية أخرى في الهند والشام والأستانة التركية ، هذا بالإضافة إلى ما كان ينشره المستشرقون من كنوز التراث العربي .

وقد حمل لواء الدعوة إلى إحياء التراث عدد من قادة الفكر والعلم ورواد النهضة ، نذكر منهم : الأستاذ الإمام المجدد الشيخ محمد عبده ، ورائد التعليم المصري وعراب الثقافة المصرية علي باشا مبارك ، وشيخ العروبة أحمد باشا زكي ، وكلهم ممن اتصلوا بالثقافة العربية الإسلامية الأصيلة في عصورها المختلفة ، ونهلوا من منابعها ، إيمانًا منهم بجدوى هذا الإحياء ، لا على إصلاح اللغة فحسب ، ولكن على وجودنا القومي كله .

وكانت هذه الحركة عنصراً مهماً في برنامج اليقظة ، يتجه إلى اكتشاف الذات ، وتبيين ملامح أصالتنا التي تكونت على مدى الدهور ، وإعطاء النهضة الحديثة جذوراً عميقة من صميم وجودنا التاريخي ، وتغذيها روافد مستحدثة من جديد الفكر الغربي .

المطابع غير الأميرية أو غير الحكومية ، فلم تظهر إلا بعد مضي أربعين سنة من

إنشاء مطبعة بولاق المصرية ، وأولها (المطبعة الأهلية القبطية) التي عرفت فيما بعد باسم (مطبعة الوطن) ، وقد أنشئت هذه المطبعة سنة ١٨٦٠ م ، بعد أن تدرب عمالها في مطبعة بولاق ، بإذن خاص من الخديو سعيد حاكم مصر في تلك الآونة .

ومن أقدم المطابع الأهلية في مصر كذلك مطبعة (وادي النيل) سنة ١٨٦٠ م ، وطبعت فيها صحيفة وادي النيل ، تلك التي أنشأها أبو السعود أفندي سنة ١٨٦٦م ، وهذه الصحيفة هي ثاني صحيفة تصدر في وطننا العربي بعد صحيفة (الوقائع المصرية) التي صدرت في عهد محمد علي باشا .

من مالطة إلى بيروت :

ثم ظهرت إلى ساحة الطباعة المشرقية المطبعة الأمريكية للمبعوثين الأمريكان ، والتي أنشأت في جزيرة مالطة سنة ١٨٢٢ م ، وبعد ذلك تم نقلها إلى العاصمة اللبنانية بيروت سنة ١٨٣٤م ، وطبع بها الكثير من الكتب المدرسية ، ومجموعة من كتب الأدب والتاريخ ، ودواوين الشعر العربي القديم .

ويعتبر بعض الباحثين : أن هذه المطبعة الأمريكية تعد بحق أول نهضة جدية للطباعة في المشرق .

وها هو الأستاذ أحمد عباس الأزهري ، يقول في هذه المطبعة :

لله مطبعة بحسن طباعتها أحيت عظام الكتب وهي رميم

ويمكن اعتبار المطبعة الأمريكانية اللبنانية في هذه الفترة من أكبر مطابع لبنان ، إن لم تكن أكبرها وأنشطها ، وكان نشاطها بحق مضربًا للمثل في المشرق كله ، كذلك كانت طباعتها أنموذجًا يحتذيه أصحاب المطابع في البلاد العربية كلها .

وتظهر بعد ذلك إلى الوجود المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، سنة ١٨٥٤م ، فكان لها الفضل العظيم في نشر الكثير من أمهات تراثنا العربي الزاخر ، أذكر لك منها :

- نوادر أبي زيد الأنصاري ، صدر سنة ١٨٩٤ م
- تهذيب الألفاظ ، للتبريزي ، صدر سنة ١٩٩٥ م

وبالطبع لا يستطيع جيلنا أن ينسى كتاب أو موسوعة (مجاني الأدب في حدائق العرب) ، هذا الكتاب الذي يقع في حوالي ستة أجزاء ، عني بجمعه وضبطه وتصحيحه : الأب لويس شيخو اليسوعي ، وصدر عن مطبعة الآباء اليسوعيين ، والنسخة التي في مكتبتي صدرت في ١٩٣٦م ، وهذا الكتاب موسوعة جادة شاملة في الأدب العربي القديم بمختلف مجالاته وأنواعه ، أنصح شبابنا من محبي الأدب وعشاقه الاطلاع عليه ، والنهل من منهله العذب .

جمعية المعارف

ونذكر هنا مطبعة (جمعية المعارف) التي أسسها محمد عارف باشا ، أحد أعضاء مجلس الأحكام المصري سنة ١٨٦٨ م .

ولقد لقيت هذه الجمعية الثقافية العلمية إقبالًا كبيراً ، وأيضًا استجابة سريعة من المثقفين وأهل العلم ، وغيرهم في مصر والوطن العربي ، وكان لأعضائها ميزة هي أن يحصلوا على الكتب بثمن مخفض ، أقل مما يطلب من غيرهم غير الأعضاء في الجمعية .

وقد نشرت جمعية المعارف هذه طائفة مهمة من الكتب القيمة التي تعد من عيون التراث في اللغة والأدب والتاريخ ، منها :

- معجم تاج العروس ، للزبيدي
- كتاب ألف باء ، للبلوي
- كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير
- كتاب الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي

وهذا الكتاب الأخير من أعجب كتب التاريخ ، إذ هو شرح لكتاب تاريخي مهم ، ألفه أبو نصر العتبي ليسرد فيه وقائع يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٣٦٠ هـ ـ ٤٢١ هـ) ، بأسلوب أدبي فني ، وسماه (اليميني) ، نسبة إلى يمين الدولة هذا .

وقد تتابع على هذا الكتاب شراح كثيرون ، كان من أبرزهم وأشهرهم هذا المؤلف ، وهو أحمد بن علي المنيتي (١٠٨٩ هـ ـ ١١٧٢ هـ) ، والذي سمي شرحه بـ

(الفتح الوهبي) .

ومن الكتب التي قامت مطبعة جمعية المعارف بطبعها : كتاب (تاريخ ابن الوردي) مذيلًا بالحوادث التي جرت بعد وفاة المؤلف ، من سنة ٥٧٠ هـ إلى سنة طبع الكتاب ، أي سنة ١٢٨٥ هـ .

شركة طبع الكتب العربية

ومن الجمعيات الأهلية التي قامت على طبع ونشر وإحياء التراث الأصيل في ذلك العهد (شركة طبع الكتب العربية) ، وقد ظهرت بعد تأسيس جمعية المعارف بثلاثين عامًا كاملة ، أي في سنة ١٧٩٨ م ، وقد طبعت طائفة نافعة من كتب الفقه والتاريخ ، نذكر لك منها على سبيل المثال لا الحصر :

- كتاب (الموجز) في فقه الإمام الشافعي (رضي الله عنه)
- كتاب (فتوح البلدان) ، للبلاذري .

هذا هو المجتمع المدني المفيد!!!

وهنا يتوارد للذاكرة موقف خليق بأن يحتذى في أيامنا هذه ، ألا وهو أن نشهد قيام جمعية خيرية أو أهلية خاصة ، من فضلاء المصريين وسراتهم ذوي الهمم العالية ، لنشر كتاب معين ، وهو كتاب أو معجم (المخصص) في اللغة ، لمؤلفه الأندلسي ابن سيده الضرير ، وذلك سنة ١٩٠٢ م .

وكان من بين أعضاء هذه الجمعية الفريدة من نوعها : الشيخ الإمام محمد عبده ، وحسن باشا عاصم ، وعبد الخالق باشا ثروت ، ومحمد البخاري ، وقد وكلوا تصحيح هذا المعجم إلى العلامة الشيخ محمد بن محمود التركيزي الشنقيطي ، الموريتاني الأصل ، بمعاونة الشيخ عبد الغني محمود ، أحد علماء الأزهر الأجلاء .

وها نحن نضع مثال مطبعة جمعية المعارف ، ومثال الجمعية الخيرية التي قامت بطباعة كتاب (المخصص) ، لابن سيده ، نضعهما أمام أهل العلم والفضل ، فلعلهم يحتذون حذوهما ، في زمن التفاهة والسطحية الذي نعيشه ، ولعل منظمات المجتمع المدني ذات الاهتمام بالعلم والثقافة تتقي الله ، وتقوم بخدمة الناس في شتى

المجالات في العلم والثقافة والفكر ، خدمة حقيقية بعيدة عن السبوبة والمنافع الشخصية والشو الإعلامي . . !!

الأستاذ الإمام محمد عبده ، ودوره في الدعوة إلى إحياء التراث

دور الإمام محمد عبده في إحياء والإسلامي ، وتحقيقه ونشره - جانبٌ مهمٌ لم يتناوله بالتفصيل اللازم معظمُ من تناول جهود الشيخ محمد عبده الفكرية والثقافية ، وسنحاول قدرَ الطاقة أن نَكتُب عن هذا الجانب ، لعلنا نوضحه فتَعم الفائدة بإذن الله .

في سنة ١٨٩٨م تكوَّنتْ في القاهرة جمعية جديدة ، كان هدفها نشر الكتب العربية والإسلامية القديمة وإحياءَها ، وكان من بين أعضائها : حسن باشا عاصم ، والعالم الأديب والمحقق أحمد باشا تيمور ، وعلي بك بهجت ، وغيرهم ، وقد قامت هذه الجمعية بطبع مجموعة من الكتب المفيدة ؛ منها على سبيل المثال لا الحصر : الموجز في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وسيرة صلاح الدين الأيوبي ، المسماة : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، لبهاء الدين بن شداد ، وفتوح البلدان ، للبلاذري ، والإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب الأندلسي ، وتاريخ دولة آل سلجوق ، لعماد الدين الأصفهاني ، وغير ذلك .

وفي سنة ١٩٠٠م تكونت هيئة أخرى برئاسة الشيخ محمد عبده ؛ بهدف إحياء الكتب العربية الإسلامية القديمة ، وقد أخرَجت هذه الهيئة كتابَي الناقد الكبير عبد القاهر الجرجاني : (أسرار البلاغة) ، و(دلائل الإعجاز) ، ونشَرت كتاب أو معجم (المخصص) ، لابن سيده الضرير في سبعة عشر مجلداً ، وبدأَتْ في طبع كتاب (المدونة) ، للإمام مالك رضي الله عنه .

وقد قام بتصحيح هذه الكتب والتعليق عليها الشيخ محمد محمود الشنقيطي ، وقام بالنظر فيها ومراجعتها الشيخ محمد عبده الذي شارك الشنقيطي في كثير من التحقيقات ، ومنذ ذلك الوقت بدأت دُور النشر العربية في العمل على إحياء كتب التراث العربي والإسلامي .

والشيخ الشنقيطي عالم فاضل ، وجهبذ في العلوم العربية والإسلامية ، وله الآراء الصائبة الرائقة التي تدل على فَهم عميق ، وإدراك متمكن من علوم اللغة والأدب ، وقد كتَبنا عنه دراسةً متواضعة نأمُل نشرَها في أي مجلة تُؤمن بأهمية هذه الموضوعات ، وعلى الله قصد السبيل .

أعود بك أيها القارئ الكريم ، فأحاول أن أستعرض معك بعضَ جهد الإمام محمد عبده في تحقيق التراث وإحيائه ونشره ؛ لكي يكون في متناول الجميع ، ينَهلون من علومه المفيدة ، ويَربطون من أجل المستقبل الماضي بالحاضر .

لقد كان التحقيق في هذه الآونة يدور حول مقابلة النسخ المتعددة للمخطوطة الواحدة ، وتصحيح النص برُمّته على هذا الأساس ؛ أي : أساس المقابلة بين النُّسخ ، وقد يشير المصحح في بعض الأحيان إلى اختلاف النسخ ، فيقول لنا : وفي نسخة كذا ، دون أن يذكر لنا ما هي هذه النسخة ، ولا من أين هي ، ولا يعطي لنا مقدمة تفيدنا بشأن التعريف بالكتاب أو نُسَخِه المخطوطة ، أو وصفًا لها ، أو على الأقل دراسة تُعرفنا بالمؤلف ومضمون كتابه .

ونقصد بذلك انعدام المقدمة العلمية التي نعرفها الآن في التحقيق المعاصر المعتمد على أُسس علمية وقواعد منهجية لا غنى عنها ، وقد يُعدُّون للكتاب فهارسَ ، لكنها بالطبع ليست الفهارس الفنية التي نجدها اليوم في التحقيقات التراثية الجادة الملتزمة ، وكثيراً ما كان مصححو تلك الآونة - وأخصٌّ بالذكر منهم الشيخ محمد عبده ، والسندوبي - يُكثرون من الشروح اللغوية والتعليقات الأدبية التي قد تَطول طولًا يُذكرنا بالحواشي القديمة .

وفي هذا الوقت بدأ الاهتمام بجمع مخطوطات الكتاب الواحد من أنحاء العالم ؛ بهدف التصحيح عليها في سبيل طبع الكتاب وإخراجه للقراء .

يذكر لنا الأستاذ الإمام محمد عبده أن كتاب (أسرار البلاغة) ، للناقد الكبير عبد القاهر الجرجاني كان كَنزاً مَخفيًا ، لا تصل إليه يدُ الباحث ، حتى يسَّر الله له نسخة بعَث بها إليه أحد طلاب العلم من طرابلس في لبنان ، وكان فيها نقصٌ وتحريف ، فما كان من الشيخ محمد عبده إلا أن أرسَل أحد طلبة العلم إلى الأستانة

التركية ، من أجل أن يُقابلها على النسخة المحفوظة في المكتباتِ هناك ، ثم أكمل هو تصحيحها والتعليق عليها في أثناء تدريسه لهذا الكتاب القيم في رحاب الجامع الأزهر الشريف .

ويَحكي لنا الشيخ رشيد رضا - تلميذ الأستاذ الإمام وصاحب المنار - عن(دلائل الإعجاز) لعبد القاهر ، فيقول : كان هذا الكتاب كالذي قبله - (أي : كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر أيضًا) - كَنزًا مَخفيًا ، فظَفرَ به الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية (في تلك الآونة) ، وحصل على نسخة منه ، وكان عند الأستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي نسخة أخرى من الكتاب نفسه ، وكلاهما كان مُحرَّفًا ومُبدَّلًا ، فعَلمَ الأستاذ الإمام أن في المدينة المنورة نسخةً منه ، وفي بغداد العاصمة العراقية نسخة أخرى ، فعمل على استنساخهما ، مُصححًا الكتاب تصحيحًا دقيقًا بالاشتراك مع الأستاذ الشنقيطي ؛ حيث قاما بمقابلة النُسخ الأربعة ، فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على تصحيحه علماءُ العصر في المعقول والمنقول .

وفي بعض الأحيان كان المصححون يشيرون إلى النُسَخ باسم البلد التي جاءت منه ، فمثلًا في كتاب أو معجم (المخصص) ، لابن سيده الضرير ، وبالتحديد في (ص ٣٥) من الجزء الأول ، عند قوله : (كلجة) ، يقول الإمامان محمد عبده والشنقيطي : "هذا هو الصواب في اللفظ ، وفي النسخة المغربية (طلحة) ، وربما كانت تحريفًا لقُرب الشَّبه في الرسم بين صورة اللفظين ، خصوصًا إذا خَفي سنُّ الحاء ، وقد وُجد اللفظ على الصواب في المحكم (لابن سيده أيضًا) ، وغيره من كتب اللغة" .

ويُفهم من هذا أن المصحح كان يرجع إلى كتب اللغة والأدب ؛ ليُصحح أو يُدقق ، أو يُحقق الكلمة التي يقف أمامها ، لكنه غالبًا لا يذكر المرجع الذي رجَع إليه ، وإذا حدث ذلك - (وإن كان ذلك نادرًا) - فلا يذكر لنا رقم الصفحة أو الجزء .

لقد كانت مهمة المصحح تَنحصر في شرح بعض اللغويات ، وذكر بعض المقابلات ، لكنه غير مضطر إلى تخريج الآيات القرآنية المشرفة ، أو الأحاديث النبوية المطهرة تخريجًا علميًا سليمًا ، ولا يترجم للأعلام ، ولا يُعرف بالبلدان ، ولا يضع

الفهارس الفنية المفيدة ، كل هذا لم نجده عند الشيخ محمد عبده ومَن عاصَره من العلماء العرب ، فيما اطَّلعنا عليه من كتب .

وفي الكتب التي انفرد الشيخ محمد عبده بشرحها ، نجد أن التحقيق يأتي عرضًا في أثناء عملية الشرح ، ولكنه رسَم لنا منهجًا في تصحيح المتن ، نرى أنه على درجة كبيرة من الاعتبار ، ومن الضروري معرفته وإدراكه .

يذهب الأستاذ الإمام إلى أن تصحيح المتن أمرٌ يسير إلى حد كبير ، فقد وفَّقه الله بتعدُّد النسخ لديه ولدى الذين يعملون معه في ميدان تحقيق ونشر وإحياء التراث العربي والإسلامي ، وقد عظُمت مشقة الاختيار عليهم ؛ وذلك لتباين الروايات ، واتفاق الكثير منها على ما لا يَصِح معناه ، ولا يُستجاد مبناه ، فكان الوضع اللغوي أصلًا يقومون بالرجوع إليه ، والاستعمال العرفي (المتبع أو المستعمل) مرشدًا يُعولون عليه ، ومكان المصنف بين أهل اللسان ميزانًا للترجيح ومقياسًا يُعتد به في التصحيح ، وكما يذكر الشيخ محمد عبده في مقدمة كتاب (المقامات) ، لبديع الزمان الهمذاني الذي صدر في بيروت سنة ١٩٢٤م – أنه إذا تعددت الروايات (في عملية تصحيح المتن) على معايير صحيحة ، قاموا بإثبات أولاها بالوضع في الأصل ؛ إما لتأييده بالاتفاق مع أكثر الروايات ، وإما لتميُّزه بقُرب معناه إلى ما احتفى به من أجزاء القول ، ثم يشيرون إلى الروايات الأخرى في التعليق .

وقد رأى – طيَّب الله ثراه – أنَّ الانتفاع بمقامات بديع الزمان الهمذاني كان أمرًا عسيرًا لسببين :

السبب الأول :ما قام به النُّساخُ في ألفاظها من تحريف يُفسد المبنى ، ويُغيِّر المعنى ، وزيادة تَضر بالأصول ، ونقص يُضعِف الأساليب ، وينقص التراكيب ، فمسَّت الحاجة إلى تصحيحه ، ورد لفظه إلى صَريحه .

السببِ الثاني :غرابة بعض كلماته ؛ لذلك عمَد إلى تفسير غريبه ، وتبيين وإظهار خفيه ، وتوضيح غامضه .

ويُؤكد الشيخ محمد عبده أنه أقدَم على ذلك بلا سابق يقتفيه ، ولا ذي مثال

يَحتذيه ، ولا مادة يَتبعها ، إلا طبعًا عربيًا وذوقًا أدبيًا ، وأمهات اللغة الحاضرة ، وأمثال العرب السائرة ، ومقالات لهم على الألسن دائرة .

وقد ذكر الأستاذ الشيخ رشيد رضا في كتابه(تاريخ الإمام)رسالتين ، وجَّه الشيخ محمد عبده أُولاهما إلى سلطان المغرب العربي يعرض عليه : "أنه قد تألَّفت في مصر جمعية لإحياءِ العلوم العربية ، وخاصةُ عملِها أن تبحثَ عما كاد يُفقَد من كُتُب السلَف ، وتُصحح نُسَخَه وتَطبعه ، حتى يحيا بذلك ما اندرَس من علوم الأوَّلين ، واحتجب عنا بِمُحدثات المتأخرين" .

ووجه الرسالة الثانية إلى قاضي قضاة المغرب العربي ، يأمُل منه إرسال نسخة من كتاب (مدونة) الإمام مالك ؛ حيث إنها مُودعة في مسجد القرويين بمدينة فاس ، ليُمكن الطبع والتصحيح عليها ؛ لأنهم لم يجدوا نسخة كاملة يُوثَقُ بصحتها في مصر ، ولا في تونس .

ويبدو أنه قد تأكد للأستاذ الإمام محمد عبده أن نسخة كاملة من الكتاب توجد بالفعل في مسجد القرويين ، فطلَب من قاضي القضاة بالمغرب العربي أن يُرسل إليهم هذه النسخة بتمامها ؛ كي تتم المقابلة عليها بما عندهم ، ومن ثَمَّ إتمام الناقص منها في النسخة المتوافرة لديهم ، مع تأكيد إعادتها إليهم بمجرد انتهاء العمل ، وكذلك إهداء جامع القرويين عشرَ نُسَخٍ من الكتاب فور الانتهاء من طبعه إن شاء الله تعالى .

واقترح الأستاذ الإمام أنه في حالة تعذُّر نسخة المدونة كاملةً ، يُمكن إرسالها مُفرقة جزءًا بعد جزء ، فكلما انتهى الغرض من جزء أُعيد إلى مَقره .

ويتضح مما ذكرناه آنفًا أنهم كانوا يَصُبُّون اهتمامَهم في هذه المرحلة على جمع النُسخ ؛ ليخرجوا منها نسخة صحيحة المتن ، مُصوَّبة بقدر الإمكان .

ومَن ينظر في مقدمة كتاب(أدب الكاتب) ،لابن قتيبة المطبوع بالقاهرة في مطبعة الوطن سنة ١٣٠٠ هـ ، يجد ناشر الكتاب يقول : "مقابلًا على نسخة بخط الأستاذ الإمام الفاضل المرحوم الشيخ (نصر أبو الوفا الهوريني) بغاية الضبط ، وقد

نقَلها من نسخة مقابلة مضبوطة بخط حمزة ابن الحسين ، تاريخها سنة ٥١٤ هـ" .

ونقرأ في سيرة الإمام محمد عبده أنه كان يجوب البلاد العربية والإسلامية بحثًا عن المخطوطات العربية والإسلامية ، فأخبره بعض أصحابه أن في صقلية - (العربية الإسلامية سابقًا ، الإيطالية حاليًا)- من الآثار العربية الإسلامية ما يُهِمُّ العربي أن يراه ، وفيها دُور للكتب لا تَخلو كلٌّ منها من كُتب عربيَة قديمة ، وربما يَستغرق الاطلاع عليها زمنًا ، فقضى في بعض هذه المكتباتٍ فترة يبحث عن المخطوطات ، وكان يُكلف(على نفقته الخاصة)مَن يَستنسخ له ما يُهِمُّه منها .-

ونعرف أنه رحمه الله رأى وهو في منفاه في بيروت العاصمة اللبنانية - (منفاه الاختياري الذي اختاره بعد فشل الثورة العرابية ١٨٨١م) ، سنة ١٣٠٤هـ - كتاب (البصائر النصرية) الذي قرأه واستنسَخ نسخة منه بقيت عنده كغيرها من الكتب ، ويَجدر بالذكر هنا أن هذا الكتاب تَم طبعه بالمطبعة الأَميرية في مصر سنة ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨ م .

وقد رأيناه في بعض الأحيان ينفي نِسبة الكتاب إلى مَن شاع عند الناس أنه مؤلِّفه ، محتجًا بأدلة منطقية لغوية تَعتمد على منهج تحقيقي فريد .

فقد نفى أن يكون كتاب (فتح) للواقدي ، قائلًا : إنه لو حكَمتُ بأنه مكذوب عليه ، مخترع النسبة إليه - لم أكن مخطئًا ؛ وذلك لأن الواقدي كان من أهل المائة الثانية من الهجرة ، وكان من العلم بحيث يَعرفه المأمون العباسي . . . ، ويُواصله ويُكاتبه ، وصاحب هذه المنزلة في تلك القرون إذا نطَق في العربية فإنما يَنطق بلغتها ، وقد كانت اللغة لتلك الأجيال على المعهود منها من متانة التأليف ، وجزالة اللفظ ، وبداوة التعبير .

ويواصل الأستاذ الإمام كلامه مؤكدًا أن الناظر في كتاب الواقدي ، ينكشف له أول النظر أن عباراته من صناعات المتأخرين في أساليبها . . . ، يجد أسلوبه من أساليب القصاصين في الديار المصرية من أبناء المائة الثامنة أو التاسعة للهجرة ، ولا يرى عليه لهجة المدنيين ولا العراقيين ، والواقدي كان مدنيَّ المنبت ، عراقيَّ المُقام .

نقول لكم : إن هذا اللون من التحقيق -(مقابلة النسخ لإخراج نص سليم)- هو الذي عرَفه أهل التصحيح في مطبعة بولاق المصرية ، وجهودهم تبدو واضحة فيما أخرجوه لنا من كتب التراث ؛ أمثال : صحيح البخاري ، وخزانة الأدب ، للبغدادي ، والأغاني ، لأَبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم لسان العرب ، لابن منظور ، ومعجم الصحاح ، للجوهري ، ومعجم القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، وكتاب سيبويه في النحو ، وشرح الحماسة ، للتبريزي ، وشرح المقامات ، للشريشي ، وقلائد العقيان ، للفتح بن خاقان ، وغيرها كثير مِن أمهات الكتب التي خرَجت إلى النور ، واستفاد منها جمهور القرّاء إلى يومنا هذا .

ويذكر لنا التاريخ أسماء شيوخٍ عظام بذلوا الجهد الجهيد في أمانة ودقة ، من أجل أن يُخرجوا لنا تلك الكتب القيمة ، على قدر طاقتهم العلمية ومنهجهم في التحقيق والإخراج ، نذكر منهم : الشيخ نصر الهوريني ، والشيخ قطة العدوي ، والشيخ محمد الحسيني ، والشيخ طه محمود ، والشيخ محمد عبد الرسول ، وغيرهم ، رحمهم الله رحمة واسعة جزاءً وِفاقًا لما قدَّموه من خِدمات للتراث العربي الإسلامي ، ساعدت على إحيائه ونشره والحفاظِ عليه .

أقول لك : إنه بعد ذلك أو قبله ظهرت مطابع عربية وأخرى في بلاد غير عربية ، منها : مطابع كلكتا ، ومطابع بومباي ، ومطابع دلهي ، ومطابع حيدر أباد في شبه القارة الهندية ، وكان لهذه الأخيرة فضل مذكور في نشر موسوعات عديدة من تراثنا العربي .

ونقول : إن أي باحث يمكن أن يلقي نظرة سريعة أو قل أضواء خافتة على تاريخ الطباعة العربية في عصورها الأولى أو بداياتها ، أما في العصر الحديث فإن الحصر لا يحيط بعددها في المشرق أو المغرب .

لقد كانت فكرة إحياء التراث ، والنشاط فيه ، فكرة قومية بحتة ، قبل أن تكون فكرة علمية مجردة ، فإن طغيان الثقافة الأوربية ، والنفوذ التركي وضغطه كان يأخذ بمخنق العرب في ديارهم ، فأرادوا في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوربيين يتسابقون ، وينبشون كنوز ثقافتنا دون هوادة ، فانطلقوا في هذا السبيل ويحيون ، إذ

كانوا يرون أنهم أحق بهذا العمل النبيل وأجدر .

جهود دار المعارف المصرية

بدأت دار المعارف المصرية نشاطها في إحياء التراث العربي سنة ١٩٤٢م ، حين فكر أستاذنا العلامة الراحل عبد السلام هارون ، وشيخنا العلامة أحمد شاكر في نشر مجموعات مختارة منْ عيون الشعر العربي أطلقا عليها (ديوان العرب) ، وبدءا في نشر مجموعة (المفضليات) التي جمعها المفضل الضبي الكوفي اللغوي الراوية الإخباري ، وصدرت عن دار المعارف بمصر ، سنة ١٣٦١ هـ / ١٣٦٢ هـ .

ويجدر بالذكر أن الجزء الأول من المفضليات تم طبعه في ليبزج سنة ١٨٨٥م ، بإخراج المستشرق نوربكا ، ثم طبعت طبعة كاملة في مصر في جزأين ، بتصحيح وتعليق : أبي بكر بن عمر داغستاني المدني ، سنة ١٣٢٤ هـ ، ثم طبع المستشرق ليال شرح الأنباري للمفضليات كاملًا في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ، سنة ١٩٢٠م ، على نفقة كلية أكسفورد البريطانية ، ثم أعاد السندوبي طبع المفضليات بشرح موجز سنة ١٣٤٥ هـ ، بمصر ، وبعد المفضليات قاما (هارون وشاكر) بإخراج (الأصمعيات) .

وبعد ذلك اقترحا العالمان الجليلان على دار المعارف المصرية أن تخصص نشراً منظماً لعيون التراث العربي والإسلامي ، فسرعان ما استجابت الدار لهذا الاقتراح الجاد المفيد ، وقامت بتنظيم تنفيذه ، وقد أعلنت الدار في ذلك الوقت عن مسابقة عامه لتسمية هذا المشروع ، ففاز به عنوان (ذخائر العرب) ، يشترك في تحقيقها علماء الشرق والغرب ، وكان باكورة هذه المجموعة :

- كتاب (مجالس ثعلب) ، في مجلدين ، بتحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون .
- كتاب (إصلاح المنطق) ، لابن السكيت ، بتحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون أيضًا ، بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر .
- الطبعة الأولى من كتاب (جمهرة أنساب العرب) ، لابن حزم الأندلسي ، بتحقيق : ليفي بروفنسال

وتوالى بعد ذلك نشر طائفة كبيرة من تلك الذخائر بلغت حسب علمي أكثر

من ٥٤ كتابًا ، منها ما هو في أكثر من عشرة مجلدات ، ومنها ما أعيد طبعه أكثر من خمس مرات .

ونتمنى أن تعود دار المعارف إلى سابق عهدها ، وتعيد الاهتمام بنشر تراثنا العربي ، وتصدر التحقيقات الجديدة المبتكرة ، ولا تكتفي بطبع ما سبق إصداره من قبل .

الخانجي رجل نسيج وحده :

هذا الرجل هو محمد أمين الخانجي ، المولود سنة ١٨٦٥م ، والمتوفى سنة ١٩٣٩م كانت له اليد الطولى في نشر وإذاعة تراثنا العربي ، وكان من العلماء المعدودين العارفين بكل وعي وحق لقيمة المخطوطات العربية ، ومن الأفذاذ الذين عملوا على نشرها وشيوعها بكل أصالتها وعظمتها ودورها النافع في العلم والمعرفة .

وها هو أستاذنا الشيخ أحمد شاكر يحدثنا عن الخانجي في (مقدمة طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي ، بتحقيق : الأستاذ شاكر) حيث يقول : قل أن تجد عالمًا أو أديبًا في زمنه لم يكن لهذا الرجل النحيل الضئيل فضل عليه ، يذكره الذاكر محسنًا في ذكره ، وينساه الناسي مسيئًا في نسيانه ، ذلك هو محمد أمين الخانجي الذي أحب الكتاب العربي كأنه تراث أبيه .

ويتحدث عنه أستاذنا المرحوم عبد السلام هارون ، فيقول : لقد رأيت هذا الرجل في صباي ، وعرفت فيه الإخلاص للعلم وحده ، إذ لم يكن المال عنده إلا في المرتبة الثانية ، كما لمست فيه الإخلاص في نشر التراث العربي لا يكاد يعترف بغيره .

لقد قدم الخانجي إلى القراء العرب مجموعة قيمة من كتب التراث العربي تعلمنا منها الكثير والكثير ، وما زالت تعد من مراجعنا الدائمة ، ويكفي أن أذكر لك منها :

ـ كتاب (معجم البلدان) ، للشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، الرومي ، البغدادي ، وهذا الكتاب نشر لأول مرة في ليبزج في الفترة

من ١٨٦٦م إلى ١٨٧٣م ، في ٦ مجلدات ، بعناية المستشرق فستفيلد .

كما تم نشر هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٠٦ م / ١٣٢٣ هـ ـ ١٣٢٤ هـ ، عن مكتبة أمين الخانجي ، وأضاف إليه ذيلًا بعنوان : (منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ، لياقوت الحموي) ، يستدرك فيه على ياقوت ، ويضيف بعض المعلومات المهمة عن البلاد والمدن الحديثة .

ونشر في بيروت عن دار صادر ، بالاشتراك مع دار بيروت للطباعة والنشر ، في الفترة من ١٣٧٤ هـ ـ ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ م ـ ١٩٥٧ م .

ومن الكتب التي نشرها الخانجي : حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للكاساني ، والإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، وخرج في ثمانية مجلدات كاملة .

كما نشر العقد الفريد ، لأحمد عبد ربه ، واللزوميات ، لأبي العلاء المعري ، وجواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لابن أبي الدبيغ الشيباني ، وتاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي .

ومن المعروف عن الأستاذ الخانجي ، (رحمه الله) ، أنه كان يسافر إلى البلدان العربية والإسلامية ويعود منها حاملًا ما لذ وطاب من المخطوطات النادرة التي لا تقدر بثمن ، ومن أشهر رحلاته التي نعرفها سفره إلى العراق وعودته منها سنة ١٩٢٥ م ، جامعًا لمجموعة قيمة من نوادر المخطوطات .

ونذكر هنا للخانجي دوره المبكر والكبير في اختطاط منهج علمي لنشر التراث وكتبه ، وترقيمها ، واختيار الصالح المفيد منها .

وكان يعاونه في هذا العمل الرائع الجليل ابنه السيد محمد نجيب الخانجي ، فورث عنه الرغبة الملحة في إحياء التراث عن صدق ، كما يؤكد ذلك أستاذنا وشيخنا عبد السلام هارون من طوال صحبته له ، ومن منشوراته ما حققه الأستاذ هارون ، مثل : البيان والتبيين ، للجاحظ ، والاشتقاق ، لابن دريد ، ورسائل الجاحظ ، ونوادر المخطوطات (في مجلدين) ، وهي ٢٥ كتابًا ورسالة .

كما أصدر نجيب الخانجي أيضًا : صون المنطق ، وطبقات الصوفي ، للسلمي ، كما

أسهم في نشر كتاب الصلة ، وكتاب تكملة الصلة ، وكتاب صلة الصلة .

وأحب أن أشير هنا إلى أن كتاب الصلة ألفه ابن بشكوال الأندلسي (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) المتوفى سنة ٥٧٨ هـ ، حققه أستاذنا إبراهيم الإبياري سنة ١٩٨٩م ، في طبعة غير مفهرسة ، مع العلم أن الأستاذ عزت العطار الحسيني نشر وصحح وراجع هذا الكتاب الذي صدر عن مكتبة الخانجي ، سنة ١٩٥٥م .

ونشير أيضًا إلى أن كتاب تكملة الصلة ألفه محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، المعروف لنا بابن الأبار ، والمتوفى سنة ٦٥٨ هـ ، قام بنشره وفهرسته في أربعة مجلدات ، سنة ١٩٩٤م ، عبد السلام الهراس ، وصدر عن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

أما كتاب صلة الصلة ، فهو لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ، حققه : شريف العدوي ، وصدر عن مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

القدسي المحقق الناشر

ونذكر حسام الدين القدسي ، محمد حسام الدين بن محمد شقيق الحسيني القدسي الأصل : أديب كتبي محقق . ولد بدمشق وتخرج بالمدرسة الكاملية ، وقرأ على جده لأمه مفتي المالكية وعلى علماء الشام . حصل على شهادة معهد الحقوق ، ثم اتخذ دكانًا وصار يطبع الكتب وينشرها مع شريك له . وتعرف الشيخ زاهد الكوثري فأعجب به ، وقرأ عليه ، وسافر معه إلى القاهرة ، فتردد إلى عدد من الأعلام . وصحب شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ، واتصل بأحمد زكي باشا ، فحبب إليه الإقامة في مصر ، وشجعه على تأسيس دار للنشر ، فأنشأ (مكتبة ومطبعة القدسي) التي نشرت كتبًا كثيرة ومهمة ، غالبها في أصول العلوم وأمهات الكتب . ونشر مقالات في مجلتي : الرسالة ، والثقافة بتوقيع مستعار . له كتاب (انتقاد المغني) مطبوع ، وحقق مصنفات عدة . وله منظومات . توفي بالقاهرة .

دار إحياء الكتب العربية

في سنة ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م أسس السيد أحمد البابي الحلبي النواة الأولى

لمؤسسة دار إحياء الكتب العربية ، وظلت تؤدي رسالتها المتطورة مع الزمن مسايرة لمقتضيات النمو والتدرج ، واختصت بطبع الكتب العلمية والدينية والأدبية .

وفي أوائل القرن العشرين خطت خطوات مهمة نحو التحقيق العلمي الممنهج ، فعهدت إلى فئة كريمة من المعروفين بالباع الأوفى في فن التحقيق التراثي في هذا العصر ، لتحقيق عدة كتب مهمة ، أذكر لك منها :

البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، وأحكام القرآن ، لابن العربي المالكي ، ومعجم مقاييس اللغة ، لابن فارس اللغوي ، والشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري ، وتلخيص البيان في مجازات القرآن ، للشريف الرضي ، والفائق ، لجار الله الزمخشري ، والوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي عبد العزيز الجرجاني ، والصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، وشرح كتاب نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ومقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني ، وزهر الآداب ، للحصري القيرواني ، والوزراء ، للصابئي . . . إلى غير ذلك . .

أقول لكم : أكثر من ١٦٠عامًا قضتها شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، في خدمة إحياء كتب التراث الإسلامي ، كما كانت أول عائلة شامية تشارك في حركة النشر بمصر منذ ما يقرب من قرن ونصف القرن .

عن تاريخ العائلة في الطبع والنشر يقول سمير محمود الحلبي ، الذي يمثل الجيل الرابع في الأسرة ، والذي شغل وظيفة المدير المالي للدار :

هاجر الشيخ أحمد الحلبي إلى مصر وكان مولعًا بالكتب والمخطوطات ، وأدى اهتمامه هذا إلى اشتراكه في تأسيس المطبعة الميمنية عام ١٨٥٩ ، وامتازت المطبعة الميمنية بعنايتها الفائقة بطبع الموسوعات ونشرت كثيرًا من عيون التراث ، منها : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وتفسير الطبري ، ولما كان الشيخ الحلبي لا ينجب ، فقد أرسل إلى قرية الباب بحلب مستدعيًا أبناء إخوته الذكور ، الذين يمثلون الجيل الثاني ، ووهبهم المطبعة الميمنية قبل وفاته ، وبعد الوفاة تم تغيير اسمها إلى (شركة دار الكتب العربية الكبرى لأصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخويه) .

ويضيف : ثم انقسم نشاط عائلة الحلبي إلى قسمين ، حيث أسس عيسى البابي الحلبي مطبعة ودار نشر تحت اسم (دار إحياء الكتب العربية) ، وأسس مصطفى شركة له ولأولاده تحت اسم (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده) .

وعن نشاط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى يقول سمير : خلال فترة الأربعينيات من القرن الماضي نشطت حركة الطباعة والنشر في الدار ، حتى أصبحت أكبر دار للنشر في الشرق الأوسط ، ووصل عدد النسخ المطبوعة سنويًا لدى الدار ومطابعها إلى ٧ ملايين ونصف مليون نسخة ، وكنا أول من طبع المصحف الجوامعي بالرسم العثماني الشهير بمصحف مصطفى الحلبي .

كما اشتهرت الدار بتوزيع المصحف الشريف وكتب التراث لكل بقعة مسلمة في الكرة الأرضية ، مثل : إندونيسيا ، والملايو ، وسنغافورة ، وزنجبار ، وغانا ، وغينيا ، وساحل العاج .

ويُذكر أن الدار نشرت ٤٤٠ كتابًا خلال الفترة بين عامي ١٩٠٠ و١٩٤٩ . ويضيف سمير أن السوق الأساسية لشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده لم تكن في مصر ، وإنما كانت في البلاد العربية و الإسلامية .

وقال : كنا نصدر طبعات خاصة من المصحف الشريف وكتب التفسير وكتب صحاح الحديث الشريف والفقه بكميات ضخمة لكل الدول الإفريقية ، وكانت إندونيسيا من أكثر البلدان إقبالًا على مطبوعاتنا ، ولم نكن نطبع بالعربية ، بل باللغة الجاوية لسكان هذه البلاد .

كما أننا أول من طبع تفسير القرآن الكريم ، للطبري ، وإحياء علوم الدين ، للغزالي ، والملل والنحل ، للشهرستاني .

ومع نهاية حقبة الستينيات من القرن العشرين بدأت تتراجع المطبوعات وتقلص جمهور المكتبة ، حتى يكاد يقتصر على طلاب الأزهر الشريف ، مع الوضع في الاعتبار الإمكانيات المحدودة لهؤلاء الطلاب .

ولأن النشر رسالة عمد أصحاب الدار إلى طبع الكتب على ورق جرائد لتقليل التكلفة وسعر البيع ، أما الفرع الآخر وهو دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي وأولاده فكان من أشهر ما طبعت : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، أحكام القرآن ، لابن العربي ، التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري .

الآباء اليسوعيين ببيروت

نعرف أن جهود الآباء اليسوعيين في بيروت ظهرت في وقت باكر ، إذ نشروا مجموعة قيمة من الكتب التراثية ، نذكر لك منها : كتاب النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ، بتحقيق : الأستاذ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، سنة ١٨٩٤م .

- كتاب تهذيب الألفاظ ، للتبريزي ، الذي حققه الأب لويس شيخو ، سنة ١٨٩٥م .

في كتابه (مع المخطوطات العربية) ، ص ٧٥ يذكر المستشرق الروسي كراتشكوفسكي - كتبنا عنه أكثر من بحث ودراسة - أن : الأب لويس شيخو طبع ديوان الشاعر العربي سلامة بن جندل مقابلاً على نسختي الإسكندرية المصرية ، واستانبول التركية ، وكانت نسخة استانبول هي الأصل .

واستمرت جهود الآباء اليسوعيين زمنًا ليس بقصير ، وعرفت من الأصدقاء الأعزاء في لبنان الشقيق لا تزال هذه المطبعة تمارس بعض نشاطها إلى وقتنا هذا ، وتنشر وتعيد نشر العديد من تحقيقات أهل الاستشراق والعرب .

الأب لويس شيخو عاشق اللغة والأدب

لويس شيخو : أديبٌ ومُؤرِّخٌ ولاهُوتِيٌّ رَائِد ، وأَحَدُ أبرَزِ أعلامِ النَّهضةِ العِلمِيةِ والأَدبيةِ فِي العَالَمِ العَرَبي .

وُلِدَ الأَبُ لويس شيخو اليَسُوعِيُّ فِي مَدينة (ماردين) التُّركية فِي عَامِ ١٨٥٩م لعَائلة مُتَدينة تَقية ، وتَلَقَّى تَعليمَهُ الأَوَّلِيَّ هُنَاكَ بتركيا ، ثُمَّ ارتَحلَ إلَى لِبنان ليُكمِلَ تَعلِيمَهُ الذي أَخَذَ طَابَعًا دينيًا ؛ حَيثُ التَحقَ بمَدرَسة الآبَاء اليَسُوعيينَ بمَدينة (غزير) بِلبنَان ، ثُمَّ انتَظمَ بِسلَكِ الرَّهبَنة صَغِيرًا وهُوَ فِي الخَامِسةَ عَشْرَة ، وَتَلَقَّبَ بِاسْمِ

(لويس شيخو) بَعدَ أنْ كَانَ اسمُهُ قَبلَ الرَّهبَنة (رزق الله يوسف) .

سَافَرَ إلى فرنسا ليُتَابِعَ دِرَاستَهُ العُلْيَا في مَجالَي : الفَلسَفة ، واللَّاهُوت ، وكَذلك تَعلَّمَ اليُونَانيَة واللاتِينية والفَرَنسية ، كمَا تَنقَّلَ بَينَ إنجلترا وإيطاليا وألمانيا وَغيرها من مَراكِزِ العلمِ الأورُوبية ، حَيثُ اطَّلَعَ عَلَى مَناهِج الغَرب البَحثية وأسَاليبهم في البَحث وَالتَّأليف . كمَا أَخذَ يَنسَخُ الكثيرَ منَ الكُتُب النَّادرة التي في خَزائنهم ؛ ليَحملَها إلى خَزَانَة الكُتُب اليَسُوعية . كمَا أجَادَ الإنجليزيَةَ أثنَاءَ وُجُوده بإنجلترا . وقَدْ كانَتْ هَذه السَّنَوَاتُ عَلَى الرَّغمِ مَن تَرحَاله المُستَمر مِن أَخصَب سَنَواته التَّثقيفية وَالتَّعليمية .

عَادَ الأَبُ شيخو إلى بيروت بَعدَ رِحلَة دراسية مُثمرة ، وعُيِّنَ مُدرسًا للأدب العَرَبي بالكُلية اليَسُوعية ببيروتٍ ، وسُميَتْ بَعدَ ذَلكَ (كُليَة القديس يوسف) . وقَدْ كَرَّسَ وَقتَهُ لدرَاسَة التَّاريخِ العَربي وَالإسلامي ، حَيثُ وَضَعَ فيه الكَثيرَ منَ الكُتُب . كَذَلكَ أَسَّسَ مَجلَّةَ (المشرق) التي نَشَرَ فيها الأَبحَاثَ الأدبيةَ والعلمية المُتميزة لكبَار الأُدبَاء والمُفكرينَ العَرَب ، حَتَّى صَارتْ مَنَارَةً ثَقافيةً كُبرَى يَتخَاطَفُ القُرَّاءُ إصدَاراتها .

أَنشَأَ الأَبُ شيخو (المَكتَبةَ الشَّرقية) بالجَامعة اليَسُوعية ؛ حَيثُ زَوَّدهَا بالنَّفائس منَ المَخطُوطَات النَّادرة والعَديد منَ الكُتُب المَطبُوعَة المُهمَّة ، فكَانتْ مَرجعًا مُهمًا يَقصدُها طُلابُ العلمِ وَالبَاحثُون ، كَذلكَ كَانَ من أَهَم المُفَهرسينَ والمُحققينَ للكُتُب والمَخطُوطَات العَربية .

لَمسَ النُّقَّادُ بَعضَ التَّحيُّز الطَّائفي لَدَى الأَب شيخو ، ولَكنَّ هَذَا الأَمرَ لا يُنكرُ مَجهُودَاته العُظمَى التي دَفعَتْ بعَجلَة النَّهضَة العلمية والأدَبية للعَرَب في أوائلِ القَرن العشرين .

تُوفيَ الأَبُ شيخو في عَامِ ١٩٢٧م عَن ثَمانيةٍ وستِّينَ عَامًا .

المكتبة السلفية

هذه المكتبة أنشأها العلامة الكبير محب الدين الخطيب ، المجاهد والمحقق الكبير ، بالشراكة مع الأستاذ عبد الفتاح قتلان ، بالقاهرة ، سنة ١٩٢٠م ، ثم استقل

بها الشيخ محب الدين الخطيب .

وقد قامت المطبعة السلفية ومكتبتها بنشر العديد من كتب التراث القيمة ، نذكر لك منها : كتاب (أدب الكاتب) ، لابن قتيبة الدينوري ، سنة ١٩٢٧م .

وفي بحث قيم كتبه أستاذنا عبد السلام هارون ، ونشر في مجلة (المجلة) المصرية في عددها الصادر في شهر يونيو ١٩٦٦م ، تحت عنوان : (إحياء التراث ، وما تم فيه) ، يذكر الأستاذ هارون أنه اشترك في إخراج كتاب (أدب الكاتب) عن المكتبة السلفية ، وتتلمذ على يد الأستاذ محب الدين الخطيب ، عندما كان الأستاذ هارون طالبًا للعلم في تجهيزية دار العلوم ، فهو كان أستاذه الأول في ذلك المجال ، على حد قوله .

ومما نشره الأستاذ محب الدين الخطيب كتاب (الميسر والأقداح) ، لابن قتيبة ، وصنع له فهارس علمية فنية مفيدة في هذا الوقت الباكر .

وكذلك كتاب : (الموشح ، للمرزباني ، وكتاب (الملاحم) ، لابن دريد ، ونذكر أيضًا هنا الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب (خزانة الأدب) ، لعبد القادر البغدادي ، وهو يعادل ثلث الكتاب تقريبًا ، بتحقيق وإضافة تعليقات للعلامة الجهبذ أحمد تيمور باشا ، وعبد العزيز الميمني الراجكواتي ، وشارك معهم الأستاذ هارون ، وكان إذ ذاك طالبًا في دار العلوم .

والحق يقال إن المطبعة السلفية ومكتبتها وصاحبها العلامة محب الدين الخطيب قاموا بدور كبير في إحياء التراث ، ونشره للناس ، فالسلفية لم تكن مجرد مكتبة أو مطبعة ، بل كانت بحق مؤسسة علمية ثقافية مصغرة ، توجه وتعلم وتعمق ، جزى الله صاحبها كل الخير في آخرته عن جهده ودوره الرائد في خدمة التراث العربي الإسلامي الأصيل .

أعود لأقول لك : إنه محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب ، أصل أسرته من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني . هاجرت أسرته إلى حماة في بلاد الشام ، ونزح فرع منها إلى قرية (عذراء) وفريق إلى دمشق .

ولد العلامة محب الدين الخطيب في حي القيمريّة بدمشق في الشهر السابع من سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦م . أبوه الشيخ أبو الفتح الخطيب من رجالات دمشق ، كان أمين دار الكتب الظاهرية ، تولّى التدريس والوعظ في الجامع الأموي ، له عدّة مصنفات : (مختصر تاريخ ابن عساكر) ، و(مختصر تيسير الطالب) ، و(شرح للعوامل) .

وأمّه السيدة آسيا بنت محمد الجلاد ، والدها من ملاكي الأراضي الزراعيّة بدمشق .

أسرة ذات دين وخلق وعلم ، فقد كانت أمه صالحة ذات فضل ، توفيت -رحمها الله- في الفلاة بين مكة والمدينة بريح السموم ، وهي راجعة من فريضة الحج في ركب المحمل الشامي ، وكان محب الدين صغيراً في حجرها ساعة موتها .

كفله والده ليعوضه حنان الأم ، وعند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده وهو في السابعة بمدرسة الترقي النموذجيّة ، وحصل منها على شهادة إتمام المرحلة الابتدائيّة بدرجة جيد جداً ، ثمّ التحق بمدرسة مكتب عنبر ، وبعد سنة توفي والده .

رأت أسرته أن يترك المدرسة ، فتركها ولازم العلماء ، وكان في هذه الفترة الشيخ طاهر الجزائري مشرفًا على المكتبات والمدارس في بلاد الشام غائبًا عن دمشق ، فلمّا عاد - وكانت بينه وبين أبي الفتح الخطيب صلة ومودة وإخاء - ، فلمّا علم بموت والد محب الدين احتواه ، وعطف عليه ، ووجهه نحو العلم لينهل منه ، ويتضلّع من مشاربه ، وغرس فيه :

- حب قراءة التراث العربي والإسلامي .
- بث فيه حب الدعوة إلى الله .
- حرّضه على إيقاظ العرب ليقووا على حمل رسالة الإسلام ، وفهم معنى الإسلام فهمًا حقيقيًا ؛

ولذلك كان يقول العلامة محب الدين الخطيب : «من هذا الشيخ عرفت

بسلامي وعروشي، يسعى شيخه الجزائري ليخلف محب الدين أباه في دار الكتب الظاهرية، على أن ينوب عنه من يقوم بها حتى يبلغ سن الرشد، وفي فترة الانتظار كان

- يستغل تشجيعه محب الدين الخطيب مخطوطات من تأليف ابن تيمية ونحوه فيكلفه بنسخه

وانتفع محب الدين بهذا العمل من ناحيتين:

- نمت ثقافته العلميّة، وترسخ في العلم وبخاصّة انتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته السلفيّة.

- وتحسن خطه وانتفع بأجرة النسخ.

وجه الشيخ الجزائري تلميذه للالتحاق مرة ثانية بمكتب عنبر، وأوصاه بالتردد على الشيخ أحمد النويلاتي، وجمال الدين القاسمي، ومحمد علي مسلم، حيث كان يجد هؤلاء في مدرسة عبد الله باشا العظم في هذه الفترة المبكرة تفتحت آفاق التفكير العلمي عند محب الدين الخطيب، وانتفع بما تلقاه في المدرسة من علوم كونية، وأضاف إليها مطالعاته المتواصلة في دار الكتب الظاهريّة، واطلاعه على المجلات الكبرى في عصره: المقتطف، والهلال، والضياء.

في هذه الفترة كان يبث أفكار شيخه الجزائري، ويكتب المقالات العلميّة والقطع الأدبيّة التي يعربها من التركيّة، ويرسل بها إلى صحيفة ثمرات الزمان في بيروت.

بعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانويّة عام ١٩٠٦م في بيروت، انتقل إلى عاصمة الخلافة (استانبول المعروفة يومئذ بالأستانة)، وهي (القسطنطينيّة)، والتحق بكليتي الآداب، والحقوق، ونزل هناك في حي يكثر فيه أبناء العرب وطلاب العلم، ورأى هناك أمرًا عجبًا: الطلاب العرب يجهلون قواعد لغتهم، وعلومها، وآدابها، ويتكلمون بينهم برطانة الترك، فانتخب الشيخ محب الدين الخطيب من الشباب العرب طائفة أقنعها بوجوب تعلم لسان العرب، واتفق مع

صديقه الأمير عارف الشهابي أن يقوما على تعليم هؤلاء الشبان العرب لغتهم . وبعد فترة أسسوا (جمعية النهضة العربيّة) ، وكان صديقه العلامة الأستاذ محمد كرد علي يرسل إليهم الصحف بالبريد .

شعر الأتراك الاتحاديّون الذين انقلبوا على الخلافة العثمانيّة بكيد من يهود الدونمة ، وأبقوا للخليفة الاسم ولهم الرسم ، شعروا بنشاط (جمعيّة النهضة العربيّة) فداهموا غرفة الشيخ محب الدين الخطيب ، ووجدوا فيها أوراقًا وصحفًا عربيّة . وكاد الشيخ أن يهلك لولا أنّ الله قيّض له رجلًا كانت تربطه بأسرته روابط قويّة .

اشتدت الرقابة الاتحاديّة على الشيخ ، فغادر الأستانة بعد الانتهاء من السنة الثالثة إلى دمشق .

اختير الشيخ للعمل في اليمن وانتقل إليها ، ومرّ أثناء ذلك بمصر ، حيث التقى بشيخه طاهر الجزائري وصديقه محمد كرد علي ، واتصل - أيضًا - بأعلام الفكر والأدب .

لمّا وصل إلى اليمن اتصل بشوقي مؤيد العظم قائد الخديدة : الفرقة الرابعة عشرة في الجيش العثماني . لمّا أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م رجع إلى دمشق ، وأصبح يطالب معه إخوانه هناك بحقوق العرب التي تنكرت لها حركة التتريك ، وفي هذه الرحلة شارك في تحرير جريدة هزلية (كان تخرج) . فتنبهت السلطات الحكوميّة للجريدة ، فسافر الشيخ إلى بيروت . فأمرت الحكومة بملاحقته . فانتقل إلى القاهرة ، وهناك شارك في جريدة المؤيد . وفي سنة ١٩١٣م أسس الشيخ محمد رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد ، فدرس فيها الشيخ محب الدين .

عندما قامت الحرب العالمية الأولى وأعلنت الثورة العربية ، طلبه الشريف الحسين بن علي برقيًا فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميريّة ، وأصدر جريدة القبلة الناطقة باسم حكومة الحجاز ، وكان الشريف حسين يستشيره في كثير من الأمور الخارجيّة مع الشيخ كامل القصاب . لمّا دخل العرب دمشق عام ١٩١٨م بقيادة الأمير فيصل عاد الشيخ محب الدين الخطيب ، وأنيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسميّة للحكومة باسم (العاصمة) .

لمّا دخل الفرنسيون، عام ١٩٢٠، دمشق غادر الشيخ محب الدين إلى مصر واستقرّ في القاهرة حيث عمل في تحرير جريدة الأهرام خمس سنوات، وهناك أسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها، حيث قام بطباعة الكتب السلفيّة، ونشر كثيراً منها، وأصدر مجلة الزهراء، وهي مجلة أدبيّة اجتماعيّة دامت خمس سنين، ثمّ أسس جريدة الفتح، ثمّ تولّى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، ثمّ ساهم في إنشاء جمعية الشبان المسلمين في القاهرة.

أحدث قيام جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ردة فعل شديدة لدى دعاة الإلحاد والعلمانيين والمبشرين، فتربصوا به حتى وجهوا أنظار النيابة العامّة إلى مقال كتبه بعنوان: (الحرية في بلاد الأطفال) نال فيه من كمال أتاتورك فقبض عليه، وحكم عليه بالسجن لمدة شهر.

نشر في مجلة المؤيد كثيراً من أعمال المبشرين البروتستانت نقلاً عن مجلتهم (مجلة العالم الإسلامي) الفرنسيّة، وفضح ما يراد بالمسلمين من حشر على أيديهم وعقولهم الملوثة، فكان من نتاج ذلك (الغارة على العالم الإسلامي) الذي كان له دوي في العالم الإسلامي.

كان الشيخ من أوائل العلماء الذين تنبّهوا لأخطار الصهيونيّة، وحذروا منها، وكشفوا الغطاء عن حقائقها وأسرارها، ومحاولة اليهود في الوصول إلى فلسطين عام ١٨٤٤م، ومطالبتهم لمحمد علي باشا بفلسطين، وما كان بينهم وبين السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٢م، ومقالاته في الفتح شاهد صدق على ذلك.

كان الشيخ محب الدين الخطيب مشرف اللجان التي تشكلت لجمع المال من أجل المجاهدين الذين يستعدون لملاقاة الفرنسيين الغزاة في ميسلون قرب دمشق.

استطاع أحد العلماء الشيعة وهو الشيخ (محمد القمي) في عام ١٣٦٨هجرياً الموافق ١٩٤٧ميلاديًا بالقدوم إلى مصر لإنشاء دار التقريب، وأصدر مجلة (رسالة الإسلام)، واستأجر شقة في الزمالك حيث كان الغرض من ذلك أن يتم التواصل بين المذاهب الإسلامية المختلفة، والتعارف بينها.

كان الشيخ محب الدين الخطيب من المتعصبين ضد هذه الفكرة ، حيث قال : «انفض المسلمون جميعًا من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب ، ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعى من استأجرها» ، ثم يذكر أنه لم يبق متعلقًا بعضويتها إلا بعض المنتفعين ماديًا في ولاء انتمائهم إلى هذه الدار ، وأن العلماء المخلصين من أهل السنة انكشف لهم المستور من حقيقة دين الرافضة ، ودعوة التقريب التي يريدها الرافضة ، فانفضوا عن الدار وعن الألاعيب التي يراد إشراكهم في تمثيلها ، ثم يقول : فلم يبق موضع عجب إلا استمرار النشر الخادع في تلك المجلة ولعل القائمين يضعون لها حداً .(وبالطبع هذا رأيه الخاص ننقله كما هو) وعلى كل حال هذه المجلة رسالة الإسلام توقفت في ١٧ رمضان ١٣٩٢ هـ ، وهو العدد(٦٠) .

وكانت له جهوده الطيبة في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة ، كما قام بنشر كتب ابن تيمية

ودافع عن الصحابة ورد الشبهات عنهم ، ويتجلى ذلك في نشره كتاب (العواصم من القواصم) هذا الكتاب الذي حاول فيه تكذيب الروايات التي تتحدث عن ما حصل بين الصحابة من فتن وانشقاق .

كما نشر كتاب فتح الباري ، مع تعليقات الإمام ابن باز .

يضاف إلى ذلك تواصله مع العلماء والدعاة وتشجيعهم ، ومن ذلك رسالته للشيخ الألباني كما في مقدمة (آداب الزفاف) .

بعد ثلاث وثمانين سنة قضاها في البحث والتحرير والتأليف ضد المستشرقين والمبشرين والعلمانيين توفي يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٨٩ هـ ، الموافق ٣٠ ديسمبر من عام ١٩٦٩ ، بمستشفى الكاتب بالدقي في مصر بعد إجراء عمليّة جراحيّة ، وبعد أن أمضى حياة مليئة بالعمل والنّشاط .

بعد أن ترك آثارًا عظيمة تدل على عبقريّته وموسوعيّته ، كما قال أنور الجندي : «وبالجملة فإنّ السيد محب الدين الخطيب وآثاره تعد رصيداً ضخماً في تراثنا

العربي ، وفكرنا الإسلامي ، وقد أضاف إضافات بناءة ، وقدم إجابات عميقة ، وزوايا جديدة لمفاهيم الثقافة العربيّة وقيمها الأساسيّة» ، منها :

توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري ، شرح صغير .

الحديقة ، ١٤ جزءاً ، مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور وفي مختلف الموضوعات .

الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الاثني عشريّة .

البهائية .

مع الرعيل الأول ، عرض وتحليل لحياة الرسول مع أصحابه .

حملة رسالة الإسلام الأولون .

رسالة الجيل المثالي .

من الإسلام إلى الإيمان ، حقائق عن الفرقة الصوفيّة التيجانيّة .

اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب .

الإسلام دعوة الحقّ والخير .

ذو النورين عثمان بن عفان .

مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان ، بلغ ألف رسالة .

الغارة على العالم الإسلامي - ترجمة - .

تاريخ مدينة الزهراء .

الأزهر ماضيه وحاضره .

وله تعليقات قيمة على كتب عديدة ، منها :

تعليقاته الرائعة على كتاب العواصم من القواصم ، لابن العربي المالكي ، وهي أكبر وأهم من الكتاب .

تعليقات على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال ، للذهبي .

تعليقات على مختصر التحفة الاثني عشرية ، للألوسي .

تعليقات مفيدة على كتاب الإكليل ، للهمذاني .

وقد طبع كتاب الأدب المفرد ، للبخاري ، مع تخريج أحاديثه ، وكذلك طبع فتح الباري بشرح البخاري ، لابن حجر ، مع الإشارة إلى الأبواب التي تفرقت فيها الأحاديث بالتعاون مع محمد فؤاد عبد الباقي .

وما نشر كتاباً إلا وكتب مقدمة علمية عن المؤلف وعن الكتاب ، ثم هناك مئات من المقالات التي كتبها في موضوعات شتى خلال عمره المديد في الزهراء والفتح والأزهر ، وغيرها من الصحف والمجلات .

وكان يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية .

ومن الشبهات الغريبة العجيبة التي يثيرها بعض أصحاب النفوس المريضة أنه كان ماسونياً ، تتلمذه على كتب محمد رشيد رضا ، والكواكبي ، وتأسيسه عدة جمعيات لمناهضة سياسة التتريك الطورانية :

لم يثبت بنقل صحيح أو تصريح صحيح أن السيد محب الدين الخطيب تأثر بالماسونيّة ، وصلته بمحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي ، فإنّ هؤلاء لم يتأثروا بالماسونيّة ، ولم ينخدعوا بشعاراتها ، وعرفوا حقيقتها وتبرؤوا منها ، وبخاصة رشيد رضا ، ومقالاته في ذمها والتحذير منها ملأت المنار .

وتأسيسه عدة جمعيات مناهضة لسياسة التتريك الطورانية ؛ كان هدفها المطالبة بحقوق العرب ضمن الدولة العثمانية .

وفي ذلك يقول الشيخ محب الخطيب : إني أقر بكلّ صدق بأني أنا وجميع من استعنت بهم وتعاونت معهم من رجال العرب وشبانهم لم يخطر ببالنا الانفصال عن الدولة العثمانية .

ويقول : من مصلحة العرب في الدولة العثمانيّة أن تقر لهم الدولة بلغتهم في الإدارة والتعليم في البلاد التي يتكلّم أهلها العربيّة ، وألا تبلغ بهم الحماقة إلى حد أن يكون التعليم في بلادهم بلغة أجنبية عنهم ، وإلى حد أن تكون لغتهم محرماً عليهم استعمالها ، وأن تكون لغة الإدارة والقضاء في صميم الوطن العربي .

ومن مصادر الترجمة لعالمنا الجليل (عليه رحمة الله):

تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري، لفكري فيصل، دمشق ٨٤٧/١٩٨٦٢-٨٦٢.

الأعلام، للزركلي ٥/ ٢٨٥.

لجنة التأليف والترجمة والنشر..

مثال ليتنا نحتذيه!!!

لقد حملت دار الكتب المصرية التي أسسها علي باشا مبارك عبئًا كبيرًا في نشر ذخائر التراث العربي، وشاركت في ذلك العبء مؤسسات ثقافية وهيئات رسمية في عدد من أقطار الوطن العربي: كالمجمع العلمي بدمشق وبغداد، والهيئات العلمية بتونس والمغرب، ودور النشر الخاصة في القاهرة ودمشق وبيروت والرباط، إلى جانب الجهود الفردية لعدد من الأساتذة العرب في مختلف أقطارهم، وكما ذكرنا لك أن جامعة الفنون العربية قامت بإنشاء معهد للمخطوطات قام بتصوير عدد مما في دور الكتب بالشرق والغرب، ونشرها وفقًا لأساليب التحقيق العلمي الحديث.

ثم ظهرت في مصر منذ سنة (١٨٦٨ م) جمعيات علمية وأدبية هدفها تشجيع دراسة الآداب والعلوم، ونشر الكتب، ومن أشهرها وأبرزها أثرًا (لجنة التأليف والترجمة والنشر) التي أسست سنة (١٩١٤م)، وقد تضافرت فيها جهود جماعة من الأدباء والعلماء، فترجمت طائفة من عيون الأدب الغربي، وأخرجت كثيرًا من المؤلفات القيمة.

لجنة التأليف والنشر بقيت سنين حيّة قائمة ترفد الثقافة العربيّة بخير الزاد؛ تأليفًا وتحقيقًا وترجمة. ولم يأفل نجمها حتّى أخذ القرن يوغل في نصفه الثاني؛ فتبدلت أحوال كثيرة، وخفيت معالم، وظهرت معالم أخرى، وتقهقر نشاط الأفراد، وأمسكت الدولة بكلّ المنافذ.

غير أنّ ما صنعته لجنة التأليف والترجمة والنشر شيء لا يقدر الزمن أن يطويه. كانت (اللجنة) قد نشأت حين أراد فتية ناشئون، ما زالوا في صدر أعمارهم، أن

ينهضوا ببلدهم من خلال نشر العلم والمعرفة الصحيحة ؛ لكي يقوى . ويقدر أن يُدير شؤونه ؛ فعقدوا العزم على أن يُنشئوا لجنة تنشر الكتب الرصينة النافعة . وأن يتعاضدوا على تمويلها ، وأن ينهضوا بأعبائها كلّها . وقد كان في الصدارة منهم : الدكتور أحمد أمين ، والعلامة أحمد زكي باشا شيخ العروبة ، والبحاثة أحمد عبدالسلام الكرداني ، والدكتور محمّد عبد الواحد خلّاف ، والناقد الكاتب محمّد أحمد الغمراوي ، والمؤرخ المحقق عبد الحميد العبادي ، والأديب محمّد فريد أبو حديد ، والكاتب حسن مختار رسمي ، والأستاذ يوسف الجندي ، والأستاذ صبري أبو علم .

كلّهم كانوا من ذوي الثقافة الرصينة المتينة . إذ كان منهم من سلك سبيل العلم الصرف مع إقبال على اللغة والأدب ، وكان منهم من أخذ بالتراث العربيّ مع إقبال على ثقافة العصر ، وكان منهم رجال قانون يحبّون العربيّة

فلا غرو أن يتمّ للجنة بهم التوازن ، وأن يسلكوا بها سبيل الحكمة ، وأن لا ينشأ ميل يفضي إلى جورِ قديمٍ على حديث ، أو حديثٍ على قديم . ثمّ إنّها هيّأت أمرها ووضعت قانونًا يحكم عملها ؛ حتّى تجيء خطواتها سليمة صحيحة ؛ كلّ خطوة في موضعها ، وانتخبتْ الدكتور أحمد أمين رئيسًا لها ، فأحسن إدارتها ، وبلغ بها غايتها ؛ فصارت تجدّد له الرئاسة كلّما انتهت مدتها . وبدأت مسيرتها في تأليف كتب مدرسيّة ؛ ليأخذ الناشئة المعرفة واضحة مستقيمة في لغة عربيّة فصيحة ؛ وكان أوّل كتاب أصدرته في الكيمياء ؛ ألّفه العلامية أحمد زكي باشا ، والبحاثة أحمد عبد السلام الكرداني

وقد كان من نظام اللجنة أن تُحيل كلّ كتاب يقدّم إليها على خبيرين قبل طباعته ؛ فإن أقرّه الخبيران أخذ سبيله نحو المطبعة ، وإن بدا لهما رأي فيه انتفع منه المؤلف في تقويم كتابه حتّى يستوي بعيدًا عمّا يشوبه .

ثمّ اتّسع نطاقها ، وجعلت من شأنها أن تنشر الأصيل من المؤلفات ، وأن تنقل إلى العربيّة ثمرات الفكر الأوربيّ ، وأن تحقّق وتنشر عيون التراث العربيّ ؛ فكان من ذلك أن نشرت (قصّة الفلسفة اليونانيّة) و(قصّة الفلسفة الحديثة) ، و(قصّة الأدب

في العالم)، من تأليف: د. زكي نجيب محمود، و(فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام)، من تأليف: أحمد أمين. وكان من الترجمة أن نشرت (تاريخ الفلسفة في الإسلام)، تأليف: دي بور، وترجمة: محمّد عبد الهادي أبو ريدة، و(تاريخ الفلسفة الغربيّة)، تأليف: برتراند رسل، وترجمة: زكي نجيب محمود، و(قواعد النقد الأدبي)، تأليف: لاسل آبر كرومبي، وترجمة: د. محمّد عوض محمّد، و(محاورات أفلاطون)، ترجمة: زكيّ نجيب محمود، و(دفاع عن الأدب)، تأليف: ديهامل، وترجمة: د. محمّد مندور، و(قصّة الحضارة)، تأليف: ويل ديورانت، وترجمة: زكي نجيب محمود، ومحمّد بدران وآخرين.

وكان من تحقيق التراث أن نشرت (شرح حماسة أبي تمّام، للمرزوقي)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، و(العقد الفريد)، تأليف: ابن عبد ربّه، وتحقيق: إبراهيم الإبياري، وأحمد الزين، ونذكر أيضًا من إصداراتها في مجال تحقيق التراث: كتاب (السلوك)، للمقريزي، بتحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، سنة ١٩٣٤م، وكتاب (المختار من شعر بشار بن برد)، للخالدين، وكتاب (معجم ما استعجم)، للبكري، بتحقيق: عبد السلام هارون، وكتاب (الروضتين)، لابن أبي شامة، بتحقيق: أستاذنا الدكتور محمد حلمي.

وغير ذلك ممّا كان ركنًا عزيزًا من أركان الأدب الحديث. ولم تكن اللجنة مغلقة على أعضائها المؤسسين؛ بل إن بابها كان مفتوحًا لكلّ ذي مقدرة على التأليف والترجمة، فالتحق بها محمّد بدران، وزكي نجيب محمود. ومن ينظر في آثارها يدرك اتّساع أفق القائمين عليها، ورصانة فكرهم؛ ذلك أنّ سواقي المعرفة تجري عندهم؛ يجاور القديم منها الحديث، والشرقيّ الغربيّ، من دون نفور أو نشوز. وتوطّدت مكانتها بين الكتّاب والقرّاء، ورأت أن تُصدر مجلّة أسبوعيّة فأصدرت (الثقافة) في سنة ١٩٣٩، وصاحبُ شأنها القائمُ بأمرها رئيسُ اللجنة أحمد أمين نفسه. واستطاعت (الثقافة) أن تجد لها حيّزًا بين القرّاء، على الرغم ممّا كان لمجلّة (الرسالة) من مدى، ونفاذ.

وقد بقي صدورها متّصلًا حتّى سنة ١٩٥٣؛ إذ انقطعت عن الصدور، وخلت

ساحة الأدب منها ، ومن (الرسالة) لتنشأ مجلّات أخرى . ووقف أحمد أمين ، وهو يقصّ سيرة حياته ، عند (اللجنة) قائلًا : "وقد تكوّنت اللجنة . . . سنة ١٩١٤ ، ونحن الآن سنة ١٩٥٣ فيكون قد مضى عليها أكثر من ست وثلاثين سنة ، وقد طُبعت من الكتب أكثر من مائتي كتاب ، وكانت لا تقرر كتابًا إلّا إذا حوّلته على اثنين خبيرين بالموضوع يبديان فيه رأيًا بالصلاحيّة أو عدمها ، أو حاجته إلى التعديل . ولبثت طول هذه المدّة رئيسًا للجنة يعاد انتخابي فيها رئيسًا لها كلّ عام . وازداد عدد أعضائها إلى أكثر من ثمانين عضوًا من خيرة المتعلمين . . . وأسست لها مطبعة خاصّة . . . " .

وقد كانت إدارة أحمد أمين للجنة موضع تقدير ، وحسن ثناء ، فقد منحها من وقته وجهده ورجاحة رأيه شيئًا كثيرًا ؛ لولا شائبة ما كان أغناه عنها ـ وهذا ما سمعته من العديدين من أهل الفكر والأدب من الجيل السابق لنا ـ ؛ إذ كان يضع اسمه أحيانًا على كتب كأنّه شريك في التأليف ، على حين أنّ جهده فيها لم يزد على قراءتها ، وهي مخطوطة ، وإجازة نشرها ؛ كصنعه في (قصّة الفلسفة اليونانيّة) ، و(قصّة الفلسفة الحديثة) ، و(قصّة الأدب في العالم) وكلّها من تأليف زكي نجيب محمود ! وكصنعه في (شرح حماسة أبي تمّام) . أقول : ما أغناه عن ذلك ؛ وهو الكاتب المؤلف ذو التصانيف الكثيرة!

وأحبّ أن أنقل ما تحدّث به زكي نجيب محمود عن اللجنة ومبناها القديم ؛ إذ يقول : " ٩ شارع الكرداسي (المتفرع من شارع المالية بحي لاظوغلي القريب من السيدة زينب) بناء قديم كسيح تكاد تتقوّس جدرانه وتهوي سقوفه ؛ لكنّه جزء لا يتجزأ من حياتي ، ومن حياة رجال كثيرين ، بل إنّه جزء لا يتجزأ من تاريخ الأدب المصريّ الحديث ، فكما ترتبط الحركات الأدبيّة أحيانًا بهذا (الصالون) أو ذاك المنتدى ، فسترتبط الحركة الأدبيّة المصريّة من بعض وجوهها بهذا البناء المتهافت ٩ شارع الكرداسي ، ففي حجراته قامت مشروعات وصدرت مطبوعات واجتمعت حلقات الأدباء والمتأدبين يسمرون وينقدون" .

نعم! إنّ منزلة لجنة التأليف والترجمة والنشر كبيرة في تاريخ الأدب الحديث ، في النصف الأوّل من القرن العشرين ؛ لكنّها بعد أن توغّل القرن في نصفه الثاني

خفتْ بريقُها ، ويبس أديمُها ، وتهيأ الزمان لأنماط أخرى من النشر والناشرين ؛ غير أنّها تظلّ مفخرة من مفاخر آباء الثقافة العربيّة الحديثة!

أحمد تيمور باشا . . حافظ تراث العرب

٦ فبراير/شباط ، كان ميلاد العلامة أحمد بن إسماعيل بن محمد تنكور ، الشهيرُ بأحمد تيمور باشا ، إذ ولد في عام ١٨٧١ .

ولولا الدور الذي لعبه (تيمور) وعائلته ، لظلت معرفتنا بالتراث العربي قاصرة ، فرغم أصول العائلة الكردية ، فإنها أظهرت عناية فائقة بالتراث العربي ، وقدمت وجوهًا ناصعة في مسيرة نهضة الثقافة العربية بين نهاية القرن ١٩ ، وأوائل القرن٢٠ .

وتعود أدوار الأسرة التيمورية إلى لحظة تاريخية فاصلة في تاريخ مصر الحديث ، ارتبطت بمشروع النهضة الذي أراده محمد علي باشا ، حين اعتمد في إدارة دولته على عناصر من الأرمن والأكراد الذين وفدوا لمصر ، بعدما شهدت منطقة الأناضول صراعات عرقية ومذابح ارتكبتها الدولة العثمانية .

وضم محمد علي الكبير إلى جيشه عناصر كردية موالية له ، منها محمد الكاشف بن علي الكردي الأصل ، برتبة كاشف ، الذي لُقب بتيمور ، وهو لفظ تركي بمعنى الحديد ، وذلك لصلابته وشدته .

وجاء (الكاشف) وهو يحمل معرفة فائقة بعدة لغات ، منها الكردية والفارسية ، والتركية ، وشارك في حروب محمد علي باشا التوسعية ، واعتلى مناصب إدارية عليا ، وعين محافظًا لعدة أقاليم كانت تابعة للإدارة المصرية .

وتقلد (الكاشف) بعد ذلك رئاسة دائرة الأمير محمد توفيق ، ولي العهد ، فأنعم عليه برتبة ميرميران ، ولقب الباشا ، وأصبح أبناء هذا الرجل فيما بعد هم أعمدة الأدب العربي في العصر الحديث ، ومنهم عائشة عصمت التيمورية ، وأحمد تيمور .

وتلقى أفراد العائلة تعليمًا استثنائيًا ، حتى بمقاييس العصر ، فقد تعلموا اللغة الفارسية والعربية ، إلى جانب الكردية ، وأتقن أفراد العائلة علوم الصرف والنحو والعروض .

وبرعت عائشة ، التي كانت من رائدات الحركة النسائية ، في الشعر ، وكتبت ديوانها الشهير (حلية الطراز) ، ومجموعة قصصية هي نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال ، ورواية بعنوان : (اللقا بعد الشتات) ، وكانت نصوصها السردية محاولة لتلمس بدايات فن السرد القصصي العربي بمعناه الحديث .

وبعد وفاة والدها ، تحملت عائشة مسؤولية تعليم أخيها أحمد تيمور ، وتعلم بفضل رعايتها اللغات ومبادئ العلوم في مدرسة مارسيل الفرنسية ، ودرس العلوم العربية والإسلامية على يد الشيخ حسن الطويل .

وتزوج عام ١٨٨٩ بخديجة بنت أحمد رشيد باشا ، ناظر الداخلية ، الذي كان صديقًا حميمًا لوالده ، ورزق منها بأولاده الـ٣ : إسماعيل ، ومحمد ، ومحمود ، ثم توفيت عام ١٨٩٩ ، ولم يتزوج تيمور بعدها .

وبفضل عمق معرفته بالتراث العربي ، انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية .

وتوقف الإنتاج الأدبي لـ(تيمور) بعد فقد ابنه محمد ، فمرض ولازمته نوبات قلبية ، انتهت بوفاته عام ١٩٣٠ .

ولا تزال مؤلفات تيمور واحدة من أهم مصادر التعرف على التراث العربي بعد أكثر من قرن على كتابتها ، ومنها (الخزانة التيمورية) التي وصلت إلينا بفضل لجنة نشر مؤلفاته التي تشكلت عقب وفاته ، وعُرفت بـ(لجنة نشر المؤلفات التيمورية) .

وطوال حياته جمع أحمد تيمور باشا مكتبة قيّمة غنيّة بالمخطوطات النادرة ، ونوادر المطبوعات (نحو ١٩٥٢٧ مجلداً و٨٦٧٣ مخطوطًا) ، أهديت إلى دار الكتب بعد وفاته .

وأهم ما ميز تيمور أنه كتب بخطه على أغلب مخطوطات مكتبته ، وكان يعد لكل مخطوط قرأه فهرسًا بموضوعاته ومصادره ، ولا تزال هذه الفهارس موجودة في قاعة المخطوطات بمبنى دار الكتب القديم بباب الخلق متاحة للباحثين ، وهي من كنوز الدار .

ومن بين كتبه التي تكررت طباعتها : (أعلام المهندسين في الإسلام) ، (الآثار النبوية) ، (ضبط الأعلام) ، (لعب العرب) ، (الأمثال العامية) ، (الحب عند العرب) ، (التصوير عند العرب) .

كذلك من بين أعماله : (نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة) ، (تصحيح لسان العرب) ، (تصحيح القاموس المحيط) ، (المنتخبات في الشعر العربي) ، (تاريخ الأسرة التيمورية) ، (ذيل تاريخ الجبرتي) ، (الألفاظ العامية المصرية) ، (قاموس الكلمات العامية) ، ولا يزال الأخير أهم مصادر دراسة تطور العامية المصرية .

وأذكر أنني كتبت منذ سنوات تحت عنوان : أحمد تيمور باشا . . .شيخ المحققين أقول :

أحمد تيمور باشا : أحدُ كبارِ رجال النَّهْضة العَرَبيَّة ، وباحثٌ في حُقول اللُّغة والأَدب والتَّاريخ ، ويُعَدُّ صاحبَ أكبرِ مَكْتبة خاصَّة في العَصرِ الحَديث ؛ حيثُ بلَغَ عَددُ الكُتُبِ المَوْجُودة بها ثَمانيةَ عشرَ ألفَ كتابٍ ، كَما أنَّهُ والدُ كلٍّ منَ الأَديبَيْن العَبْقريَّيْن : محمود تيمور ، ومحمد تيمور ، وهُوَ الأخُ الأَصْغرُ لعائشةَ التيمورية ؛ إحْدى رائدات الحَرَكة النِّسْويَّة في القرْنِ التاسعَ عشَرَ بالعالَمِ العَرَبي .

وُلدَ (أحمد إسماعيل محمد تيمور) عامَ ١٨٧١م ، وتُوُفِّيَ أبوهُ وهوَ رَضِيع ، فكَفلتْهُ أختهُ الكُبْرى عائشةُ التيموريَّةُ وزَوْجُها محمد توفيق . وقدْ درَسَ تيمور في مَدْرسة مارسيلِ الفرنسيَّة بضْعَ سَنَوات ، ثُمَّ انقطعَ عَنِ الدِّراسة النِّظاميَّة وتَلقَّى تَعليمَهُ في البَيْت ؛ حَيثُ تَعلَّمَ الفارسيَّةَ والتُّركيَّة ، وكانَ الشَّابُّ قد كوَّنَ وهُو دُونَ العشْرينَ مَكْتبةً شَخْصيَّةً يَبلغُ قوامُها ثَمانيةَ آلاف مُجَلَّد ، نصْفُها منَ المَخْطُوطات .

اتَّصلَ أحمد تيمور بأَعْلامِ عَصره كالشيخِ حسن الطويل ، والشيخِ طاهر الجزائري ، والشيخِ المُجدِّد محمد عبده الَّذي تأثَّر به تيمور كثيراً ، وقَدْ شَهدَتْ دارُهُ مَجالسَ أدبيَّةً وعلْميَّةً حافلة ، كانَ يَحضرُها أقْطابُ الفكْرِ والسِّياسة والأَدبِ في مصرَ آنذاك ، أمْثال : سعد زغلول ، وإسماعيل صبري ، وحافظ إبراهيم ، وقاسم أمين ، وغيرهم .

انقطَعَ تيمور لدراسةِ العِلْمِ وفَهْرسةِ مَكْتبتِه الضَّخْمةِ الَّتي استفادَ منْها الكَثير ،

أولُهم ابْناهُ : محمد ، ومحمود اللّذان كانَ لَهُما أبْلغُ الأَثر في الأَدبِ العَربيِّ الحَديث . وقَدْ أَهدَى تيمور فيما بَعْدُ هذه المَكْتَبَةَ لدار الكُتب المصْريَّة لِيَنتفعَ بها عامةُ النَّاس .

عاشَ تيمور حَياةً قاسية ؛ حَيثُ تُوفِّيَتْ زَوْجتُه وهُو في سنِّ التاسعة والعشْرين ، ولَمْ يَتزوَّجْ بعْدَها خَشْيةَ أنْ تُسيءَ الثانيةُ إلى أَوْلاده ، كما فَقَدَ ابنَهُ محمداً وهُو شابٌّ في الثَّلاثِينَ منَ العُمْر ، فجَزِعَ لِموْته ولَازَمتْهُ عِدَّةُ نَوْبات قَلْبيَّة أدّتْ في النِّهاية إلى وَفاته بَعدَ سنِين مَعْدُودة .

المدقق المحقق/

محمد محمود التركزي الشنقيطي :

في كتابه : (من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث) كتب العلامة أحمد تيمور باشا عن العالم المدقق المحقق محمد محمود التركزي الشنقيطي (١٢٤٥-١٣٢٢هـ) قائلاً :

هو الأستاذ العلّامة الحجة الثقة إمام اللغويين في عصره شيخنا محمد محمود ابن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي ، اشتهر والدُه بالتلاميد «بالدال المهملة» وسببُ ذلك على ما أخبرني به أنه كان يُقرئ تلاميذَه في خيمة انفرد بها ، فكان كلُّ مَن يسأل عنه يقول : أين خيمةُ التلاميد؟ ثم أُطلق هذا اللقبُ عليه كما يقال : السادات للواحد من السادات الوفائية بمصر ، وتُرْكز ، بضم فسكون : اسم قبيلته ، وهو في الأصل أمويُّ النسب ؛ ولهذا كان يكتب في توقيعه : «العبشمي» نسبة إلى عبد شمس ، ثم ترك كتابتَه لما أقام بمصر .

قرأ على أبيه وبعضَ أقاربه ، كما أشار إلى ذلك في ميميته التي نظمها لمؤتمر العلوم الشرقية بِاستكهلم ، فقال :

غذاني بدر العلم أرأف والد وأرحم أمٍّ لم تُبِتْني على غمِّ
ولم يفطماني عنه حتى رويته عن الأب ثم الأخ والخال والأمّ
وعن غيرهم من كل حبر سميدع تقيٍّ نقيٍّ لا عييٍّ ولا فدْمِ

ولازم أيضًا الشيخ عبد الوهاب ، الملقّب بأجدود ، وعليه تخرّج ، ثم تلقّى

الحديث عن ابن بلعمش الجلني ، واستظهر من المتون وأشعار العرب شيئًا كثيرًا لم يذهب من حفظه حتى مات ، واشتهر باللغة والأنساب وانفرد بهما .

ثم رحل إلى المشرق ، وحجَّ واجتمع بأمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون ، فأكرمه وطلب منه البقاءَ عنده ، فأجاب ، وكانت تقع بينه وبين علماء مكة والواردين عليها مناظراتٌ ومحاوراتٌ علمية في مجلس الأمير ، وصار يتردَّدُ في الإقامة بين مكة والمدينة إلى أن قصَد القسطنطينية ، فأكرمه السلطانُ عبد الحميد وعرَف قدرَه ، وأوفده سنة ١٣٠٤هـ إلى باريس ولندن والأندلس للاطلاع على ما في خزائنها من الكتب العربية النادرة ، وتقييد أسماء ما يوجد منها بخزائن القسطنطينية لتُستنسخ ، فسافر على باخرة خاصة ، وكان ينزل حيثما حلَّ بدور السفارات العثمانية ، ولكن المشروع أُهمل بعد عودته ، ثم لما شرع الملك أسكار الثاني ملك السويد والنرويج في عقد المؤتمر الثامن من العلومِ الشرقية استكهلم سنة ١٣٠٦هـ طلب من السلطان عبد الحميد أن ينتدبَ الشيخَ إليه ، فانتدبه مع مدحت أفندي الكاتب التركي الشهير ، ونظَم الشيخ قصيدتَه الميمية ليُقدمها للمؤتمر ، وأولها :

ألا طرقتْ ميٌّ فتًى مطلع النجمِ غريبًا عن الأوطان في أُمَمِ العجمِ

ذكر بها سببَ هذه الرحلة وابتداء تحصيله للعلم بالمغرب ، ورحلته إلى المشرق ، وضمَّنها مسائل علمية ، ورثى نفسَه فيها ، وختمَها بذكر القبائل العربية المشهورة ، ولكنه لم يسافر لاشتراطه شروطًا أغضبت السلطان ، فأمر بسفره إلى المدينة ، ومنها قدم إلى القاهرة ، وألقى بها عصا التَّسْيار ، واستحضر أهلَه وكُتبَه من المدينة ، وأقبل على المطالعة والإفادة إلى أن تُوفي بدار سكنه القريبة من الأزهر قُبيل الغروب من يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ١٣٢٢هـ عن سنٍّ عالية ، ولم يمرضْ إلا أيامًا قليلة .

وكان ، رحمه الله ، نحيفًا أسمرَ اللون ، شديد التمسُّك بالسُّنَّة قوَّالًا للحق ولو على نفسه ، مع حدَّة طبْع زائدة ؛ ولهذا لم ينتفع به إلا القليلون ، وكان لا يملُّ المطالعة ليلًا ونهارًا حتى أضنته كثرةُ الجلوس وسبَّبت له أمراضًا وآلامًا ، ولا سيما لما اشتغل بتصحيح المخصص ، وأنه كان يُقابله مع شخص آخر بمكان رطب في الطبقة السفلى من داره ، فاشتدَّ به مرضُ الصدر وألمُ الرثية في أطرافه ، وكثيرًا ما كان يقول : "أنا

قتيل المخصص ، أنا قتيل الكتب" ، ولم يترك من الآثار إلا (الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية) ، ضمَّنها شيئًا من أخباره وقصائده وردوده على مَن خالفه في بعض المسائل العلمية ، وطُبعت بالقاهرة في مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ ، وله أرجوزة سمَّاها : (عذب المنهل والمعل المسمَّى صرف ثعل) ، لم تُطبع ، و(إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب) ، وهي حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني ، وكان قد وفد على الشريف عبد الله بن محمد بن عون بمكة ، وقدَّم له هذا الشرح ، فطلب الشريف من الشيخ أن يكتب عليه ، فكتب هذه الحاشية وبيَّن فيها أغلاطه ، وهي مخطوطة لم تُطبع ، وكان شرع في تأليف كتاب سمَّاه : (بنيان العلم المرصص في أوهام المخصص) لم يكتب منه إلا ما طُبع على حواشي المخصص ، وكان صحَّح بعضَ الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني ، ولم يستوعب كلَّ ما فيه ، فجرَّدها من حواشي نسخته الشيخُ الفاضل محمد عبد الجواد الأصمعي ، وطبعها بالمطبعة الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٤ ، بعنوان : تصحيح الأغاني .

كتبها بخطه المغفور له العلَّامة المحقق أحمد تيمور باشا ، وكان عنوانُها بالمِداد الأحمر .

شيخ العروبة أحمد زكي باشا . .
علم فوق النسيان

ربما لا يعرف الكثير من هو (شيخ العروبة) أحمد زكي باشا ، رائد فن إحياء التراث العربي في مصر ، ومن أوائل الرحالة العرب الذين قاموا برحلات إلى دول أوروبا في العصر الحديث .

ترك زكي باشا رسائل عدة عن تلك الرحلات التي قام بها ، لتكون عينًا لنا في المجتمع الغربي .

أحمد زكي باشا ولد عام ١٨٦٧ ، وأتم تعليمه بالقاهرة ، إلى أن حصل على الإجازة في الحقوق عام ١٨٨٧ ، وقد تردد اسم أحمد زكي كثيراً حتى أصبح من

الضروري أن يحدد اسم (أحمد زكي) بلقب باشا أو شيخ العروبة .

بعد أن حصل على إجازة الحقوق عمل محرراً في جريدة الوقائع المصرية ، كما عمل عام ١٩٠٦ (سر تشريفاتي للخديو) ، وفي عام ١٩٠٧ سكرتيراً لمجلس النظار ، وظل حتى عين ١٩١١ سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء .

وفي عام ١٨٨٩ عين مترجماً لمجلس النظار واختاره الخديو (عباس حلمي الثاني) لتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين في (لندن) عام ١٨٩٢ ، بسبب كفاءته في الترجمة ، فقد كان يجيد العديد من اللغات ، مثل : الإنجليزية ، والفرنسية ، والإيطالية ، واستمرت الرحلة ستة أشهر ، ولم يكن (شيخ العروبة) تجاوز الخامس والعشرين من عمره .

وحضر العديد من مؤتمرات المستشرقين ، مثل مؤتمر جنيف للمستشرقين عام ١٨٩٤ ، وزار الأندلس ، ويعتبر أول مصري يزور الأندلس ، وطاف أنحاء أوروبا .

وفي عام ١٩٠٠ حضر معرضاً في باريس ، وألف عنه كتاب (الدنيا في باريس) ، وفي عام ١٩٠٤ حضر مؤتمر المستشرقين في هامبورج ، وفي عام ١٩١٢ حضر مؤتمر المستشرقين في أثينا كرئيس للوفد المصري .

وفي عام ١٩٢٤ زار بلاد الشام ، وفي عام ١٩٢٦ سافر إلى اليمن والحجاز مندوباً عن الرابطة الشرقية للسفارة بين ملكيها ، وفي عام ١٩٣٠ زار القدس .

ويمكن أن نقسم أعمال (أحمد زكي) في ثلاثة ميادين أساسية ، وهي :

١ـ إحياء التراث العربي ، بالبحث عن المؤلفات والمخطوطات ونقلها بالفوتغرافيا .

٢ـ الاهتمام بالآثار العربية ، والبحث عن القبور والمواقع المندثرة ، والدعوة لتكريم أصحابها .

٣ـ تصحيح أسماء الأعلام والبلدان والوقائع والأحداث في مجال اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا .

ويمكن أيضاً أن نقسم حياة أحمد زكي على ثلاث مراحل ، وهي :

المرحلة الأولى : جمع التراث العربي من مكتبات الأستانة وأوروبا والمشرق والمغرب ،

ونقله بالفوتوغرافيا ، ومراجعته والتعليق عليه ونشره .

المرحلة الثانية : مراجعة هذا التراث ودراسته ، وتكوين خزانته الزكيّة ، والتعليق على ما بها من مؤلفات ، في مختلف فنون الأدب والتاريخ والجغرافيا ، والاتصال بالباحثين ومراجعتهم .

المرحلة الثالثة : وهي المرحلة الأخير تبدأ بعد إحالته للتقاعد سنة١٩٢١ وحتى وفاته ، وهي من أخصب فترات حياته ، حيث نشر عشرات المقالات والأبحاث وتوسّع في صلاته بزعماء العالم العربي وتوسّط في الخلاف بين العرب واليهود بشأن حائط البراق .

كانت الترجمة من الأعمال الأولى التي استهل بها حياته ، فقد ترجم العديد من الكتب وقدم للغة العربية العديد من المؤلفات مثل : (تاريخ المشرق) ، و(مصر الجغرافية) ، و(أربعة عشر يوم سعيد في خلافة الأمير عبد الرحمن الأندلسي) . واهتم أيضًا بالتأليف ، فكتب ما يزيد عن ٣١ مؤلفًا ، مثل : (الدنيا في باريس) ، و(السفر إلى باريس) ، و(موسوعات العلوم العربية) ، و(قاموس الجغرافيا القديم) ، و(مصر والجغرافيا) ، و(دروس في الحضارة الإسلامية) ، وغيرها .

ولعل أبرز أعماله التي يدين له العرب جميعاً بالفضل اختصاره حروف الطباعة العربية من ٩٥٠ حرفًا إلى ١٣٢ حرفًا ، ثم إدخاله علامات الترقيم إلى الكتابة العربية لأول مرة عندما عمل مترجمًا في مجلس النظار ، مثل الشولة الفاصلة(،) الشولة المنقوطة (؛) والنقطة (.) وعلامة الاستفهام ، وعلامة التعجب ، والنقطتان ، ونقط الحذف والاختصار (ة) ، والشرطة ، والقوسان .

ترك لنا الخزانة الزكية ، وبها أكثر من ثمانية عشر ألف كتاب ، منافسة في ذلك دار الكتب المصرية التي أنشأها علي مبارك ، فقد تطلع من صباه أن يكون واحداً من أصحاب المكتبات الضخمة ، وأعانه على ذلك مركزه ونفوذه الحكومي ، ورحلاته المتوالية ، واسترخاصه المال في سبيل الحصول علي النسخ الفريدة والوحيدة من المخطوطات .

وأبرز ما تضمنته المكتبة الزكية :

١ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات اللغة العربية باللغة السرية ، وكيفيتها عند العرب ، واستخراجها .

٢ـ مجموعات من الخرائط والصور المجموعة من أيام العباسيين .

٣ـ مجموعة من الفرمانات الصادرة باللغة التركية للحكومة المصرية .

٤ـ مجموعة من الكتب النادرة ٤ أجزاء لابن عساكر ، ٤ أجزاء لمرآه الزمان ، لابن الجوزي ، ونسخه من الجزء الرابع من تاريخ الجبرتي ، وغيرها .

وتوفى (شيخ العروبة) في ٥ يوليو عام ١٩٣٤ تاركًا لنا ثروة كبيره من الآراء والأفكار والتصويبات والتحقيقات في مجال التاريخ والجغرافيا والأعلام والآثار واللغة العربية ، وأعمالًا كثيرة في مجال إحياء التراث العربي ونقله وطبعه ، فهو رمز من مظاهر النهضة في العالم العربي .

عبد العزيز الميمني الراجكوتي . . لسان العربية في الهند

عبد العزيز الميمني الراجكوتي (١٨٨٨ - ١٩٧٨) شارك العلماء المسلمين في الهند في إحياء التراث العربي ، ونشر كنوزه ، ولهم في ذلك أياد بيضاء على الرغم من ضعف المال وهزال الإمكانات ، ولم يقف ذلك عائقًا دون موالاة الصدور ، ونشر أمهات الكتب في التاريخ والحديث .

وكان يقف وراء ذلك الإنتاج قلعة كبيرة من قلاع نشر التراث العربي ، المعروفة باسم (دائرة المعارف العثمانية) التي تأسست سنة (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) بحيدر آباد الدكن ، معتمدة على ريع وقف عليها ، ومنحة مالية من الحكومة الهندية ، ثم ألحقت هذه الدائرة سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) بالجامعة العثمانية بحيدر آباد عند إنشائها .

وقد بلغ ما نشرته حوالي مائتي كتاب في مختلف ميادين الثقافة العربية والإسلامية ، ويعد ما نشرته من كتب الحديث ورجاله من أوسع وأعظم ما نشرته الدائرة ، وهو ما لم تقم به هيئة أخرى في العالم العربي أو خارجه ، وحسبك أن تعلم أنها نشرت السنن الكبرى ، للبيهقي في ١٠ مجلدات ، ومستدرك الحاكم في ٤

مجلدات ، وكنز العمال في سنن الأقوال والأعمال في ٢٢ جزءاً ، ولسان الميزان ، لابن حجر في ٦ مجلدات .

وإلى جانب هذه الجهود الجماعية المخلصة ، برز اسم (عبد العزيز الميمني) الذي أوقف عمره على البحث عن التراث العربي ونشر نوادره ، ووقف بمفرده يواصل جهده المبارك في تحقيق التراث .

المولد والنشأة

ولد عبد العزيز الميمني سنة (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) ببلدة راجكوت ، ومنها جاء نسبته الراجكوتي ، وهي تقع في إقليم كاتهيا دار بولاية گوجرات (التي تعرف الآن باسم سوراشترا ، على الساحل الغربي للهند) ، ونشأ في بيت عريق في التجارة .

التحق عبد العزيز الميمني بالكتاب ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم استكمل دراسته العالية في (لكهنو) و(رامبور) و(دهلي) ، والتقى بشيوخ كثيرين من أمثال الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي ، وقد أجازه برواية الحديث النبوي ، ونذير أحمد الدهلوي ، ومحمد طيب المكي .

وشغف الميمني بالعربية ، فتعمق فيها ، وعكف على الشعر العربي قراءة وحفظًا ، حتى إنه حفظ ما يزيد على ٧٠ ألف بيت من الشعر القديم ، وكان يحفظ ديوان المتنبي كاملًا .

في رحاب الدرس

وبدأ الميمني حياته بالكلية الإسلامية ببيشاور ، حيث قام بتدريس العربية والفارسية ، ثم انتقل منها إلى الكلية الشرقية بمدينة لاهور عاصمة إقليم البنجاب ، ثم استقر بالجامعة الإسلامية في عليكرة ، وظل يتدرج بها في المناصب العلمية حتى عين رئيسًا للأدب العربي بالجامعة ، ومكث بها حتى أحيل إلى التقاعد . لكنه لم يركن للراحة ، فلبى دعوة جامعة كراتشي بباكستان ، ليتولى رئاسة القسم العربي بها ، وأسندت إليه مناصب علمية أخرى ، فتولى إدارة معهد الدراسات الإسلامية لمعارف باكستان ، وظل يعمل في هذه الجامعة حتى وفاته .

الرحلة للمشرق العربي

وكان الميمني واسع الثقافة العربية ، وأتاح له دأبه الشديد في مطالعة خزائن الهند التي تحوي آلاف الكتب العربية المخطوطة ، أن يقف على النوادر منها ، وأن يتحف المكتبة العربية بما تيسر له طبعه فيها .

ولم تشف خزائن الكتب في الهند ظمأه العلمي ، فاتجه إلى البلاد العربية وتركيا سنة (١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م) بحثًا عن المخطوطات ، ووفق في الوقوف على النادر منها ، فطاف بخزائن استانبول وزار مكتباتها التي تضم أكبر مجموعة خطية من التراث العربي ، وزار القاهرة وتوثقت صلته بعلمائها ، واتصل بلجنة التأليف والترجمة والنشر التي كان يرأسها الأديب الكبير أحمد أمين ، كما زار سوريا ، واستعانت به وزارة الثقافة بدمشق للاستفادة من خبرته في مجال المخطوطات ، وكان المجمع العلمي العربي بدمشق قد اختاره عضواً مراسلًا به في سنة (١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م) وهو في الأربعين من عمره ؛ تقديراً لنبوغه المبكر ، ومعرفته العميقة بالعربية وآدابها ، وظل في المجمع ٥٠ عامًا أو يزيد .

اتصال بالمؤسسات الثقافية المصرية

وكان لمصر فضل التعريف بالشيخ عبد العزيز الميمني وإظهار علمه ، فقد نشرت له لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة كتاب سمط اللآلي ، لأبي عبيد البكري ، وقد صدر الكتاب في مجلدين سنة (١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م) ، والكتاب في شرح كتاب الأمالي ، لأبي علي القالي .

وقد أبان العلامة الميمني في تحقيق هذا الكتاب عن "علم غزير وإحاطة جامعة بالتراث العربي ، وبخاصة ما يتصل بالشعر ورواياته ، وأخبار الشعراء والرواة ، ومداخلة الكتب ، وبراعة التعامل معها ، ويعد تحقيق الكتاب آية من آيات الإبداع في تحقيق النصوص وتوثيقها" .

وكان الشيخ أثناء إقامته بالقاهرة يمضي أكثر وقته في دار الكتب المصرية عاكفًا على نسخ المخطوطات التي يرى أهميتها ، وكذلك كان يفعل في أثناء زيارته للشام

والعراق وتركيا ، باحثًا عن النفائس ، ومنقبًا عن النوادر مما لم يسبق نشره ، ولم يسمع به إلا العدد القليل من العلماء .

وقد تهيأت له عدة رسائل صغيرة نادرة شملت ديوان الأفوه الأودي ، وديوان الشنفرى ، وديوان إبراهيم بن العباس الصولي ، والمختار من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، وقد نشرت له لجنة التأليف والترجمة هذه الرسائل سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) تحت عنوان : (الطرائف الأدبية) .

وكان لهذا الجهد العلمي الرفيع في أن يعمق صلاته بعلماء مصر ، من أمثال محب الدين الخطيب ومحمود محمد شاكر ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، ورجال دار الكتب المصرية ، الأمر الذي ترتب عليه أن قام الميمني بنشر إنتاجه العلمي في القاهرة التي كانت تعرف قدر الرجل وسعة علمه ، وظهر ذلك في اختيار مجمع اللغة العربية بالقاهرة له عضوًا مراسلًا ، اعترافًا بفضله وجهده .

الإنتاج الفكري والعلمي

دار إنتاج الميمني حول التراث العربي تعريفًا به وتحقيقًا له ، ومن هذا الإنتاج :

- ديوان حميد بن ثور الهلالي ، وهذا الديوان جمعه الميمني وأعاد بناءه ، ونشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة .

- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وقد حققه الميمني ، ونشرته دار الكتب المصرية ، ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ .

- الوحشيات ، وهي الحماسة الصغرى ، لأبي تمام الطائي ، وقد نشرت دار المعارف تحقيقه لهذا الكتاب في سلسلتها (ذخائر العرب) المعروفة سنة ١٣٨٣هـ ، ويذكر أن العلامة محمود محمد شاكر قد راجع هذا التحقيق ، وزاد في حواشيه .

- الفاضل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرد ، وتولت نشره دار الكتب المصرية ، وهو ثالث الكتب التي حققها الميمني وقدمها لدار الكتب ؛ لتقوم بطبعها بعد ديوان سحيم وديوان حميد بن ثور الهلال ، وقد طبع في القاهرة سنة (١٣٥٧هـ / ١٩٥٥م) .

وهذا الكتاب لم ينشر من قبل ، ولم يكن معروفًا أو متداولًا بين العلماء ، وقد عثر عليه الميمني في أثناء تطوافه في مكتبة أسعد أفندي باستانبول .

ـ أبو العلاء وما إليه ، فائت شعر أبي العلاء ، ونشر هذا التحقيق في القاهرة سنة ١٣٤٤هـ بالمطبعة السلفية .

ـ نسب عدنان وقحطان ، لأبي العباس المبرد ، وهي رسالة صغيرة حققها ونشرتها لجنة التأليف والترجمة سنة ١٣٥٤هـ .

ـ المنقوص والممدود ، للفراء ، والتنبيهات على أغاليط الرواة ، لعلي بن حمزة ، ونُشِر الكتابان معًا في سلسلة (ذخائر العرب) التي تصدرها دار المعارف بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ .

ومن تآليفه النافعة كتاب (إقليد الخزانة) ، وهو فهرس للكتب الواردة في خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادي ، وقد طبعته جامعة البنجاب بالهند سنة ١٩٢٧م .

وقد جمعت مقالاته وبحوثه في اللغة والأدب بعد وفاته في مجلدين تحت عنوان : (بحوث وتحقيقات) ، قام عليها : محمد اليعلاوي ، ونشرتها دار الغرب الإسلامي ببيروت .

وفاته

وقد امتد به العمر حتى بلغ التسعين من عمره ، وهو موفور النشاط حتى توفي في يوم الجمعة الموافق ٢٦ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ / ٢٧ من أكتوبر ١٩٧٨م بعد حياة حافلة ، وأصدرت مجلة المجمع العلمي الهندي عددًا ممتازًا عنه ، وقام شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق بدراسة مؤلفاته وتحقيقاته ، ونشر هذه الدراسة في مجلة المجمع في المجلد الرابع والخمسين سنة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

تعريف المجدّد بكتاب مروج الذهب
ونشراته غرباً وشرقاً

هارون ولد عبد الفتاح - موريتانيا

المقدّمة

كُتُبُ إمامِ المؤرِّخين أبي الحسنِ المسعوديّ التي انتهتْ إلينا - في هذا الزّمان - وعَرَفْنَا خبرَها ثلاثةُ كُتُبٍ لا رابعَ لها ، ألَا وهي : (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، و(التّنبيه والإشراف) ، و(التّعيين للخلفاء الماضين) الذي اكتَشَفَ نُسختَه الفريدةَ كاتبُ هذه السّطور ، بفضل الله تعالى .

وثلاثتُها جواهرُ مِن جواهرِ السّلسلة التّاريخية التي افتَتَحها المسعوديُّ بأعظمِ كُتُبه ، وهو : (أخبار الزمان) ، واختَتَمها بألطف كُتُبه ، وهو : (التّعيين) ، خلافًا للقول الشّائعِ الذّائع : إنّ (التّنبيه والإشراف) آخِرُ كُتُبِ المسعوديّ ، وقد حَسَمْتُ هذا الأمرَ قديمًا[١] ، بفضل الله تعالى .

أمّا (المروج) فهو واسطةُ العِقْدِ في مؤلَّفاتِ المسعوديِّ جميعِها ، وهو أكثرُها شهرةً لدى خواصّ النّاس وعوامّهم ، مِن لدُن زمانِ مؤلِّفه إلى زماننا ، حتى إنَّ الحافظَ ابنَ حجر العَسْقَلَانيَّ قال في ترجمة المسعوديّ : "وتصانيفُهُ عزيزةٌ إلّا (المروج) فقد اشتَهر"[٢] ، وحتى إنه لَيُعرفُ به ، فيقال : "المسعوديُّ صاحبُ (مروج الذهب)"!

وقد عَظُمَتْ عنايةُ الدّارسين بهذا الكتابِ الجليل ، وكثُرت نشراتُه شرقًا وغربًا ، وتعدَّدتْ ترجماتُه إلى لغاتِ الأمم ، وآخِرُها التّرجمةُ الإنجليزيةُ الكاملة التي يَعْكُفُ عليها - في أيّامِنا هذه - الدكتور طَريف الخالدي .

(١) اكتشاف نسخة فريدة من التعيين للخلفاء الماضين ، آخِرِ كتب المسعودي ، ص١٥-١٦ . وقد نُشرَت المقالةُ بتصرُّف .

(٢) لسان الميزان ٥/ ٥٣١ .

هذا، وقد مكّنني الاشتغالُ بتراثِ المسعوديّ من الوقوفِ على دقائقَ لم يتنبّه لها الدّارسون، وعلى مواطنَ زلّت فيها الأقدام، وسيأتي في خلال هذا البحث حَذْفٌ منها يُصْلِحُ عددًا من التّصوّراتِ الشّائعة عن (المروج)، ويُقَوِّمُ جمهرةَ نشراته السّابقة تقويمًا علميًا، وسيُفْضي بنا ذلك إلى جُمْلَةٍ من النّتائجِ الجديدة.

- فصلٌ في ذكر مراتبِ قراءة الكُتُبِ التي وضعها المسعوديُّ في سلسلته التاريخية، وأيّها الأَوْلى بالتّقديم في استحقاق القراءة:

لَئِنْ كانَ إمامُ الأطبّاء جالينوسُ[١] قد أَلَّفَ كتابًا في (مراتبِ قراءة كُتُبه)[٢]، فإنَّ إمامَ المؤرّخين أبا الحسن المسعوديَّ لم يؤلِّفْ كتابًا من هذا النمط!

والغَرَضُ في هذا الفصل أن أستَدْرِكَ شيئًا من ذلك، وأَكْشفَ عن التّرتيبِ الصّحيحِ لقراءة سلسلة المؤلَّفات التّاريخية التي وضعها المسعوديّ. وأقصدُ بها تلك السلسلةَ ذاتَ الحلقات المترابطة التي يأخُذُ بعضُها برقابِ بعض، وأمّا سائرُ مؤلَّفات المسعوديّ - سواءٌ أكانت في التّاريخِ وفلسفته، أمْ في المللِ والنّحلِ وأصولِ الدّين، أمْ في غيرِ ذلك - فإنَّ لها شأنًا آخَر.

هذا، وإنّ السّلسلةَ المذكورةَ تَشْتَمِلُ على ثمانيةِ كُتُب: أولّها - باعتبارِ تاريخِ التأليف - هو كتابُ (أخبار الزّمان)، ثم يتلوه (الأوسط)، ثم يتلوه (مروج الذهب)، ثم يتلوه (فنون المعارف)، ثم يتلوه (ذخائر العلوم)، ثم يتلوه (الاستذكار)، ثم يتلوه (التنبيه والإشراف)، ثم يتلوه (التعيين للخلفاء الماضين)، وهو آخرُ كُتُبِ المسعوديّ، على الإطلاق. وكلُّ واحد من الكُتُب المذكورة أصغرُ حجمًا من الكتابِ الذي قبْله في السّلسلة، ومبنيٌّ عليه، ومَدْخَلٌ إليه.

---

(١) وَصَفَ المسعوديُّ جالينوسَ بأنّه تاجُ الأطبّاء وإمامُهُم في عصره، الذي به يقتدون، وعلى كُتُبه يعوّلون. انظر: التنبيه والإشراف، ص١٣١.

(٢) انظر: رسالة حُنَيْن بنِ إسحاق إلى عليِّ بنِ يحيى (نشرة مهدي محقّق)، ص٤.

وقد نَصَّ المسعوديُّ على ذلك في كُتُبِه التي انتهتْ إلينا :

- فقد أحالَ - كثيراً - في (المروج) على (الأوسط) وعلى (أخبار الزمان) ، وذَكَرَ - غَيْرَ مرَّةٍ - أنَّ كتابَ (المروج) تالٍ للْكِتَابِ (الأوسط)[١] .

- كما نَصَّ في صَدْرِ (التنبيه) على أسماء الكُتُبِ السِّتَّة التي جَعله سابعَها[٢] ، وأحالَ عليها إحالات كثيرة . وقد ذَكَرَ - غَيْرَ مَرَّةٍ - أنَّ كتابَ (التنبيه) تالٍ لكتابِ (الاستذكار) ، وأنّه مَبْنِيٌّ عليه[٣] .

- وقد أشارَ في صَدْرِ (التعيين للخلفاء الماضين) إلى سلسلة كُتُبه التّاريخيّة التي سابعُها (التنبيه) ، وذَكَرَ أنّه رأى أنْ يُتْبِعَها بكتابٍ ثامنٍ لطيف ، هو كتابُ (التعيين) نفسُه[٤] . وقد أحالَ فيه - غَيْرَ مَرَّةٍ - على (التنبيه)[٥] ، وذَكَرَ أنّ كتابَ (التعيين) تالٍ له ، وأنّه مدخلٌ إليه[٦] .

هذا ، وإنَّ ما تَقَدَّم ذِكْرُه يَدُلُّ على أنَّ التّرتيبَ الصَّحيحَ الذي ينبغي الأخذُ به من أجلِ قراءة مُنتظمة لسلسلة كُتُب المسعوديّ التاريخيّة - وإنْ كان هو نفسُه لَم يَنُصَّ عليه صَراحَةً - هو أنْ تُقْرَأَ قراءةً معكوسة ، أَعْني أنَّ أَوْلَاها بالتَّقديمِ في استحقاقِ القراءةِ هو آخرُها تأليفًا ، ثمّ الذي سَبَقَه مباشرةً ، ثمّ الذي سَبَقَه ، وهلُمَّ جرًا .

وعليه ، فإنّ ترتيبَ قراءة الكُتُب الثلاثة التي انتهتْ إلينا هو أن يُبْدَأَ بكتابِ (التّعيين للخلفاء الماضين) أولًا ، ثمّ بكتابِ (التنبيه والإشراف) ثانيًا ، ثمّ بكتابِ (مروج الذّهب ومعادن الجوهر) ثالثًا .

---

(١) انظر مثلا : مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٢/ ٣٦ ؛ ٥/ ٢٤٣ ، ٢٧٢ .

(٢) التنبيه ، ص٢ .

(٣) انظر مثلا : التنبيه ، ص١٣٣ ، ١٧٦ ، ٢٧١ .

(٤) اكتشاف نسخة فريدة من التعيين للخلفاء الماضين ، ص١١ .

(٥) المرجع السابق ، ص١١-١٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص١٥ .

- فصلٌ في تقديرِ الوشائجِ التي بين (المروج) وبين الكتابِ الذي سَبَقَهُ في السِّلسلة ، والوشائجِ التي بينه وبين الكتابِ الذي لَحِقَهُ فيها :

أوَّلُ كتابَيْن متتابعَيْن انتهيا إلينا من كُتُبِ السِّلسلة المذكورة هما : (التنبيه والإشراف) ، و(التَّعيين للخلفاء الماضين) . وقد صار تحت مقدورنا أن نَسْتَأْنِسَ بهذا المثالِ العمليِّ في تقديرِ الوشائجِ التي بين (المروج) وبين الكتابِ الذي سَبَقَهُ في السِّلسلة - أعني : (الأوسط) - والوشائجِ التي بينه وبين الكتابِ الذي لَحِقَهُ فيها - أعني : (فنون المعارف) - قياسًا على (التنبيه) و(التعيين) .

فأقول :

١- (فنون المعارف) أصغرُ حجمًا من (مروج الذهب) ، و(مروج الذهب) أصغرُ حجمًا من (الأوسط) .

٢- (فنون المعارف) مبنيٌّ على (المروج) ومدخلٌ إليه ، وكذلك القولُ في (المروج) بالنِّسبة إلى (الأوسط) . ودَرْسُ كُلِّ كتابٍ من هذه الكُتُب باعثٌ على دَرْسِ الكتابِ الذي قبْله .

٣- لَئِنْ كانت عباراتُ (التعيين) مُطابِقَةً لعباراتِ (التنبيه) ، فإنَّ عبارات سائر الكُتُب - ومنها : (فنون المعارف) ، و(مروج الذهب) ، و(الأوسط) - مختلفةً فيما بينها . والسَّببُ أنَّ ما أوْرَدَهُ المسعوديُّ في (التعيين) هو - عنده - مِمّا لا يسعُ تركُه . وقد ذَكَرَ في (التنبيه) أسماءَ الكُتُب التي سَبَقَتْه ، ثمَّ قال : "وكلٌّ واحد من هذه الكُتُب تالٍ لما قبْله ، ومبنيٌّ عليه ، وخَصَصْنَا كُلَّ واحدٍ منها بِتَلاقينَ وعباراتٍ مِمّا لم نَخْصُصْ به الآخر ، إلّا ما لا يسعُ تَرْكُه"[1] .

٤- رُبَّما وُجِدَ في كُلِّ كتابٍ من الكُتُبِ المذكورة ما لا يوجَدُ في غَيْرِه ، وآيَةُ

(١) التنبيه والإشراف ، ص٩٧ .

ذلك قَوْلُ المسعوديِّ في (المروج) : "[...] ما ضمَّنَّاهُ كُلَّ كتابٍ منها لَمْ نَتَعَرَّضْ لِذكْرِهِ في الآخَرِ ، ولو كان كذلك لَم يَكُن بينها فرق ، وكان الجميعُ واحداً"[1] .

٥- كلُّ واحد من الكُتُبِ المذكورة مُشتَمِلٌ على قِسمَيْنِ كبيرَيْن : أحدُهُما فيه الجغرافيةُ وتاريخُ الأُمَمِ غَيْرِ الإسلاميّة ، والآخَرُ فيه تاريخُ أمّةِ الإسلامِ من لَدُنْ مَوْلدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عَصْرِ المسعوديّ . وأمّا (التعيين) فقد اكتفى فيه المسعوديُّ بالقِسْمِ الأخيرِ وَحْدَه ، وذلك لِصِغَرِ جِرْمِه ، واشتماله على ما لا بُدَّ من عِلْمِه .

٦- رُبَّما أَحَالَ المسعوديُّ في مَوَاطِنَ منَ (المروج) على (أخبار الزّمان) ، وتَجاوَزَ (الأوسط)[2] ، وهذا أمرٌ مستغرَبٌ ، باديَ الرأي . بَيْدَ أنَّهُ قد لاحَ لي وَجْهُ ذلك ، قياساً على صَنِيعه في (التعيين) . وقد غَلَبَ على ظَنّي أنَّهُ أشارَ إلى المَوَاطِنِ المذكورة - بأعيانها - في (الأوسط) ، وأنَّهُ قد أحالَ فيه - أيضاً - على (أخبار الزمان) . ودليلُ ذلك أنَّ جُلَّ إحالاتِ المسعوديِّ في (التعيين) إنّما كانت على الكتابِ الذي سَبَقَه مباشرةً - أعني : (التنبيه والإشراف) - ولكنَّه أحالَ مَرَّةً على (أخبار الزمان) نفسه[3] ، وأَحالَ أُخْرَى على (الاستذكار)[4] . فلمّا فَحَصْتُ عن المَوْضِعَيْنِ المذكورَيْن ، وجدتُّه قد أشارَ إليهما في (التنبيه والإشراف) ، وأحالَ هناك على مِثْلِ ما أحالَ عليه في (التعيين)[5] ، بل إنّي وجدتُّه قد أشارَ إلى الأوَّلِ منهما في كتابِ (المروج) نفسه ، وأحالَ هناك على كتابَيْه : (أخبار الزمان) و(الأوسط)[6] ، فدَلَّ ذلك على أنَّه قد أَشْبَعَ القولَ في ذلك في كتابِ (أخبار الزمان) وحدَه .

(١) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ٥٨ .
(٢) انظر مثلا : مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ١/ ٣٨ ، ٦٦ ، ٩٢ .
(٣) اكتشاف نسخة فريدة من التعيين للخلفاء الماضين ، آخِرِ كتب المسعودي ، ص١٢ .
(٤) المرجع السابق ، ص١٢ .
(٥) انظر : التنبيه والإشراف ، ص٢٩٧ ، ٣٠١ .
(٦) انظر : مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٣/ ٩٣ .

- فصلٌ في التَعريف بكتابِ (وصل المجالس) الذي كان المسعوديُّ يريد أن يجعله تاليًا لكتاب (المروج)، ثمّ بَدَا له، فعَدَلَ عن إدخاله في السّلسلة:

استَظْهَرْتُ أنَّ المسعوديَّ حين شَرَعَ في وضعِ كتابِ (مروج الذّهب) كان يريد - ابتداءً - أن يجعله كتابًا وجيزًا يَخْتِمُ به سلسلةَ كُتُبه التاريخيّة التي كان قد بَدَأَها بكتاب (أخبار الزمان)، وثَنّى بالكتابِ (الأوسط). وكأنّه كان يريد أن يَجعلَ السّلسلةَ المذكورةَ مشتملةً على ثلاثة كُتُب: أحدُها بسيط، والثاني وسيط، والثالث وجيز، كما صَنَعَ - بَعْدَهُ - الواحديُّ في التفسير، والغزاليُّ في الفقه، والسُّبكيُّ في طبقات الشافعيّة، وغيرهم.

ولقد كان المسعوديُّ يَعُدُّ كتابَ (أخبار الزمان) كتابَه (الأعظم)[١]، ثمَّ سمَّى الكتابَ الذي تلاه (الأوسط) (ومجرَّدُ هذا الاسم يُغني عن البيان)، ثمَّ عزَّزهما بكتاب أصغرَ منهما جِرْمًا، هو: (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وقد بَيَّنَ غرضَهُ من وضعِ هذا الكتاب الثّالث في قوله: "فرأينا إجمالَ ما بسَطناه، واختصارَ ما وسطناه، في كتابٍ لطيف"[٢]، والمرادُ باللطافة: الصِّغَر.

وقد ذَكَر في غيرِ ما موضعٍ من (المروج) أنّه اشترط فيه على نفسه الاختصارَ والإيجاز[٣].

ثمَّ إنّه يُستأنس - في هذا المَقام - بِلُغَةِ المسعوديِّ التي يُعَبِّرُ بها عن المراتبِ المختلفة.

وتأمَّلْ - مثلًا - ما ذَكَرَهُ في كتابِ (التنبيه والإشراف) - في سياق الكلامِ على أصناف الاجتماعات الإنسانيّة - حيث قال: "[...] وأيُّها عُظمى، وأيُّها وُسْطى، وأيُّها صُغرى"[٤]!

---

(١) مروج الذهب (نشرة پلا)، ١/ ١٠.
(٢) مروج الذهب (نشرة پلا)، ١/ ١٠.
(٣) انظر مثلا: مروج الذهب (نشرة پلا) ٢/ ٢٠؛ ٤١٦-٤١٧؛ ٤/ ١٩٠؛ ٥/ ٢٤٣.
(٤) التنبيه والإشراف، ص١١٧.

هذا ، وإنَّ مِن عادةِ المسعوديِّ أنْ يَعْدِلَ عن بعضِ رأيه إذا رأى غيرَه خيرًا منه . وقد انْقَدَحَ في ذهنه حين شارَفَ الفراغَ من تأليفِ (المروج) أن يُتْبِعَهُ بكتابٍ آخَرَ يكون تاليًا له في السّلسلة .

ولَم يكن مهتمًا بحجم كتابه المُرتقَب بقدر ما كان مهتمًا بنَمَطه ، وذلك أنّه أراد أنْ يَتَخَفَّفَ فيه من النَّظْمِ والتّرتيب ، وأنْ يُرْخِيَ العنانَ لقَلَمه ليُدَوِّنَ ما يَسْنَحُ له من عيونِ الأخبار وفنونِ الآثار ، وكأنّه أراد أن يجعلَ الخِتامَ الجديدَ للسّلسلة "صَيْدًا" للأخبار ، و"كشكولًا" من الآثار .

والكتابُ المذكورُ هو كتابُ (وَصْل المجالس) ، وقد كشفَ المسعوديُّ عن رغبته في تأليفه ثلاثَ مِرارٍ في أواخِرِ (المروج) :

- أمّا المرّةُ الأولى : ففي نهايةِ البابِ الذي عَقَدَهُ لذكرِ خلافة المنتصر بالله[١] . ويَظْهَرُ أنّ الفكرةَ قد انْقَدَحَتْ في ذهنه قريبًا من ذلك الوقت ؛ إذْ لا يبدو أنّه كان قد استَقرَّ - حينها - على تسميةٍ تُناسِبُ كتابَه الجديد .

- وأمّا المرّةُ الثانية : ففي خِلالِ البابِ الذي عَقَدَهُ لذكرِ خلافة المقتدر بالله[٢] . وقد دعا المسعوديُّ ربّه أن يُفْسِحَ له في البقاء ، ويَمُدَّ له في العمر ، ويُسْعِدَه بطول الأيام ، فيُعقبَ تأليفَ (المروج) بتأليفِ كتابه المنتظَر . وكانت الفكرةُ - حينها - قد استوَت ، وكان العنوانُ قد تَقَرَّر أمرُه .

- وأمّا المرّةُ الثالثة : ففي نهايةِ البابِ الذي عَقَدَهُ لذكرِ خلافة المطيعِ لله[٣] . وقد كَرَّرَ المسعوديُّ فيها دعاءَ رَبِّه أن يُطيلَ عُمرَهُ حتّى يؤلِّفَ كتابَه التّاليَ لكتاب (المروج) ، كما كَرَّرَ ذِكْرَ عنوانِ الكتاب .

(١) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ٥٨ .
(٢) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ٢٠٤ .
(٣) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ٢٧٣-٢٧٤ .

وقد يسَّرَ الله للمسعوديِّ بلوغَ أَرَبه، فألَّفَ - بالفعل - كتابَ (وصل المجالس)، وآيةُ ذلك: قولُه في كتاب (التنبيه والإشراف): "وقد ذكرنا في الأخبار المعروفة بالمسعوديَّات - التي نُسِبَتْ إلينا - وفي كتاب (وصل المجالس) جُمَلًا من أخبار مَن سمَّينا من وُلَاة الأندلس، وسياساتهم، وحروبهم مع مَن يُجاورهم"[1].

هذا، وقد عَدَلَ المسعوديُّ عن رأيه مَرَّةً أخرى، وبَدَا له، فرأى أن يُخْرِجَ كتابَ (وصل المجالس) من السِّلسلة التاريخيَّة؛ من أجلِ أنَّه ليس من نَمَطها، وذلك أنَّ المسعوديَّ قد عاوَدَهُ الاهتمامُ بالحجمِ والنَّظم. فألَّفَ كتابَ (فنون المعارف) على نَمَط (المروج) - وإنْ كان أصغرَ منه حجمًا - وجَعَلَه الرَّابعَ في السِّلسلة بدلًا من (وصل المجالس). ثمَّ تَسلسلَ الأمرُ، فألَّفَ كتابًا خامسًا على ذلك النَّمط، ثمَّ كتابًا سادسًا، ثمَّ كتابًا سابعًا، ثمَّ كتابًا ثامنًا، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُه.

- فصلٌ في ذكر السبب الفعليِّ الذي بَعَثَ المسعوديَّ على تقريرِ نسخةٍ أخرى من (مروج الذهب) في سنة ٣٤٥ للهجرة:

أحالَ المسعوديُّ - غيرَ مَرَّةٍ - في "التنبيه والإشراف (على (المروج)[2]. وقد صرَّحَ في بعضِ تلك المَواطنِ دونَ بعضٍ بأنَّه يَقْصدُ النُّسخةَ الأخيرةَ من (المروج)، وهي النُّسخةُ التي قرَّرَ أمرَها في سنة ٣٤٥، وهي أضعافُ النُّسخةِ المؤلَّفة في سنة ٣٣٢ (وهذه النُّسخةُ القديمةُ هي النُّسخةُ المتداوَلَةُ اليوم).

فلمَّا فَحَصْتُ عن الأمر، تَبَيَّنَ لي أنَّ إحالات المسعوديِّ كانت على النُّسْخَة الأخيرةِ من الكتاب، وإنْ لم يُصَرِّح بذلك دائمًا. وتأمَّلْ - مثلًا - ما أشار إليه في (التنبيه) من خَبَرِ المُوبَذ الذي قَتَلَهُ الخليفةُ الرَّاضي بالله، فإنَّه أحالَ في المَوْطنِ المذكورِ على أخبار الرَّاضي من كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر)[3]. وليسَ في نسخةِ

(١) التنبيه والإشراف، ص٣٣٣.

(٢) انظر مثلًا: التنبيه والإشراف، ص٦٠، ص٨٦، ص٩٤، ص٩٧، ص١٠٥، ص١٠٧، ص١١٠-١١١، ص ١٤٤، ص ١٤٥، ص١٥٥، ص ١٥٩، ص١٦٨، ص١٦٩، ص١٧٥، ص٢١٣، ص ٣٢٩، ص ٣٩٩، ص ٤٠٠.

(٣) التنبيه والإشراف، ص١٠٤-١٠٥.

(المروج) المتداوَلة شيءٌ ممّا ذَكَرَه ، فدلَّ ذلك على أنّه مذكورٌ في النُّسخة الأخيرة .

وليس (المروج) في هذا بِدْعًا من مؤلَّفات المسعوديّ ، فإنّه لا يَعْتَدُّ إلّا بإبرازاتها الأخيرة ، وآيةُ ذلك : أنّه نَصَّ على أنَّ النُّسخةَ الأخيرةَ من (التنبيه والإشراف) هي النُّسخةُ المُعَوَّلُ عليها دون المتقدّمة[١] .

فإنْ قيل : لِمَ أعادَ المسعوديُّ تأليفَ (المروج) بعد مُضِيِّ سنينَ متطاولة على فراغه منه ، وبعد أن استفاضتْ نُسْخَتُهُ القديمة وَكَثُرَتْ في أيدي النّاس ، كما ذَكَرَ هو نفسُه[٢]؟

قلت : ليسَ الباعث على ذلك ما استجَدَّ للمسعوديّ من العِلْم في خلال تلكَ السِّنين ، فما أيْسَرَ أنْ يَضَعَ كتابًا مُستقلًا مُسْتَأْنَفًا يُضَمِّنُه ذلك ، لو أنّه أراد! وليس الباعث أنّه أراد إصلاحَ بعضِ الأخطاء التي كان قد وقع فيها ، وإلّا لكان أَوْلَى لَه أنْ يبدأ بإصلاح أخطاء (أخبار الزمان) و(الكتاب الأَوْسَط) لتَقَدُّمهما على (المروج) واشتمالهما على جُلِّ ما فيه وأكثر . ثمَّ إنّه لو كان إنّما أراد مُجَرَّدَ الإصلاح ، فما بالُهُ جَعَلَ هذه النُّسخةَ الجديدةَ من (المروج) أضعافَ النُّسْخَة القديمة؟!

والحقُّ أنَّ إقبالَ النّاس على (المروج) في حياة المسعوديّ لَم يَحْمِلْهُم على الإقبال المُتَوَقَّع على كتابَيْه الكبيرَيْن : (أخبار الزمان) و(الأوسط) . وقد كان المسعوديُّ كثير الشَّكْوَى من أهلِ زمانه ، وكان يرى أنّهم قد غَمَطُوا حَقَّه . وقد أَفْضَى به ذلك إلى تسليةِ نفسه بأنَّ كبارَ النّاسِ إنّما يُصَنِّفُون الكُتُبَ ويُدَوِّنون العلومَ لأَهْلِ الإنصاف دون غيرهم[٣] . وقد كَرِهَ المسعوديُّ أنْ يَبْقَى جُلُّ ما تَعِبَ في جَمْعه من علوم ومعارفَ محجوبًا عن أهل الإنصاف ، فرأى أن يَستغلَّ شُهرةَ اسمِ كتابه (المروج) ، فيؤلِّفَ كتابًا جامعًا مانعًا يُضَمِّنُه جُلَّ علومه ، وإنْ كان هذا الكتابُ الجديدُ قد لا يشارِكُ (المروج)

(١) التنبيه والإشراف ، ص٤٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص٧٦-٧٧ .

القديمِ إلّا في الاسمِ، وفي الأمور التي لا يسعُ تركُها. وإنّي أرى أنّ الكتابَ الجديدَ شبيهٌ - على التّحقيق - بكتابِ (أخبار الزمان). ومِنْ وجوه الشَّبَه الخفيّة بينهما: أنّ المسعوديَّ قد رتّبَ (أخبار الزمان) على ثلاثين فنًّا[١]، ورتّبَ (المروج) الكبيرَ على خمسة وستّين وثلاثمائة جُزْءٍ[٢]. ولا شكَّ أنّ المسعوديَّ قد جعل عَدَدَ فنون (أخبار الزمان) كعددِ أيام الشهر، وجعل عَدَدَ أجزاءِ (المروج) الكبير كعددِ أيّام السّنة الشّمسيّة!

ولعلَّهُ أراد أنْ يَقرأَ الأشرافُ مِنَ الملوك وأهل الدّراياتِ جزءًا من أجزاءِ (المروج) كلَّ ليلة، فيفرُغوا من قراءة الكتابِ كُلِّه مع انقضاء الحَوْل!

نعم، لا رَيْبَ أنّ كلَّ فنٍّ من فنون (أخبار الزمان) أضخمُ بكثيرٍ من نظيره من أجزاء (المروج) الأخير. وآيةُ ذلك: أنّ المسعوديَّ ذَكَرَ (أخبار الزمان) في صدْرِ "التنبيه والإشراف" - المؤلَّف بعد (المروج) الأخير - وَعَدَّهُ كتابَهُ الأكبر[٣].

هذا، وقد أَدْرَكَ المسعوديُّ أنّ عِظَمَ حَجْمِ كتابَيْه: (أخبار الزمان) و(الأوسط) قد قَعَدَ بجُلِّ النّاسِ عن الإكثار مِنْ نَسْخهما، فحاوَلَ - رحمه الله - تدارُكَ ذلك بأنْ جَعَلَ أجزاءَ (المروج) الجديد مُسْتَقلاً بعضُها عن بعض، كما يَدُلُّ عليه وَصْفُهُ له في (التنبيه)، حيث قال: "وهو مُجَزَّأٌ على ثلاثمائة وخمسة وستين جُزْءًا، فإذا اجتمع كانت سمتَه: (كتاب مروجِ الذهب ومعادن الجوهر)، وإذا افْتَرَقَ كان كُلُّ جُزْءٍ منه كتابًا قائمًا بنفسه، مُضافًا إلى ما اشْتَمَلَ عليه وأُفْرِدَ له"[٤].

أقول: كأنّ المسعوديَّ - رحمه الله - كان يقولُ إنّ مَن أَحَبَّ الاكتفاءَ بنَسْخِ بعضِ تلك الأجزاء دون غيرِها فَلَهُ ذلك، وإنّ مَن سَمَتْ هِمَّتُه إلى نَسْخِ الأجزاءِ كُلِّها، فذلك خَيْرٌ وأَوْلَى!

---

(١) انظر مثلًا: مروج الذهب (نَشرة پلا)، ج١، ص١٤٨، ص١٥١.

(٢) انظر مثلًا: التنبيه والإشراف، ص١١١.

(٣) المرجع السابق، ص٢.

(٤) المرجع السابق، ص١١١.

- فصلٌ في ذكرِ بعضِ الأدلّة القطعيّة التي تُفحِمُ مَن قد يُشكِّكُ في تأليفِ المسعوديِّ لتلك النُّسخة الأخيرة من (المروج) :

مِن دأْبِ بعضِ النّاس أن يُشكّكُوا في ما لَم يُحيطوا به خُبْرًا . وربّما خُيّلَ إلى بعضهم أنّ المسعوديَّ لم يؤلّف النُّسخةَ الأخيرةَ مِن (المروج) أصلًا ، وأنّه كان من ذوي الادّعاءاتِ العريضة!

والحقُّ أنّ هذا التخيُّلَ فاسدٌ جدًّا ، فإنَّ النُّسخةَ المذكورةَ قد وَصَلَتْ إلى أقصى الغَرْبِ الإسلاميّ - إلى الأندلسِ نفسِها - وتداولَها النّاسُ إلى القرنِ السّادسِ الهجريّ ، على أقلّ تقدير .

وإليك مِصْداقَ ذلك :

- قال الزُّهْريُّ في كتابِ (الجعْرافية)[1] : "وقد ذَكَرَ المسعوديُّ في كتابِ (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، وفي كتابِ (فنون[2] المعارف) هذا الجبلَ ، وتلوُّنَه ، وخروجَ النّيلِ منه . فمَن أرادَ مطالعةَ ذلك ، فَلْيَطْلُبْهُ في النُّسخةِ الكُبرى من (مروج الذهب) إن شاء"[3] .

- وقال الزُّهْريُّ في موطنٍ آخَرَ من كتابِ (الجعرافية) له : "وقد ذَكَرَ المسعوديُّ في النُّسخةِ الكبرى من (مروج الذهب) أنّ قومًا دخلوا هذه المطالب . . ."[4] .

- وقال في موطنٍ ثالث : "وزَعَمَ المسعوديُّ في النُّسخةِ الكبرى من (مروج الذهب) أنّ هذا الشَّرَر . . ."[5] .

---

(١) بالعين المهملة ، على المشهور عن الأندلسيين . انظر : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص٣٦٩ .

(٢) في المطبوع : "عنوان" ، وهو تحريف .

(٣) كتاب الجعرافية ، ص٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص١٣١ .

قلت : الزُّهْريُّ - رحمه الله - جغرافيٌّ أندلسيٌّ من أهلِ القرنِ السّادس الهجريِّ . وحاصلُ كلامه : أنَّ النُّسخةَ الكُبرى من (المروج) كانت - حينئذٍ - متوافرةً بالأندلس ، قريبةَ المُتَنَاوَل .

هذا ، وقد أَثْبَتَ الوقوفُ على نُسخةِ (التّعيين للخلفاء الماضين) أنَّ المسعوديَّ ثقةٌ في ما يذكُرُه من أمرِ كُتُبه ، وفي إحالاته في بعضِها على بعضٍ . ولم يكُن (المروج) و(التنبيه) يُتيحان لنا المقابلة ، فإنّه يُحيلُ فيهما على كُتُبٍ له مفقودة . نعم ، هو يُحيلُ في (التنبيه) على (المروج) ، ولكنّه يَقْصدُ بذلك إبرازَتَه الأخيرةَ - كما تَقَدَّمَ ذكرُه - وفيها كثيرٌ ممّا ليس في الإبرازة المتداوَلة اليوم!

فلمّا يسَّرَ الله الوقوفَ على نُسخةٍ خَطِّيَّةٍ من (التّعيين للخلفاء الماضين) ، وجدتُ فيها اثنتَيْ عشرةَ إحالةً على "التنبيه والإشراف" ، ووجدتُ أنَّ كلَّ واحدةٍ منها مذكورةٌ في حاقِّ مَوْضِعِها من (التنبيه)[١] ، تمامًا كما ذَكَرَ إمامُ المؤرِّخين أبو الحسنِ المسعوديُّ ، رحمه الله تعالى!

- فصلٌ في التعريفِ المقتضَب بعددٍ من نشراتِ المَشَارِقَة لكتابِ (المروج) :

نَشَرَ المَشَارِقَةُ كتابَ (المروج) نَشَرَاتٍ عديدةً ، قديمًا وحديثا .

فأمّا نَشَرَاتُهم الأولَى ، فكانتْ على النَّمَطِ القديمِ : نَمَطِ مَطْبَعَةِ بُولَاق ، وأخَوَاتِها . وإليكَ ذكْرَ النَّشَرَاتِ التي وَقَفْتُ على أجزاءٍ منها :

- أوّلًا : نَشرة مطبعة بولاق بالقاهرة ، سنة ١٢٨٣ للهجرة ، في جُزْءَيْن . وقد طُبِعَ فيها (المروج) مُفْرَدا .

- ثمَّ : نَشرة المطبعة الأزهريّة المصريّة ، سنة ١٣٠٢ للهجرة ، في ثلاثة أجزاء . وقد طُبِعَ فيها (المروج) على هامشِ الأجزاءِ الأُولَى مِن كتابِ "نَفْح الطِّيب" للمَقَّرِي .

---

(١) اكتشاف نسخة فريدة من التعيين للخلفاء الماضين ، آخرِ كتب المسعودي ، ص١١-١٥ .

- ثُمَّ : نَشرة المطبعة الأزهريّة المصريّة ، سنة ١٣٠٣ للهجرة ، في جُزْءَين . وقد طُبِعَ فيها كتابُ "روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر" لابن الشِّحْنَة ، على هامشِ (المروج) .

- ثُمَّ : نَشرة المطبعة المجاورة لمسجد القُطب الدَّرْدير ، سنة ١٣٠٣ للهجرة ، في عشرةِ أجزاء . وقد طُبِعَ فيها (المروج) على هامشِ الأجزاءِ العشرةِ الأُولَى مِن كتابِ "الكامل" لابنِ الأثير .

- ثُمَّ : نَشرة المطبعة البهيّة المصريّة ، سنة ١٣٤٦ للهجرة ، في جُزْأين . وقد طُبِعَ فيها (المروج) مُفْرَدًا .

وقد وجدتُ ذِكْرًا لنشرةٍ أُخْرى صَدَرَتْ في القاهرة سنةَ ١٣١٣ للهجرة[1] ، ولمْ أقفْ عليها بعد .

هذا ، وقد نَشَرَ الكتابَ الشّيخُ محمد محيي الدين عبد الحميد في دارِ الرَّجاء للطّبع والنّشر ، سنةَ ١٣٥٧ للهجرة ، في أربعةِ أجزاء ، وقد قال في خاتمةِ هذه الطَّبْعَة : "قد انتهيْتُ - بحمد الله تعالى - من مُراجعة أصول هذا الكتابِ وترقيمه وضَبْطِ غريبه ، في مُدَّة ثمانية أشهُر ، آخرُها ختامُ شَهرِ المُحَرَّمِ الحرامِ مُفْتَتَحَ عامِ ١٣٥٧ مِن الهجرةِ النَّبَوِيّة"[2] . قلت : لا يَخفَى أنَّ المُدَّةَ المذكورةَ لا تَكْفِي لإخْراجِ كتابٍ في حَجْمِ (المروج) ، بل إنّها لا تَكْفِي لِجمْعِ نُسَخه الخَطِّيَّة . هذا ، وإنَّ المآخذَ على مَنْهَجِ الشَّيْخِ محمد محيي الدين عبد الحميد في نَشْرِ الكُتُب معروفة ، وقد لَخَّصَها الأستاذُ محمود محمد الطَّنَاحي ، حيث قال : "ولقد كان من أَشَدِّ ما رُمِيَ به الشَّيخُ ، في ميدان تحقيق النُّصوص : أنَّهُ أعادَ طَبَعات سابقةً عليه ، مِمّا أَخْرَجَتْهُ مطبعة بولاق ، ومطابعُ أوربا ، وأَنَّهُ لَم يَعْبَأْ بِجَمْعِ مخطوطاتِ الكتابِ الذي يَنْشُرُهُ ، وأنَّهُ لَمْ

(١) مروج الذهب (نشرة پلا) ، ١/ ٦ .
(٢) مروج الذهب (نَشرة دار الرَّجاء) ، ٤/ ٣٢٩ .

يُعْنَ بِصُنْعِ الفهارسِ الفَنِّيَّة الجامعة لمسائلِ الكتابِ المنشور . وهذا حقٌّ كُلُّه ، وإنّا نَعرفُ أنّ الإخلالَ بجمعِ مخطوطاتِ الكتابِ ، وفهرستَه فهرسةً كاملة ، لا يُقْبَلُ في علْم تحقيقِ النُّصوص ، ولكنَّ هذا الإخلالَ لا ينبغي أنْ يَطْمِسَ تاريخَ الرِّجال ، ويَمْحُوَهُ مَحْوًا"[1] . هذا ، وقد حاولَ الشَّيخُ أنْ يَجْعَلَ الطَّبعةَ الثَّانيةَ - الصَّادرةَ عن مطبعة السَّعادة ، سنةَ ١٣٦٧ للهجرة - خيرًا من الأُولى ، فإنّه قال في مقدّمتها : "رجعتُ إلى الكتابِ ، وأطَلْتُ النَّظَرَ فيه ، وراجعْتُهُ مراجعةً أدَقّ ، وحَرَصْتُ أنْ أُراجعَهُ على نُسَخٍ لم تكنْ تيَسَّرتْ لي في المرّةِ السَّابقة ، فجاءَ أدَقَّ وأصحَّ"[2] . ومع ذلك ، فإنَّ على هذه الطَّبعَة - أيضًا - مآخذَ عديدة ، من أغْرَبِها أنَّ المسعوديَّ قال : "ورأيتُ سِنانَ بنَ ثابت ابنِ قُرَّةَ الحرَّانيَّ ، حين انْتَحلَ ما ليس من صناعته ، واستَنْهَجَ ما ليس من طريقته ، قد ألَّفَ كتابًا ..." ، فجعَلَ المُحقّقُ هذا النَّقْدَ مُوَجَّهًا إلى ثابت نفسه - لا إلى ولَدِه سِنان - وآيَةُ ذلك : أنّه وَضَعَ عُنوانًا لهذه الفقرة ، هو : "نَقْدُ المؤلّف لثابت بن قُرَّة"[3]! وقد تابَعَهُ على هذا العُنْوانِ الخاطئ : عَدَدٌ من ناشري (المروج) ، مِنْ لَدُن نَشرة دار الأندلس[4] التي قدّمَ لها ووَضَعَ فهارسَها : يوسف أسعد داغر - سنةَ ١٣٨٥ للهجرة - إلى هَلُمَّ جرًّا!

هذا ، وقد تتالَتْ نَشَراتُ (المروج) - دونَ تحقيقٍ يُذْكَر - في كثيرٍ مر الشَّرقيّة ، ولَستُ أرى التَّكثُّرَ بتَفْصيلِ ذلك . على أنَّهُ ينبغي التَّنبيهُ ... مر الأثَرِ الواضحِ لنَشرة الشيخِ محمَّد محيي الدين عبد الحميد في عدد سر ال التِّجاريَة التي أغارَتْ على عَمَله ، فكرَّرتْ أخطاءَه ، حتّى إد ... سو أو ي اسمَ الشيخِ من خاتمة طبعته ، كما تَجِدُهُ - مثلًا - في نشـ

(١) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ، ص٧١ .
(٢) مروج الذهب (نشرة مطبعة السّعادة) ، ١/ ٥ .
(٣) المرجع السابق ، ١/ ١٦ .
(٤) مروج الذهب (مصوّرة : مؤسّسة دار الهجرة) ، ١/ ٢٥ .
(٥) انظر : مروج الذهب (نشرة المكتبة العصريّة) ، ٤/ ٢٢٥-٢٢٦ .

على أنَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لي - بَعْدُ - الوقوفُ على نَشرةِ عفيف نايف حاطوم الَّتي أَخْرَجَتْها دار صادر في بيروت ، وإنّما رأيتُ منها بِضْعَ صفحات ، وقد استظهرتُ مّا رأيتُه أنَّ المُحقِّقَ اعتمَدَ على نَشرةِ المستشرق شارل بِلا - الآتي ذِكْرُها - لأنّي وجدتُ علامات التَّرقيمِ عندهما مُتطابِقةً في الأَغْلَبِ الأَعَمِّ ، إلّا أنه رُبَّما خالَفَهُ في القراءة في مواضِعَ ، ورُبَّما زادَ عليه في الحواشي ، والظَّاهِرُ أنّه قابَلَ بين نَشْرَةِ بِلا وبين نَشَرات أُخْرَى .

- فصلٌ في التعريفِ المقتضَب بحركةِ نشرِ المستشرقين لكتابِ (المروج) :

نَشَرَ بعضُ المستشرقين - في البداية - قِطَعًا مُختارةً من (المروج) ، مثل : جِلْدَمَايِسْتَر - صاحبِ كتابِ (جامعِ القصصِ العربيَّة في الأخبار الهنديّة) - الذي نَشَرَ سنةَ ١٨٣٨ للميلاد البابَ السّابِعَ[١] المُشْتَمِلَ على "ذِكْرِ جُمَلٍ من أخبارِ الهند وآرائها وبدءِ ممالكِها"[٢] .

بل إنَّ اشپرنجر شَرَعَ في ترجمةِ (المروج) إلى اللغة الإنجليزية قبل أن يُحقَّقَ الكتابُ نفسُه ، وقد صَدَرَ الجزءُ الأوّل من تَرجمتِه المذكورةِ سنةَ ١٨٤١ للميلاد .

ثُمَّ اختارَت الجمعيَّةُ الآسيويّةُ بباريس - سنةَ ١٨٥٢ للميلاد - المستشرقَ الفرنسيَّ درنبُرغ - الذي حَقَّقَ (كتابَ سيبويه) فيما بعد - من أَجْلِ العملِ على تحقيقِ (المروج) كُلّه ، ونَشْرِه . وقد شَرَعَ - بالفعل - في نَسْخِ الكتابِ والمقابلةِ بين نُسَخِه التي أُتيحَتْ له ، ثُمَّ عاقَتْهُ عوائقُ عَن إكمال التَّحقيق[٣] . فَخَلَفَهُ المستشرقان الفرنسيَّان بَرْبِيِي دي مينَار وپاڤيه دي كُرْتاي ، وَحَقَّقَا الكتابَ وتَرْجَماهُ إلى الفرنسيّة ،

(١) تصحَّفَ في نشرته إلى : "الرّابع" .
(٢) جامع القصص العربيّة ، ج١ ، (القسم العربي) ص١ .
(٣) انظر : مروج الذهب (نَشرة دي مينار) ، ج١ ، المقدّمة الفرنسية I . وقد ترجم مُقدّمةَ الجُزْءِ الأوّل : يوسف أسعد داغر ، وأَوْرَدَها في صَدْرِ نَشرةِ دار الأندلس . انظر : مروج الذهب (مُصوَّرة : مؤسَّسة دار الهجرة) ، ١/ ٤-٥ .

ونَشَراهُ في تسعة أجزاء ، صَدَرَتْ بين سَنَتَيْ : ١٨٦١ وَ١٨٧٧ للميلاد . على أنَّ دي مينار قد تَفَرَّدَ بالْعَمَلِ بعد الأجزاء الثلاثة الأُولَى ؛ لأنَّ زميلَه آثَرَ الاشتغالَ بإتمامِ أعمالٍ أُخْرى[١] . هذا ، وقد صَدَرَتْ في خلال ذلك نشرةُ بُولاق ، وقد وَقَفَ عليها دي مينار ، كما صَرَّحَ بذلك[٢] . وقد وَصَفَ المستشرقُ الفرنسيُّ المشهور شارل پلا هذه النَّشرةَ الباريسيَّةَ بأنَّها "محشُوَّة بالأَخطاء النَّحوية ، مشحونةً بالأَغلاط والتَّصحيفات والتَّحريفات ، مع ما للتَّرجمة الفرنسيَّة التي تُوازيها من قيمة أَدبيَّة وعلميَّة ؛ لأنَّها أَحسنُ من النَّص العربيِّ وأَجْوَد"[٣] . من أَجْلِ ذلك ، شَرَعَ في تَصحيحها ، وكان يُريدُ الرُّجوعَ إلى النُّسَخ الخَطِّيَّة الجديدة[٤] ، لكنَّه وَجَدَ أنَّ عَدَدَها "هائلٌ ، مُخيف ، كاسرٌ لأكثرِ الباحثين حَمِيَّةً ونشاطًا"[٥] . فَتَصَفَّحَ النُّسَخَ المحفوظةَ في المكتبة الوطنيَّة بباريس ، ثُمَّ أَجْمَعَ على تَرْكِ المُقابلة بين النُّسَخ ، وإنْ كان صديقُه الدكتور صلاح الدِّين المُنَجِّد قد أَرْسَلَ إليه نُسْخَتَيْن جديدتَيْن استفادَ منهما في عَمَلِه[٦] .

هذا ، وإنَّ نَشرةَ پلا تَفْضُلُ عامَّةَ النَّشَرات التي سَبَقَتْها . على أنِّي قد وجدتُ فيها عدداً من الأخطاء الفاحشة في قراءة النَّصِّ ، وفي التَّعليق عليه . وسأَكْتَفي بِذِكْرِ عشرة أمثلة تَدُلُّ على ما وراءَها ، وتَكْشِفُ عن القيمة الحقيقيَّة لهذه النَّشرة التي ما يزالُ يَعتمدُ عليها جُلُّ الدارسين . وقد اخترتُ شَطْرَ الأمثلة من جُمْلَة أَخْطاء پلا في القراءة ، وشَطْرَها الآخَرَ من جُمْلَة أخطائه في التَّعليق .

---

(١) مروج الذهب (نشرة دي مينار) ، ج٤ ، المقدِّمة الفرنسية VII .
(٢) انظر مثلًا : مروج الذهب (نشرة دي مينار) ، ج٩ ، المقدِّمة الفرنسية II-III .
(٣) مروج الذهب (نشرة پلا) ، ١/ ٥ .
(٤) ذكرى ألفيَّة المسعوديّ (بالإنجليزية) ، ص٤ .
(٥) مروج الذهب (نشرة پلا) ، ١/ ٦ .
(٦) المرجع السابق ، ١/ ٦-٧ .

وإليك الأمثلَة :

١- ذَكَرَ المسعوديُّ أنَّ بَحْرَ الأعاجم "مُدوَّرُ الشَّكْلِ إلى الطُّولِ ما هو" ، فعلَّقَ پلا قائلًا : "تدل هذه العبارة (ما هو) على أن المسعودي كان قد رسم خريطة في النص"[١]! فَلَيْتَ شِعْرِي ، ما الذي قد يَستنْتِجُه پلا من قول المسعوديِّ - في كتابَيْه الآخرَيْن : (التنبيه) و(التَّعيين) - إنّ الخليفةَ المُقتدر "كان ربْعَ القامة إلى القصَرِ ما هو"[٢]؟!

٢- أَوْرَدَ المسعوديُّ رسالةً فيها ذِكْرُ مناقب عليٍّ ، رضي اللهُ عنه . ومن جُملة ما ذُكِرَ فيها : "وأخُوهُ الشَّاري بنَفْسه[٣] يومَ مُؤْتَة" ، فعلَّقَ پلا قائلًا : "يُريدُ عَقيلَ بنَ أبي طالب"[٤]! قلت : قد أَبْعَدَ النُّجْعَةَ ، فلا يَخْفَى على مَن شَدَا شيئًا من السيرةِ النَّبَويّة أنّ المقصودَ هو : جعفرُ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه .

٣- نَجِدُ في نَشرة پلا قَوْلًا لِهارونَ الرّشيد في وَلَدِه المأمون ، وهو : "أمَا والله إنّي لأتعرّف في عبد الله حزم المنصور ونسك المهديّ وعزّ نفس الهادي ؛ والله لو شاء الله أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها" ، فعلَّقَ پلا قائلًا : "لعله يقصد بذلك النبوة (راجع أعلاه ، $ ٢٤٣٩) ، والله أعلم"[٥] . قلت : قد أحالَ پلا على قصّة لا علاقة لها بهذا السّياق ، ولعلَّ هارونَ الرّشيدَ لَمْ يَسْمَعْ بها قَطّ . وإنّما أراد الرّشيدُ بالرَّابعِ نَفْسَه ، وقد أخْطَأَ پلا خَطَأً فاحِشًا في فَهْمِ كلامه . هذا ، ولَمْ أُعَلِّقْ على التّصحيفاتِ الواقعة في هذا المَوْضِعِ مِن نَشرة پلا .

٤- نَجِدُ في نَشْرَةِ پلا - في بابِ خلافةِ المُعتصِم - ما هذا نصُّه : "وكان

---

(١) مروج الذّهب (نَشرة پلا) ، ١/ ١٤٢ .
(٢) التّنبيه والإشراف ، ص٣٧٧ ؛ اكتشاف نسخة فريدة من التعيين للخلفاء الماضين ، ص١٥ .
(٣) في نَشرة پلا : "الشّاري لنفسه" . قلت : في (تاج العروس) ، ٣/ ٣٦٤ : شَرَى بِنَفْسِه عن القَوْم - وفي (التّكملة) : للقَوْم - إذا تَقدَّمَ بين أيديهم إلى عدُوّهم فقاتَلَ عنهم" .
(٤) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٣/ ١٩٨ .
(٥) المرجع السابق ، ٤/ ٢١٣ .

المعتصمُ يأنَسُ بعليّ بن الجُنَيد الإسكافي، وكان عجيبَ الصُّورة عجيبَ الحديث، فيه سلامة أهل السواد"[١]. قلت: إنما هي "سَلَامَةُ أهلِ السَّواد". و"السَّلَامةُ" مُصطلحٌ كان شائعًا في القرنِ الرابع الهجريّ، وكانوا يريدون به: "الغَفْلَة"[٢]. وارجع إلى حكاياتِ الإسكافيّ التي ذُكِرتْ في (المروج)[٣] لتقفَ على صُوَرٍ من غَفْلَته وسلَامَته.

٥- ذكَرَ المسعوديُّ - في بابِ خلافة المتوكِّل - وفاةَ إسحاقَ بن إبراهيمَ بنِ مُصعبٍ. وقال: "وكان على بغداد"، فعلَّقَ پلا قائلًا: "كذا، والصواب، على ما يظهر: على شرطة بغداد"[٤]. قلت: قد نَصَّ المسعوديُّ نفسُه - في بابِ خلافة المعتصم - أنَّ عبدَ الله أخا بابَكَ الخُرَّميَّ حُمِلَ "إلى مدينة السَّلام، فَفَعَلَ به إسحاقُ بنُ إبراهيم أميرُها ما فُعِلَ ببابَك بسرَّ من رأى"[٥]. ولعلَّ پلا غَفَلَ عن انتقالِ عاصمةِ الخلافة من مدينة السَّلام بغداد إلى سُرَّ مَن رأى، في أيَّامِ المعتصمِ، والواثقِ، والمتوكِّلِ، والمنتصرِ، والمستعين، والمعتزّ، والمهتدي، والمعتمد.

٦- نَجدُ في نَشْرَةِ پلا - عند ذكْرِ بعضِ شُهداءِ الطالبيِّين - ما هذا نصُّه: "ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله المليء والدني"[٦]! قلت: إنّي لم أحتجْ إلى مُراجعة النُّسَخ الخَطِّيَّة لأُدْرِكَ أنّه قد وَقَعَ في الجملة المذكورة تصحيفٌ وتحريف، وأنَّ الصوابَ - بلا شكّ - هو: "المِلّيّ والذِّمّيّ". أرادَ المسعوديُّ: أنَّ المسلمين وأهلَ الذِّمَّة جزِعُوا لِقَتْلِ الطالبيِّ المذكور.

٧- نَجدُ في نَشْرَةِ پلا - عند ذكْرِ وفَيَات جماعة من أهلِ العلم في خلافة المستعين - ما هذا نَصُّه [...]: "وغَيْرُ هؤلاء ممّن أعْرَضْنا عن ذِكْرِه من شيوخِ المُحدِّثين

(١) مروج الذهب (نشرة پلا)، ٤/ ٣٤٦.
(٢) انظر مثلًا: نشوار المحاضرة، ١/ ٣٠.
(٣) مروج الذهب (نشرة پلا)، ٤/ ٣٤٦-٣٤٨.
(٤) المرجع السابق، ٥/ ١٤.
(٥) المرجع السابق، ٤/ ٣٥٦.
(٦) مروج الذهب (نشرة پلا)، ٥/ ٦٣.

ونَقَلة الآثار ممّن قد أتينا على ذكرهم من أوّل زمن الصحابة إلى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في سنة ستّ من كتابنا المترجَم بالأوسط"[1] . قلت : الصّواب : "في سنة سنة"! وقد يُفسدُ مثْلُ هذا التّحريف التّصوُّرَ عن كُتُب المسعوديّ المفقودة ، وذلك أنّ القراءةَ الصّحيحةَ دلّتْ على أنّ المسعوديَّ قد ذكَرَ وفَيات العلماء في (الأوسط) مُرَتَّبةً على السّنين ، وهذا يشيرُ إلى ما يُشْبهُ نظامَ الحوليّات!

٨- ذَكَرَ المسعوديُّ أَخْباراً تَتعلَّقُ بالخليفة المُعتمد وبابن أخيه المعتضد في الوقت نفسه ، فلَمْ يَفْهَمْ پلا ذلك ، ولَمْ يَسْتَطِع التّمييز ، بل جَعَلَ الكلامَ كُلَّه يدورُ حولَ المُعْتَضد دونَ المعتمد ، فَأَفْسَدَ المعنى - في نَحْو صفحتَيْن[2] - وشَوَّشَ ذهنَ القارئ ، حتّى إنَّه أَوْرَدَ في أَحَد المَواضع : " [...]أنْ يَنْصَرِفَ بالمُعْتَضد والمُفوَّض ابنه إلى بغداد"[3] ، ومن المعلومِ أنّ المُفَوَّضَ ابنُ المُعتَمد ، بل أنّ پلا نَفْسَهُ قد أَوْرَدَ - في مَوْضعٍ سابِق - ما هذا نَصُّه : "وبايَعَ المُعْتَمدُ لابنه جعفر ، وسمّاهُ المُفَوِّضَ إلى الله"[4]! .

٩- ذَكَرَ المسعوديُّ أنّ أُمَّ الخليفة المُعتَضد "يُقالُ لها ضرار" ، فعلَّقَ پلا قائلًا : "كذا ، وفي التنبيه ، ٣٢٠ : حقير"[5] . قلت : قد استَنْكَرَ پلا ما لا يُستَنْكَر! ولا عُذْر له ؛ لأنّه قد اطّلَعَ على كتابِ ابنِ السّاعي المنشورِ باسم : (نساء الخلفاء) ، بدليلِ أنّه أحالَ عليه في بعضِ الحواشي المُتَقَدّمَة[6] . وقد قال ابنُ السّاعي في كتابه المذكور : "ضرار والدةُ الإمامِ المعتضد : كانت جاريةَ الإمامِ المُوَفَّق [...] ولَدَتْ له الإمامَ المُعْتَضدَ بالله ، وكان اسمُها قبلَ ذلك : (خَفير)"[7]! هذا ، وقد وَقَعَ تصحيفٌ في اسمِ (خَفير)

(١) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ٨٠ .
(٢) المرجع السابق ، ٥/ ١٣٣-١٣٤ .
(٣) المرجع السابق ، ٥/ ١٣٣ .
(٤) المرجع السابق ، ٥/ ١١٩ .
(٥) المرجع السابق ، ٥/ ١٣٧ .
(٦) انظر : مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ٤٤ .
(٧) نساء الخلفاء ، ص١٠٤ .

في نَشْرَتَيْ (التَّنبيه والإشراف)، وقد سَلِمَتْ من ذلك نُسخةُ (التَّعيين للخلفاء الماضين)، بفضل الله.

١٠- نَجدُ في نَشْرَة بِلا - عند ذِكْرِ أَسْفَارَ بن شيرويَه - ما هذا نَصُّه: "فسيَّر المقتدرُ هارونَ بنَ غريب في الحال نحو قزوين"[1]. قلت: الصَّوابُ هو: "فسيَّر المقتدرُ هارونَ بنَ (غريب الخَال) نَحْوَ قزوين". وإنّما دُعِيَ غريبُ (الخالَ)؛ لأنّه كان أخا شَغَب - أُمِّ المُقتدِر بالله - فكان خالَ الخليفة. وهو مشهورُ الذِّكْرِ في التواريخِ العبّاسيّة[2].

- **فصلٌ في الإشارةِ إلى أنّ نُسَخَ (المروج) الخطّيّة أكثر ممّا ذكر بروكلمان وسزگين:**

يَقْتَضِي الإنصافُ أن نعترفَ بالفضلِ العَميمِ لكارل بروكلمان وفؤاد سزگين على عامّة المشتغلين بالتراث العربيّ الإسلاميّ، فلقد بذلا جهودًا مشكورةً لا يَقْوَى على مِثْلِها آحادُ النّاس. بَيْدَ أنّهما لم يستوعبا ذِكْرَ النُّسَخِ الخَطّيّة، بل فاتهُما ذِكْرُ عددٍ منها، وأخصُّ النُّسَخَ المُودعَةَ في خزائنِ الكُتُب بالبلاد العربيّة، وذلك أنّ منها ما لم يكُن قد فُهرِسَ في أيّامهما، ومنها ما لم يَقِفَا على ذكره في الفهارس التي اطّلعا عليها، ومنها ما لَعَلَّهُمَا وقفا عليه منسوبًا إلى غيرِ أصحابه أو مُضافًا إلى مجاهيل.

وَسَأضْرِبُ لذلك مَثَلَيْنِ يتعلّقان بكتابِ (المروج) الذي نحن بِصَدَدِ الكلام عليه:

- **أوّلهما**: أنّ في المعهد الموريتاني للبحث العلميّ قطعةً من (المروج) مكتوبةً على رقّ الغزال، ولعلّها أقدمُ نُسَخِ الكتابِ المعروفة اليوم. وقد تصفَّحتُها فوجدتُ فيها أشياءَ تتعلّقُ بالأبوابِ التي عَقَدَها المسعوديُّ لِذِكْرِ البيوتِ المعظّمة، وذِكْرِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وأيّامِ الخلفاءِ الراشدين بعده.

(١) مروج الذهب (نشرة بلا)، ٥/ ٢٦٢.

(٢) انظر مثلًا: التّنبيه والإشراف، ص٣٨٤، ٣٩١.

- **وثانيهما :** أنّي وجدتُ في (فهرس مخطوطات شنقيط ووادان) ذكْرًا لنُسخة من كتابٍ في التاريخ ، وقد قيل في الفهرس المذكور إنّها ناقصةُ الطَّرَفين مُختلَّةُ التّرتيب ، وإنَّ مؤلِّفَها مجهول[1] . فلمّا تصفَّحتُ الفهارسَ المتاحةَ على موقع المعهد الموريتاني للبحث العلمي ، وجدتُ المفهرسين قد ذكروا النُّسخةَ نفسَها ، وسمَّوْها : (تاريخ العباسيّين) ، وقالوا إنَّ مؤلِّفَها غيرُ مذكور ، وإنَّ بدايتَها : "وله مصنَّفاتٌ حسان في أنواعٍ من الفلسفة وفنون من الأخبار" ، ونهايتَها : "حمارٌ قد زَلِقَ ، ورمى بما عليه" . قلت : البدايةُ المذكورةُ منصوصةٌ في (المروج) ، في أخبارِ المعتضد بالله[2] ، وهي تتعلّقُ بأحمدَ بن الطَّيِّب السَّرَخْسيِّ - تلميذ الكِنْديّ - والنّهايةُ المذكورةُ منصوصةٌ - أيضًا - في (المروج) ، في أخبارِ المعتصِمِ بالله[3] ، ولا يخفى أنّه قد وَقَعَ تقديمٌ وتأخيرٌ في الأوراق . على أنّه لم يتيسَّر لي - بعدُ - الوقوفُ على هذه النُّسْخَة .

هذا ، ولا ريبَ أنَّ التّحقيقَ العلميَّ المُعتبَر يقتضي الفحصَ عن النُّسَخِ جميعِها ، وتحديدَ منازلِها ، وتقديرَ الاستفادة المُمْكنَة منها .

- **فصلٌ في إثباتِ أنَّ (المروج) هو أهمُّ تاريخٍ مشرقيٍّ استفاد منه غيرُ واحدٍ من كبارِ علماء الأندلس :**

قد تَقدَّمَ ذكْرُ النُّسْخَة الكُبرى من (المروج) ، وأنّها كانت متداوَلةً في الأندلس في القرنِ السّادسِ الهجريِّ . على أنّه لا ينبغي أنْ يَلْحَقَكَ الشَّكُّ في أنَّ النُّسْخَةَ الصُّغرى كانت أكثرَ تداولًا منها .

بل إنّي تنبّهتُ لأمرٍ ، حاصلُه : أنَّ (المروج) القديمَ هو أهمُّ تاريخٍ مَشرقيٍّ استفادَ منه غيرُ واحدٍ من كبارِ علماء الأندلس . وقد وَقَفْتُ على شواهدَ مهمّةٍ في مؤلَّفات أندلسيةٍ عزيزةٍ - بعضُها لم يُنشر بعد - تُثْبتُ ذلك ، وتُبيِّنُ أنَّ المسعوديَّ كان عظيمَ

---

(١) فهرس مخطوطات شنقيط ووادان ، ص٢٤٨-٢٤٩ .

(٢) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٥/ ١٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ٤/ ٣٤٨ .

الأَثَرِ في الأندلسيِّين . وإليك ثلاثةً منها :

١- قد أَوْرَدَ ابنُ بَسَّام الشَّنْتَرينيُّ في كتابِ (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) أُرجوزةً في التاريخ نَظَمَها الأديبُ أبو طالب عبدُ الجبّار المعروفُ بالمُتنبّي . وقد صَدَّرها النّاظمُ بخُطبة نَثْريَّة ، قال فيها : "وحَذَفْتُ كلَّ حديث يَتَغَلْغَل ، وخَبَرٍ يَتَسَلْسَل"[١] .

قلت : هذا الأُسلوبُ يُشْبِهُ أُسلوبَ المسعوديِّ ، كما لا يَخْفَى على المتمرِّسينَ بكلامه .

ثمَّ قال أبو طالب المُتَنَبّي في الخُطبة : "وذَكَرْتُ مَن وَلِيَ الخلافةَ بالمشرق من بني العبّاس بعد المُطيع لله إلى وقتنا هذا"[٢] . قلت : إنّما خَصَّ المُطيعَ بالذِّكْر ؛ لأنَّ المسعوديَّ تُوُفِّيَ في أيّامه ، ولأنَّ ذِكْرَهُ هو الذي خُتِمَ به (المروج) وما تَلاهُ من كُتُبٍ في السِّلسلة . هذا ، وقد صرَّحَ أبو طالب المُتَنَبّي في أوَّلِ أرجوزته باسمِ المسعوديِّ - دون أسماءِ سائرِ المؤرِّخين - حيث قال :

في كلمٍ كلؤلؤ العقودِ أنظِمُ ما ضمَّنهُ المسعودي[٣]

٢- وقد نَقَلَ ابنُ رأسِ غَنَمَةَ الإشبيليُّ في كتابه : (مناقل الدُّرَر ومنابت الزَّهَر) من (مروج الذهب) في تسعة وثلاثينَ مَوْضِعًا أو أكثَر ، ولَمْ يَنْقُلْ من (تاريخ الطَّبَريِّ) - مثلًا - إلّا في نَحْوِ تسعة مواضع[٤] . وقد اعْتَمَدَ على (المروج) في جُلِّ ما ذَكَرَهُ عن الدَّولة العبّاسية ، حتّى إنّه نَقَلَ قولَ المسعوديِّ في آخِره : "وانتهى بنا التَّصنيفُ فيه إلى هذا الوقت ، وهو جُمادى الأُولى سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمائة ، ونحن بفُسطاط مصر ، والغالبُ على أمرِ هذه الدَّولة والحَضرة : أحمدُ بنُ بُوَيْه الدَّيْلَمِيّ ، وهو المدبِّرُ لأمرِ المُطيع ، المسمّى بمُعِزِّ الدَّولة"[٥] .

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأوّل-المجلد الثّاني ، ص٩١٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٩١٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص٩٢٠ .
(٤) مناقل الدُّرر ، ص٢٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص٣٦٤ .

٣- وقد وَجَدتُ أبا الطَّيِّب صالحَ بنَ شريف الرُّنْديَّ يَنْقُلُ نُقولًا كثيرةً من (المروج) في كتابه : (رَوْض[1] الأُنْس ونُزْهَة النَّفْس)[2] . وقد عَجِبَ الأستاذُ عبد القادر زمامة - رحمه الله - في تعريفه بكتابِ الرُّنْديِّ "أنّ صالح بنَ شريف يُنهي الكلامَ على الدولة العباسية بخلافة المستكفي ، ونهايتها سنة ٣٣٤"[3]! والحقُّ أنَّ الرُّنْديَّ وَقَفَ حيثُ وَقَفَ المسعوديُّ ، وإنْ تأخَّرَتْ وفاتُهُ إلى ما بَعْدَ انتقال الخلافة العبّاسيَّة إلى مصر ، في أيّامِ سلاطينِ المماليك! وقد صرَّحَ بالاعتماد عليه ، وذلك أنّه لمّا شَرَعَ في ذِكْرِ خُلفاء بني العبّاس ، قال : "ولَمْ يَنْتَه إليَّ من سِيَرِهم وأخبارِهم إلّا ما ذَكَرَهُ المسعوديُّ في كتابه"[4] . هذا ، وقد ذَكَرَ الرُّنْديُّ في تضاعيفِ الكلامِ على ولايةِ المُستكفي : بَيْعَةَ المُطيعِ بَعْدَه ، وغَلَبَةَ الدَّيْلَمِيِّ عليه[5] .

هذا قليلٌ من كثير . ولا رَيْبَ أنّ ما نَقَلَهُ المؤلِّفونَ المذكورون - وغَيْرُهم - من (المروج) يُفيدُ في إتقانِ تحقيقه ، وخاصَّةً إذا كانت النُّقولُ دونَ تصرُّف .

- فصلٌ في بيانِ ضرورةِ القيامِ بتتبُّعِ تاريخِ نصِّ (المروج) ، وأنّه قد يَتَرَتَّبُ على إهمالِ ذلك فسادٌ في التصوّرات ، وقلبٌ للحقائق :

لا رَيْبَ أنَّ (المروج) لن يُحقَّقَ تحقيقًا علْميًا مُتْقَنًا إلّا إذا جُمعَتْ نُسَخُه ، ونُسَخُ الكُتُبِ التي نَقَلَتْ عنه دونَ تصرُّف . ولا رَيْبَ أنَّ القيامَ بتتبُّعِ تاريخِ نصِّه يُعَدُّ مرحلةً أساسيَّةً ينبغي أنْ يُبْنى عليها التَّحقيقُ المُنْتَظَر .

بل إنّه قد يَتَرَتَّبُ على إهمالِ ذلك فسادٌ في التصوّرات ، وقلبٌ للحقائق .

(١) كذا في النُّسْخَةِ الخَطِّيَّة . ولعلَّ الأصحَّ هو : "رَوْضَة" ، كما في : (الإحاطة في أخبار غَرناطة)٢/ ٣٦١ ، ٣٧٣ .

(٢) آلَت نُسْخَتُهُ الفريدة - بِأخَرَة - إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامّة بالرياض ، وعندي منها مصوَّرة ظَفِرْتُ بها قديمًا .

(٣) كتاب روض الأنس ونزهة النفس (مقالة) ، ص٢٣٧ .

(٤) روض الأنس (النّسخة الخطّيّة) ، ٩٧ و .

(٥) المرجع السابق ، ١٢٣ و .

ودونكَ مثالَيْن موضحَيْن :

١- قالَ المستشرقُ شارل بِلا في مقدِّمَة نَشْرَته [..]" :رغمًا عن أمْرٍ طالما أَقْلَقَني أثناءَ القيامِ بعملي : فمنَ المعلومِ أنَّ المسعوديَّ قد أتَمَّ كتابَ (مروج الذّهب) سنة ٣٣٢هـ ، وكثيراً ما يَذْكُرُ هذا التأريخ في ثنايا الكتاب ، ثم راجَعَه سنةَ ٣٣٦هـ [...] ولَم يَتَسَنَّ لي أنْ أَتبيَّنَ ما زادَ حينذاك على الرواية الأُولى وحَذَفَ منها إلّا في القليلِ من المَوَاضعِ سألفتُ الأنظارَ إليها في الحواشي ، ومِن المُحتمَلِ أنَّ التَّغييراتِ التي قامَ بها غيْرُ كثيرة ، وأنّها عديمةُ الأهمِّيَّة بالنِّسبة إلى ضِخَمِ الكتابِ وكثرةِ محتوياته"[١] .

قلت : لا يُمكِنُ حَسْمُ هذا الأمرِ - على الوجه - دونَ القيامِ بجَمْعِ النُّسَخ ، وتتبُّعِ تاريخِ النَّصِّ . وقد قَصَّرَ بِلا في ذلك كُلِّه تقصيراً شديدا .

وإليكَ خَمسةَ مَوَاضعِ تُبَيِّنُ ما ذَكَرْتُه ، وقد اخترتُها مِن نُسخةٍ واحدةٍ فقط ، هي نُسخة لايدن (Or.١٢٧) :

- وَرَدَ في النُّسخة : "وخرَّبَهُ عثمانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا - وهو سنةُ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - خرابٌ . . ."[٢] ، وفي نشرة بِلا : "وهو سنةَ ستَّ وثلاثين وثلاثمائة"[٣] .

- وفي النُّسخة : "وهو في هذا الوقت - وهو سنةُ اثنتين وثلاثين وثلاثمائمة - سُوقٌ . . ."[٤] ، وفي نشرة بِلا : "وهو سنةُ ستّ وثلاثين وثلاثمائة"[٥] .

- وفي النُّسخة [...]" : في هذا الوقت - وهو سنةُ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة -

---

(١) مروج الذهب (نَشرة بِلا) ، ١/ ٧-٨ .
(٢) مروج الذهب (نسخة لايدن ١٢٧) ، ص١١٢ .
(٣) مروج الذهب (نَشرة بِلا) ، ٢/ ٣٨٢ .
(٤) مروج الذهب (نسخة لايدن ١٢٧) ، ص١١٤ .
(٥) مروج الذهب (نَشرة بِلا) ، ٢/ ٣٨٦ .

بيتٌ لهم بمدينةِ حَرّان . . ."[١] ، وفي نشرة پلا : "وهو سنةُ ستّ وثلاثين وثلاثمائة"[٢] .

– وفي النُّسخة : "والنّاسُ في وقتنا هذا – وهو سنةُ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة – يَذْكُرونَ أنّه مسجدُ سليمانَ بنِ داوُد[٣] . . ." ، وفي نشرة پلا : "هو سنةُ ستّ وثلاثين وثلاثمائة"[٤] .

– وفي النُّسخة : " [...] مِن أرضِ مصرَ في هذا الوقت – وهو سنةُ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

– فلَمْ يَتَأَتَّ له[٥] . . ." ، وفي نشرة پلا : "وهو سنةُ ستّ وثلاثين وثلاثمائة"[٦] .

هذا ، ولا شكَّ أنّ الوقائعَ والمَاجَرَيَاتِ التي تَلَتْ سنةَ ٣٣٢ قد دُوِّنَتْ بَعْدَها ، كنهاية خلافة المُتَّقي لله ، وما جَرَى بعدها مِن خلافة المُستكفي بالله ، وخلافة المُطيع لله ، وكَذِكْرِ مَن حَجَّ بالنّاس في سنة ٣٣٣ ، وسنة ٣٣٤ ، وسنة ٣٣٥ . وأمّا ما تَفرّق في تَضاعيفِ الكتابِ مِن تواريخَ يسيرةٍ تَحتَمِلُ قراءتُها أكْثَرَ مِن وَجْه ، فلا تُسَلَّمُ إلّا بعدَ القيامِ بالتَّتَبُّعِ الدَّقيقِ لتاريخِ النَّص .

٢– لا يَخْفَى على ذَوي الدِّرَايَة أَثَرُ (المروج) في (مقدّمة ابنِ خَلدون) ، وقد اعْتَرَفَ العلّامةُ أبو زيد عبدُ الرحمن بنُ خَلدون – نفسُهُ – بِفَضْلِ المسعوديّ على المؤرّخين الذين نَبَغُوا بعده ، وإنْ كان قد أخذَ عليه مآخذ . على أنّ منها مأخَذاً مُعَيَّناً قد أَتْبَعَهُ ابنُ خلدون بِرَدٍّ نَجدُ مِثْلَه – اليومَ – في (المروج) نفسِه!

(١) مروج الذهب (نسخة لايدن ١٢٧) ، ص١١٧ .
(٢) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٢/ ٣٩٢ .
(٣) مروج الذهب (نسخة لايدن ١٢٧) ، ص١٢٢ .
(٤) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٢/ ٣٩٩ .
(٥) مروج الذهب (نسخة لايدن ١٢٧) ، ص١٣١ .
(٦) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٢/ ٤١٠-٤١١ .

فهل زِيدَ هذا الرَّدُّ في نُسَخِ (المروج) بعد ابن خلدون؟ أم أنَّ أبا زَيْد - غفر الله له - قد ظَلَمَ سَلَفَهُ العظيم؟! ومع غِياب عَمَلٍ يَتَتَبَّعُ تاريخَ نَصِّ (المروج)، لَمْ يَكُن بُدٌّ من الفَزَع إلى بعضِ نُسَخه العتيقة - التي سبقت ابنَ خلدون - لِحَسْمِ هذا الأمر، وقد فعلتُ ذلك بفضل الله تعالى. وإليك بيانَ هذه القضيَّة :

* قال ابنُ خلدون في (المُقَدِّمَة) : "وقد زَعَمَ المسعوديُّ - ونَقَلَهُ عن الفلاسفة - مَزْعَمًا لا مُسْتَنَدَ له إلَّا التَّحَكُّم، وهو أنَّ الطبيعة التي هي جبلَّةٌ للأجسام لمَّا بَرَأَ اللهُ الخَلْق، كانت في تَمامِ الكرَّة ونهاية القوَّة والكمال، فكانت الأعمارُ أطوَلَ، والأجسامُ أقْوَى؛ لكمالِ تلك الطبيعة، فإنَّ طُروءَ الموت إنَّما هو بانحلال القُوَى الطبيعيَّة، فإذا كانت قَوِيَّةً كانت الأعمارُ أَزْيَد. فكان العالَمُ في أوَّليَّة شأنه تامَّ الأعمار كاملَ الأجسام، ثمَّ لم يَزَلْ يتناقصُ لنُقصان المادَّة إلى أن بَلَغَ هذه الحالَ التي هو عليها، ثمَّ لا يزالُ يتناقصُ إلى وقت الانحلال وانقراض العالَم. وهذا رأيٌ لا وَجْهَ له إلَّا التَّحَكُّم كما تراه، وليس له علَّةٌ طبيعيَّة ولا سببٌ بُرهانيّ. ونحن نشاهدُ مساكنَ الأوَّلين وأبوابَهم وطُرُقَهم فيما أَحْدَثوهُ من البُنيان والهياكل والدِّيار والمساكن، كديار ثمودَ المَنحوتَة في الصَّلْد من الصَّخْر، بيوتًا صغارًا وأبوابًا ضيِّقَة. وقد أشارَ صلى الله عليه وسلَّم إلى أنَّها ديارُهم، ونَهى عن استعمال مياههم، وطَرَحَ ما عُجِنَ به وأُهْرِيقَ، وقال : "لا تَدْخلوا مساكنَ الذين ظَلموا أنفُسَهُم، إلَّا أن تكونوا باكِينَ أن يُصيبكم ما أصابَهم". وكذلك أرضُ عادٍ ومِصْر والشَّام، وسائرُ بِقاعِ الأرضِ شرقًا وغربًا، والحقُّ ما قَرَّرْناه"(١) .

* وفي نَشْرَة پِلا لكتابِ (المروج) - بعد ذكْرِ ما قالَتْهُ الأوائلُ في علَّة طول الأعمارِ وقِصَرِها، وعِظَمِ الأجسام في بدء الدَّهر، وتناقُصها على مرور الأعصار - ما هذا نَصُّه : "وقد أبَى ما ذَكَرْنا من عِظَم أجسامِ النَّاطقينَ في صَدْر الزَّمان كثيرٌ من أهلِ النَّظَر والبحث ممَّن تَأخَّر، وزعموا أنَّ تأثيرَهم في بنيانهم، وما ظَهَرَ في الأرضِ من أفعالِهم يَدُلُّ على صِغَرِ أجسامهم وأنَّها كانت كأجسامنا؛ لما يُشاهدونه من مساكنهم وأبوابِهم ومَمَرَّاتهم فيما أَحْدَثوهُ من البُنيانِ والهياكلِ والدِّيارِ والمساكنِ في

(١) مقدِّمة ابن خلدون، ١/ ٣١٠-٣١١ .

سائرِ الأرض ، كديار ثَمودَ ونَحْتِها المساكنَ في الجبال ، وحَفْرِها في الصُّخْرِ الصُّلْد بيوتًا صغارًا وأبوابًا لطافا . وكذلك بأرض عاد ومصرَ والشّام وسائر بقاع الأرض في الشّرْق والغرب . وهذا بابٌ إنْ أكْثَرْنا فيه القولَ طال ، وإنْ أطْنَبْنا في وصْفه كثُر"[١] .

قلت : لا يَخْفَى ما بَيْنَ النَّصَّيْن من تشابُه . وقد رَجَعْتُ إلى إحدى نُسَخ (المروج) العتيقة ، وهي نُسخةٌ محفوظةٌ في مكتبة (آيا صوفيا) ، تحت رقم : ٣٤٠٧ ، وقد ضُمَّتْ إليها - في أثْناء التَّجليد - قطْعَةٌ مُتأخِّرة . وتَبْدأُ النُّسْخَةُ العتيقةُ من الورقة الثامنة والأربعين ، وعليها قَيْدُ مُطالَعَة جاء فيه : "أنهيتُه مُطَالَعَةً في شهرِ رمضان سنةَ خمسٍ وستّين وستّمائة"[٢] ، أيْ : قَبْلَ مَوْلِد ابن خَلدون بنَحْو سَبْع وستّينَ سنة . وجاء في بَعْضِ حواشيها : "لا إله إلّا الله! سمعتُ المَلِكَ النّاصرَ مَلِكَ الشّام والجزيرة - وهو يوسُفُ بنُ المَلِك العزيز محمّد بن المَلِك الظّاهر غازي بن المَلِك النّاصر يوسُفَ بن أيُّوب - يَتَمثَّلُ بهذَيْن البَيْتَيْن"[٣] . قلتَ : الملكُ النّاصرُ الأيُّوبيُّ المذكورُ قد قتَلَهُ هولاكو بُعَيْدَ عَيْن جالوت ، أيْ : قَبْلَ مَوْلد ابن خَلدون ببضْع وسبْعينَ سنة . هذا ، وقد وَجدتُ في النُّسخة المذكورة نَحْوًا ممّا في المَطبوع[٤] ، فَصَحَّ عندي أنَّ المسعوديَّ - رحمه الله - قد ظُلم!

هذا ، وإليكَ ما ذَكَرَهُ المسعوديُّ نَفْسُه - قَبْلَ المَوْضع المذكور - في الباب الذي عَقَدَهُ لِذِكْرِ ثَمودَ وملوكها ، حيث قال : "وبيوتُهُم مَنْحُوتَةٌ في الصَّخْر ، لها أبوابٌ صغار ، ومَساكنُهُم على قَدْر مساكنِ أَهْلِ عَصْرِنا ، وهذا يَدُلُّ على أنَّ أجسامَهُم كانت كأجسامنا ، دونَ ما تُخْبِرُ به القُصَّاصُ عن بُعْد أجسامهم . . ."[٥] .

ولا رَيْبَ أنَّ تفصيلَ بعضِ هذه النقاط يَحْتَملُ البَسْطَ الكثير ، بَيْدَ أنَّ المَقامَ يَقتضي الإيجازَ والإضرابَ عن التَّطويل ، وإنّه لَيَكفي من القلادةِ ما أحاط بالعُنُق!

هذا ، ويُوشِكُ أنْ يَصْدُقَ على كتابِ (المروج) قولُ أبي الطَّيِّبِ المتنبي :

---

(١) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٢/ ٣٢٣-٣٢٤ .

(٢) مروج الذهب (نسخة آيا صوفيا ٣٤٠٧) ، ٤٨و .

(٣) المرجع السابق ، ١٨٦و .

(٤) المرجع السابق ، ٢٣٣ظ-٢٣٤و .

(٥) مروج الذهب (نَشرة پلا) ، ٢/ ١٥٦ . وانظر أيضًا : مروج الذهب (نسخة آيا صوفيا ٣٤٠٧) ، ١٤٩ظ .

فلقد عُرِفْتَ وما عُرِفتَ حقيقةً ولقد جُهِلْتَ وما جُهِلْتَ خُمولَا!

المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش :

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، حقّق نصّه ووضع مقدّمته وحواشيه : محمد عبد الله عنان ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط٤ . ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .
- اكتشاف نسخة فريدة من التعيين للخلفاء الماضين ، آخر كتب المسعودي (ت٣٤٥ هـ) ، هارون ولد عبد الفتاح ، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، المجلد ٦٠- الجزء الثاني ، صفر ١٤٣٨هـ/ نوفمبر ٢٠١٦م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مُرتضى الحسيني الزَّبيدي ، الجزء الثامن والثلاثون ، تحقيق : عبد الصبور شاهين ، راجعه : محمد حماسة عبد اللطيف ، سلسلة التراث العربي ١٦ ، الكويت ، ط١ . ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، حسين مؤنس ، مكتبة مدبولي ، ط٢ . ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- التنبيه والإشراف ، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، طبع بعناية دي خُويه ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩٣ ، ١٨٩٤م .
- جامع القصص العربية في الأخبار الهندية ، الجزء الأول ، طُبِع هذا الكتاب في مدينة بُنّ ، سنة ١٨٣٨
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
- رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس ، حنين بن إسحاق ، باهتمام : مهدي محقق ، تهران : مؤسسه مطالعات اسلامى دانشگاه تهران - دانشگاه مك گيل ، ١٣٧٩/ ٢٠٠١م .
- روض الأنس ونزهة النفس ، أبو الطيّب صالح بن شريف الرندي (نسخة خطّيّة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز العامّة بالرياض) .
- فهرس مخطوطات شنقيط ووادان ، إعداد : أحمد ولد محمد يحيى ، تحقيق : أولرخ

ريبشتوك ، لندن : مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤١٧ / ١٩٩٧ .
- كتاب الجعرافية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، اعتنى بتحقيقه : محمد حاج صادق ، ("مصورّة" بورسعيد : مكتبة الثقافة الدينية) .
- كتاب روض الأنس ونزهة النفس ، لأبي البقاء صالح بن شريف الرّندي ، بقلم : عبد القادر زمامة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثامن عشر ، الجزء الثاني ، رمضان ١٣٩٢هـ/ نوفمبر ١٩٧٢م .
- كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر ، الكتاب الأول : المقدّمة ، الجزء الأول ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، قرأه وعارضه بأصول المؤلف ، وأعدّ معاجمه وفهارسه : إبراهيم شبّوح ، وإحسان عبّاس ، تونس : دار القيروان للنشر ، ٢٠٠٦ .
- لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدّة ، اعتنى بإخراجه وطباعته : سلمان عبد الفتاح أبو غدّة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط١ . ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ، محمود محمد الطناحي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط١ . ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر (نسخة آيا صوفيا ٣٤٠٧) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر (نسخة لايدن ١٢٧) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، راجع أصوله ورقّمه وضبط مبهمه وعلّق عليه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الرجاء للطبع والنشر ، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، بتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ط٢ مزيدة ومنقّحة . ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، دار الأندلس ١٩٦٦/١٣٨٥ ("مصورة" مؤسسة دار الهجرة)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي ، عني بتنقيحها وتصحيحها : شارل بلا ، بيروت : منشورات الجامعة اللبنانية ،

١٩٦٦/١٩٧٩م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، اعتنى به وراجعه : كمال حسن مرعي ، بيروت : المكتبة العصرية ، ط١ . ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .
- مناقل الدرر ومنابت الزهر ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي الإشبيلي ، المعروف بابن رأس غَنَمة ، تحقيق وتقديم : قاسم السّامرائي ، الرباط : الرابطة المحمدية للعلماء ، ط١ . ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م .
- نساء الخلفاء المسمّى : جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب ، المعروف بابن الساعي ، حقّقه وعلّق عليه : مصطفى جواد ، سلسلة ذخائر العرب ٢٨ ، القاهرة : دار المعارف .
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، القاضي أبو علي المُحسّن بن عليّ التَّنُوخي ، تحقيق : عبّود الشالجي المحامي ، بيروت : دار صادر ، ط٢ . ١٩٩٥ .

-Al-Mas,udi millenary commemoration volume, edited by: S. Maqbul Ahmad and A. Rahman, published by: the Indian Society for the History of Science and the Institute of Islamic Studies, Aligarh Muslim University, 1960 -Les prairies d,or, Maçoudi, texte et traduction par: C. Barbier de Meynard)et Pavet de Courteille(, Paris, imprimé par autorisation à l,Imprimerie Impériale/Nationale, 1861 - 1877.

الطبعات الحجرية العربية : النشأة ، والأهمية

د . محمد السيد محمد إسماعيل عطية

دكتوراه الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية

مقدمة

منذ اختراع الألماني ألويز سلفندر للطباعة الحجرية سنة ١٧٩٦ه بغرض نشر مسرحياته ، ظهرت أهمية الطباعة ، وأصبحت من أهم المخترعات في تاريخ البشرية . فقد أثرت بشكل كبير في التطور الحضاري والتواصل الثقافي ونشر العلم . وكان لها دور كبير في إعادة نشر المخطوطات العربية وغيرها ، وظهرت الطباعة في مختلف أنحاء العالم المتقدم ، وتعرف عليها أيضًا المصريون بعد إحضار آلة الطباعة مع الحملة الفرنسية ، واستخدمت الطباعة الحجرية في عهد محمد علي وما بعده . وانتشرت المطابع في أنحاء العالم العربي وفي الهند ، ونشرت الكتب ، وخرجت للنور طبعات حجرية تحمل أمهات الكتب في كل الفنون والعلوم .

وقد قسمت البحث إلى : مقدمة ، وأربعة محاور ، وخاتمة .

المقدمة المحور الأول : مفهوم ، ونشأة الطباعة الحجرية .

المحور الثاني : الطبعات الحجرية العربية في الشرق وشبه القارة الهندية(في الشام وتركيا والمغرب العربي وشبه القارة الهندية ، وفي مصر)

المحور الثالث : أهمية الطباعة الحجرية ، ومميزاتها

المحور الرابع : جهود حفظ الطبعات الحجرية العربية

وتناول فيه الباحث : جهود الفهرسة والتأريخ ، وإعادة الطباعة والحفظ . ودور كل من دار الكتب المصرية ومكتبة الإسكندرية في ذلك .

الخاتمة : النتائج والتوصيات

المحور الأول : مفهوم ونشأة الطباعة الحجرية

الطباعة الحجرية نوع من أنواع الطباعة تسمى (Lthiography) لثيو : الحجر .

وغراف : الرسم ، وهي تعني الرسم الحجري وطور هذا النوع من الطباعة لويس سنفيلدر Alois Senefilder (١٧٧١ - ١٨٣٤) سنة ١٧٩٦م وقد بنى سنفيلدر هذه الطريقة الطباعية على نظرية كيميائية أساسية ، وهي نظرية التنافر الكيميائي بين المادة والدهن ، وفيها تتم الكتابة على حجر أملس بمادة دهنية تستقطب الحبر ، وعند وضع الورق على الحجر والضغط عليه تنتقل الكتابة أو الرسم إلى الورق ، ويستخدم فيها نوع معين من الأحجار المسامية ، وانتقلت الطباعة الحجرية إلى أوروبا سنة ١٧٩٨م ، وكان ظهور أول المطبوعات الحجرية في ألمانيا سنة ١٨٠١م [١] .

كيفية عمل الطباعة الحجرية

يعتمد عمل الطباعة الحجرية على نظرية التنافر الكيميائي بين الماء والدهن ، حيث يتم استعمال مادتين لا تذوب إحداهما في الأخرى - وهما الحبر الدهني والماء ، مع استخدام حجر عالي المسامية ، فإذا وضعت كمية من مادة دهنية على بعض مناطق بسطح الحجر النظيف الأملس ، كانت نتيجة ذلك استقبال هذه المناطق لحبر الطباعة ، وطردها للماء ، في حين أن الأجزاء الأخرى من سطح الحجر ، والتي لم تتأثر بالمادة الدهنية تستبقي الرطوبة وترفض الحبر[٢] .

وفي عام ١٩١٣م وضع ج . هارفي راونتري كتابًا عن الطباعة بالحجر باللغة الإنجليزية ، ليستفيد منه المعنيون بهذه الطباعة في مصر عامة وفي مصلحة المساحة خاصة ، وقد طبع الكتاب بمطبعة بولاق[٣] .

(١) انظر : المطبوعات الحجرية العربية ، دراسة ببليوجرافية تحليلية ، د . هانم عبد الرحيم إبراهيم ، دار المعرفة الجامعية ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م ، ص ٢٣ ، ٦٤ . وانظر : تقنيات الطباعة ، د . محمد خليل الرفاعي . من منشورات الجامعة الافتراضية السورية ، سنة ٢٠٢٠م ، ص ٢ . وانظر : بحث طبع المخطوطات الإسلامية طباعة حجرية ، سمية حسن محمد إبراهيم ، مجلة (BCPS) ، المجلد ٨ ، العدد ١ ، ١٩٩٢ . الصفحة ١١٩-١٤٦ ، ص ١١٩- ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، د . هانم عبد الرحيم إبراهيم ، ص ٢٥ .

(٣) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، القاهرة : دار المعارف ، ط٢ . سنة ١٩٦٦م ، ص ٢٢٩ .

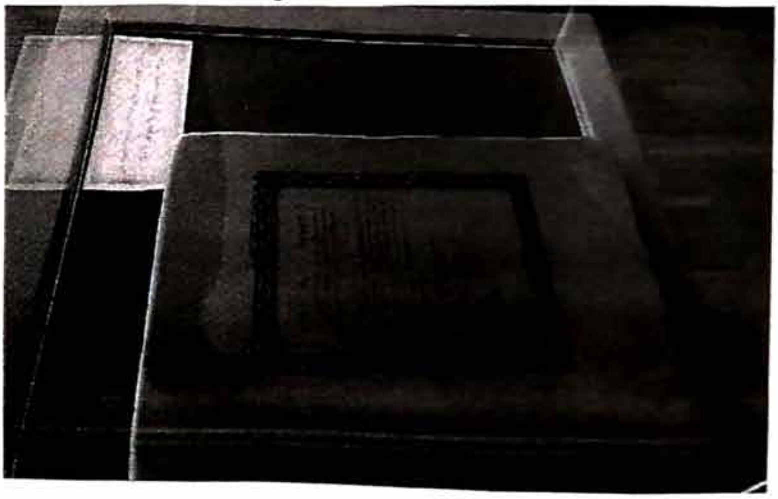
مميزات الطباعة الحجرية

تعتبر الطباعة الحجرية العربية همزة الوصل أو المرحلة الوسيطة بين المخطوط العربي والكتاب المطبوع ؛ ولذلك احتفظ الكتاب العربي المطبوع طباعة حجرية بكثير من سمات المخطوط العربي ، وفي كثير من الأحيان كان صورة منه دقيقة غاية الدقة ، بما فيها من حواشٍ وتعليقات وشروح وتقريرات ، واستخدمت في كتابته كل وسائل ضبط الكتابة والنسخ في المخطوط العربي ؛ لأن القارئ العربي كان قد اعتاد على شكل المخطوط العربي وطريقة نسخه ، وساهمت المطبوعات الحجرية في نهضة ثقافية مبكرة منذ عهد محمد علي ، وتمثل ذلك من خلال الترجمة والتأليف وإحياء التراث ، وإعادة نشر الكتب العربية المخطوطة بصورة مطبوعة طباعة حجرية أسهمت في إحياء التراث العربي ونشره ، وذلك لكثرة عدد النسخ التي تطبع من الكتاب الواحد بعكس نسخ المخطوط بالطريقة التقليدية ، ورخص تكاليف الطباعة الحجرية ، وتوفر آلاتها والأحجار المسامية التي تكتب عليها ، وكذلك توفر الأيدي المدربة تدريبا فنيا على هذا النوع من الطباعة ، واهتمام الدولة بهذه المطابع خاصة المطبعة الأميرية ببولاق ، التي كانت تطبع الأوراق الرسمية التي يحتاج إليها في هذا الوقت .

وتعتبر أوائل المطبوعات المصرية هي التي طبعت في الفترة الزمنية ١٢٣٨هـ-١٢٩٧هـ الموافق ١٨٢٢م-١٨٧٩م ، وقد كان حجم إنتاج أوائل المطبوعات في مصر في هذه الفترة ٢٨٦٩ كتاباً[1] ، معظمها طُبعت طباعة حجرية ؛ لأنها كانت الطباعة السائدة في هذا الوقت .

(١) أوائل المطبوعات المصرية ، دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية : د . جيهان محمود السيد ، الإسكندرية : دار الثقافة العلمية ، سنة ٢٠٠٠م ، ص ٢٣ .

قالب الطباعة الحجرية





آلة الطباعة الحجرية



آلة الطباعة الحجرية لمطبعة بولاق

محفوظة في معرض لآلات الطباعة القديمة لمطبعة بولاق في مكتبة الإسكندرية

المحور الثاني : الطبعات الحجرية العربية في الشرق وشبه القارة الهندية

نشأة المطبعات العربية في الشام

أول المطبعات العربية في الشرق العربي ظهرت في حلب سنة ١١١٨هـ-١٧٠٦م على يد البطريريك أثناسيوس الثالث، وهو مؤسس أول مطبعة عربية، وكانت مخصصة لطباعة الكتب الدينية المسيحية، ثم تأسست مطبعة الشوير[١] على يد عبد الله زكريا الزاخر، وأصدرت أيضًا عدة كتب دينية مسيحية، وتعتبر المطبعة العربية ببيروت ثالث المطابع التي أسست في بلاد الشام، وبعدها أنشئت في بيروت المطبعة الأمريكية سنة ١٨٣٤م لنشر نشرات التبشير، وكانت الحروف التي يستعملونها رديئة، تسمى (حروف لندن)، ولكن تم صنع حروف عربية جديدة في (ليبزج) بنماذج من خطوط بعض مشاهير الخطاطين في مصر والأستانة والشام، فكانت أول مطبعة تسبك الحرف العربي المشكل المعروف بـ (الأمريكي)، وطبعت بها كتب المطالعة والتعليم المسيحي ومبادئ النحو، للشيخ ناصيف اليازجي[٢] .

أما خارج بيروت فقد أسس البطريريك السرياني بطرس جروه السابع مطبعة ١٨١٦م وتتألف من مطبعتين، إحداهما حجرية، وهما من صنع انجلترا، ولكن اتهم البطريريك بنشر البروتستانت، وجاء الدروز إلى الدير واستولوا سنة ١٨٤١م على المطبعة الحجرية، وحملوها معهم أو حطموها، وفي سنة ١٨٥٢ م تأسست أول مطبعة في بيت الدين، وهي مطبعة حجرية صاحبها حنا الأسعد، ونشرت هذه المطبعة بعض الكتب، منها كتاب (شرح المعلقات)، للزوزني، وانتشرت المطابع في لبنان، وبلغ عدد مطابع بيروت سنة ١٩٠٣م ست عشرة مطبعة، وكانت للبنان دور

(١) الشوير من قضاء متن الشمالي في لبنان، وتقع على مسافة ٢٧ كم من بيروت (ar.m.wikipedia.org)

(٢) الكتاب العربي المطبوع من الجذور إلى مطبعة بولاق، د . خالد عزب وأحمد منصور، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ط١ . سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٨٨- ٩٦) بتصرف .

كبير في نشر الكتاب العربي في الشرق والغرب على حد سواء ، وبذلك كانت منافسًا خطيرًا للمطابع في مصر[١] .

نشأة المطبعات العربية في تركيا

أصدر السلطان أحمد الثالث فرمانًا سنة ١١٣٩هـ- ١٧٢٦م بإنشاء مطبعة بالحروف العربية بناء على رسالة إبراهيم متفرقة المسماة (رسالة وسيلة الطباعة) ، والتي وافق عليها العلماء ، ولكن دون طباعة كتب الفقه والتفسير والحديث الشريف وكتب علم الكلام ، وقد أعد إبراهيم متفرقة بالتعاون مع سعيد شلبي مشروعًا لتأسيس أول مطبعة بالحرف العربي في العالم ويكون مقرها استانبول ، وبعد وفاة إبراهيم متفرقة ، أسس أحمد الشدياق مطبعة (الجوائب) سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م تميزت مطبوعاتها بالإتقان وجمال الحروف وتنوعها ، وحسن الإخراج وجودة الطبع ، والانتقاء الجيد لكتب التراث والقيمة الأدبية[٢] .

وكان هناك أسباب كثيرة في عدم موافقة العلماء على طباعة كتب الشريعة ، منها :

- تخوفهم من الأخطاء التي قد تقع في الكتب المطبوعة ، خاصة ما وصل إليهم من بدايات الكتب التي طبعت في أوروبا بخط رديء وأخطاء كثيرة .

- المخطوط كان الوعاء الذي نقل الثقافة العربية الإسلامية ، وكان الاهتمام بضبطه اهتمامًا بالغًا ، بتصحيحه ومقابلته بنصوص صحيحة ، وكانت هناك تقاليد راسخة في ضبط الكتابة تضمن صحة الكتاب وضبطه .

- الخط كان هو أداة الكتابة ، استخدمه المسلمون في كتابة نسخ القرآن الكريم وكتب السنة والفقه والسيرة وغيرها ، وقد اهتم المسلمون به اهتمامًا بالغًا ، وتطور على

(١) انظر : تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، د . خليل صابات ، ص ٥٦ -٦٨ (بتصرف)

(٢) الكتاب العربي المطبوع ، د . خالد عزب ، ص ٦٥-٨٢ (بتصرف)

يد ابن مقلة (ت ٣٣٨هـ) ، وابن البواب (٤٢٣هـ) ، وغيرهما ، وما زال الاهتمام به قائماً إلى عصر الطباعة .

- الخوف على ضياع كتب الشريعة المخطوطة لشدة الاهتمام بها والحرص على نسخها والاحتفاظ بها ، بعكس الكتب الأدبية والعلمية التي كانت معرضة للفقد والضياع لقلة أعدادها .

وكانت هناك أسباب أخرى منها وجود عدد كبير جداً من الناسخين في استانبول وغيرها يقدر بالآلاف ، وكان لهم تنظيم إداري داخل الدولة العثمانية معترف به رسمياً ، وهؤلاء الناسخون سيتعرضون لأضرار اجتماعية كبيرة عند الانتقال الحضاري من نسخ المخطوط إلى طباعة الكتاب[١] .

وعملية التحول الثقافي والحضاري من المخطوط إلى المطبوع ومن الخط العربي إلى الخطوط المعدنية لم تكن بالأمر الهين في العقلية العربية ، وقد وصل الحال إلى حد الاعتداء على تاجرين إيطاليين يبيعان كتباً عربية مطبوعة في سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م ، وما نتج عنها من قرار مراد الثالث ، ومع ذلك فإن موقف المتعلمين لم يتغير من تداول المخطوط ، وذلك بشهادة المستشرق الفرنسي (فالان) الذي زار المشرق ووجدهم لا يستسيغون الطباعة ، وأنهم يفضلون قراءة الكتب المكتوبة بخط اليد ، وقد وجد هذا المستشرق في وراقة استانبول كتاب ابن سينا (القانون في الطب) الذي طبع بروما من طرف من طرف الميدتشي سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣م ، وعلم أن الوراق لم يتمكن من بيعه رغم عرضه بثمن أقل مما يباع في الغرب ، في الوقت الذي كان يباع فيه الكتاب نفسه مخطوطاً بثمن باهظ جداً[٢] . وكذلك الرحالة ستوكوف في القرن

(١) انظر : بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام ، تطور المحيط الثقافي (١٧٠٦ - ١٧٨٧ م) ، د . وحيد قدورة ، الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٤٤ - ١٤٥ (بتصرف) .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٦ (بتصرف)

الحادي عشر الهجري الذي سجل حواراً دار بينه وبين أحد أساتذة الطب بالقاهرة سنة ١٠٤٠هـ ، أظهر تخوف العلماء من انتشار الكتاب المطبوع في أوروبا ، والتي تسمى بالكتب الرديئة ، خاصة للجمهور ، وأنه يفضل الكتاب المخطوط للمتخصصين[١] .

كان هذا الموقف هو أيضًا موقف علماء الأزهر خاصة من طبع القرآن الكريم ، ولم يتمكن الوالي من طبع القرآن في مطبعة بولاق سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م إلا بعد موافقة مفتي الديار المصرية الشيخ التميمي ، ووضع خاتمه عليه ، حتى يكون بيعه وتداوله أمرًا مشروعًا ، كما ذكر المؤرخ باتون paton[٢] . إلا إن وقوع بعض الأخطاء المطبعية دفع عباس الأول سنة ١٨٥٣م بمصادرة المصاحف المطبوعة ، وتحريم بيعها وتداولها ، ومعاقبة من يتجاسر على ذلك ، وتم تصحيحه بمبالغ كبيرة على نفقة الحكومة على يد خطاطين مثل عبد الباقي الجاري ، وتوالى طبع المصحف بعد ذلك في مطبعة بولاق دون معارضة العلماء ، وقد خصص جزء من المطبعة لطبعه عرف باسم (مطبعة المصحف الشريف) ، وكان لها رئيس مستقل ، هو عبد الرحمن أفندي سنة ١٨٤٥م[٣] .

نشأة المطبعة الحجرية في المغرب العربي

من المعروف أن المطبعة الحجرية دخلت إلى المغرب سنة ١٨٦٤ م عندما قام عالم من تارودانت من جنوب المغرب يسمى محمد الطيب الروداني بإحضار مطبعة حجرية معه من مصر عند عودته من الحج ، واصطحب معه طابع مصري يسمى

---

(١) انظر : بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام ، تطور المحيط الثقافي (١٧٠٦ - ١٧٨٧ م) ، د . وحيد قدورة . الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٣٨- ١٣٩ (بتصرف) .

(٢) تاريخ مطبعة بولاق . د . أبو الفتوح رضوان ، القاهرة : المطبعة الأميرية ، سنة ١٩٥٣م ، ص ٢٧٩ (بتصرف) .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧٩- ١٨٢ (بتصرف)

الشيخ محمد القباني المصري ؛ لتشغيلها وتعليم المغاربة الطباعة الحجرية ، وصدر أول كتاب لهذه المطبعة في مكناس وهو (كتاب الشمائل المحمدية ، للترمذي) وهو أول كتاب يطبع طباعة حجرية في المغرب في صفر ١٢٨٢هـ / حزيران ١٨٦٥م . ثم انتقلت المطبعة ومعها الطابع المصري إلى فاس بلد العلم والعلماء ، وطبع هناك (شرح سيدي الخرشي على المختصر) و (شرح الشيخ التاودي على التحفة) و (الشيخ ميارة على المرشد) و (الشيخ خالد الأزهري على الأجرومية) ، وحدث بين الشيخ المصري وتلميذه عبد الله الطيب منازعات ، فرجع إلى مصر مكرمًا ، واستولى تلميذه الطيب الأزرق على المطبعة من بعده ، ذلك الذي يعد رائد الطباعة الحجرية المغربية بعد الشيخ محمد القباني المصري[١] .

ومن الكتب التي تناولت فهرست الطبعات الحجرية في المغرب كتاب (المطبوعات الحجرية في المغرب ، فهرس مع مقدمة تاريخية) فوزي عبد الرزاق ، مرتب بحسب أسماء الكتب وأسماء المؤلفين ، والقسم الأخير منظم حسب تقويم زمني ، ويحتوي الكتاب على ٥٨٤ عنوانًا لكتب طبعت طباعة حجرية في المغرب .

والكتاب الثاني هو (فهرس المطبوعات الحجرية المغربية) ، إعداد : محمد القادري ومحمد ملشوش ، طبعة مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء ، سنة ٢٠٠٤م ، وهو مرتب بحسب الموضوعات والعلوم . والكتاب الثالث هو (المنشورات المغربية) للطيفة الكندوز ، وهو الذي يصفه فوزي عبد الرزاق بأنه مليء بالأخطاء ، حيث يقول إن الكاتبة قدمت ٦٨٠ عنوانًا من الكتب الحجرية مما يزيد على ما في كتاب (المطبوعات الحجرية في المغرب) بـ ٢١٧ عنوانًا - كما زعمت - ويقول هذا خطأ ؛ لأن العدد الصحيح في كتابه ليس فقط ٥٨٤ عنوانًا ، بل يزيد عن ٧٠٠

(١) انظر : المطبوعات الحجرية في المغرب ، فهرس مع مقدمة تاريخية ، فوزي عبد الرزاق ، الرباط : دار نشر المعرفة ، سنة ١٩٨٦ م ، ص ٨-١١ ، و ص ١٩١ (بتصرف)

عنوان ؛ لأن بعض الكتب تحتوي على عنوانين أو أكثر[١] .

ويقول إلياس سركيس إن كل الكتب المطبوعة في مدينة فاس طبعت طباعة حجرية[٢] .

نشأة المطبعات العربية في شبه القارة الهندية

هناك من يرى أن التاريخ الأقرب للصحة لبداية الطباعة الحجرية بالحروف العربية في شبه القارة الهندية عام ١٨١٥م، ويعتبر كتاب (ديوان المتنبي) هو أول الأعمال العربية المطبوعة حجريًا، وقد طبع في مدينة كلكتا عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م، بعناية أحمد بن محمد اليمني الشرواني، والمطبعة السلطانية في مدينة لكنو طُبع بها سنة ١٨٢٠م كتاب (المناقب الحيدرية) في مناقب غازي الدين حيدر ملك أورن، وقد ورد بتاريخ الأدب العربي لبروكلمان أن كتاب الموطأ في الفقه المالكي، للإمام أنس بن مالك قد طُبع حجريا بدهلي (دلهي) عدة مرات، كانت بدايتها عام ١٢١٦هـ أي عام ١٨٠١- ١٨٠٢م[٣] . قلت : وهذا مستبعد ؛ لأن أول ظهور الطباعة الحجرية في ألمانيا بلد المنشأ كان سنة ١٨٠١م، ومن المنطقي أن يكون (ديوان المتنبي) هو فعلًا أول كتاب طبع حجريًا في الهند سنة ١٨١٥م .

تقول د. هانم عبد الرحيم إبراهيم : " تعد البداية الحقيقية للاستخدام التجاري للمطبعة الحجرية بالهند عام ١٨٢٦م، وهو العام الذي اكتشف فيه بمنطقة كرنبول بمقاطعة مدراس بالهند أحد أجود أنواع الأحجار الكلسية المسامية المستخدمة في الطباعة الحجرية[٤] .

وتقول : ومن خلال التوزيعات العددية للمطبوعات الحجرية العربية على

---

(١) فوزي عبد الرزاق : "كتاب مغربي يؤرخ للمنشورات المغربية لكنه مليء بالأخطاء" ، صحيفة الشرق الأوسط ، الخميس ٠٦ صفر ١٤٢٦ هـ ١٧ مارس ٢٠٠٥ العدد ٩٦٠٦ ، (بتصرف)

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إلياس سركيس ، مطبعة سركيس بمصر سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، المقدمة (تنبيهات) .

(٣) المطبوعات الحجرية العربية : دراسة ببليوجرافية تحليلية ، د. هانم عبد الرحيم إبراهيم ، ص ٦٨

(٤) المصدر السابق، ص ٦٩

مستوى العالم ، والتي تم حصر بياناتها من خلال المصادر البيولوجية المختلفة ، والتي تم توزيعها جغرافيا على أماكن طباعتها بدول العالم من خلال الجدول رقم ١ تبين أن هناك ٥٠٤٠ مطبوعًا حجريًا كتبت بالحروف العربية ، كان نصيب شبه القارة الهندية منها ٢٠٨٥ كتابًا أي بنسبة 55,4 % ، ومصر ٧٦٢ كتابًا ، والمغرب ٧٥٥ كتابًا ، وأكثر المدن التي طبعت فيها الكتب الحجرية العربية هي : القاهرة ٧٥٥ كتابًا ، ثم فاس ٧٥١ كتابًا ، ثم لكنو (لكناو) ٦٢٤ كتابًا ، ثم دلهي ٥٤٣ كتابًا ، ثم بمباي ٤٠٦ كتب ، ثم لاهور ٣٤٤ كتابًا ، ثم بقية مدن الهند مثل كانفور وكلكتا وحيدر آباد الدكن وديوبند ، وشكلت الكتب الدينية نسبة ٥٤,٥ ٪ من الكتب المطبوعة طباعة حجرية في الهند ، وقد طبع كتاب (صحيح البخاري) ٣٢ طبعة مختلفة ، و(صحيح مسلم) ١٣ طبعة[١] .

تأسيس دائرة المعارف العثمانية

تأسست دائرة المعارف العثمانية عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م على يد علماء أجلاء : عماد الملك حسين البلجرامي ، وملا محمد عبد القيوم ، وشيخ الإسلام الحافظ محمد أنوار الله الفاروقي ، تحت رعاية الملك مير محبوب علي خان ، الذي أصدر مرسومًا ملكيًا سنة ١٣٠٨هـ بتأسيسها ، ثم في عهد سلطان العلوم الملك السابع مير عثمان علي خان ت ١٣٨٩هـ أصدر مرسومًا بإنشاء قسم لتصحيح الكتب وتحقيقها سنة ١٣٣٨هـ[٢] . وقد احتوى الفهرس الوصفي هذا على ٣١٧ عنوانًا من الكتب في شتى موضوعات العلوم ، ومن أقدمها كتاب (إعجاز البيان في تأول أم القرآن) ، لصدر الدين محمد بن إسحاق القونوي (ت ٦٧٣هـ) ، وكانت طبعته الأولى سنة ١٣١٠هـ[٣] ، وكتاب (كنز العمال) ، للعلامة علاء الدين بن حسام الدين ، المعروف

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠- ٩٢ (بتصرف)

(٢) الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، إعداد : عظمت الله الندوي ، وسيد أحمد زكريا الغوري ، الهند : دائرة المعارف الإسلامية بحيدر آباد الدكن ، ص ١ المقدمة ، وص ١ من الكتاب (بتصرف)

(٣) المصدر السابق ، ص ٧ .

بعلي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، برزت طبعته الأولى سنة ١٣١٢هـ[١] ، وكتاب (الخصائص الكبرى) ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) ، وكانت طبعته الأولى ١٣١٩هـ[٢] ، وكتاب (مسند أبي داود الطيالسي) سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) طبع سنة ١٣٢١ه على عدة نسخ ، منها نسخة عتيقة لمكتبة (خدا بخش) العمومية في بلدة بتنا - الهند[٣] .

وأقدم كتاب طبع حجرياً في الهند ورد في معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية لأحمد خان هو كتاب (تفسير الجلالين) ، دلهي المطبع الفاروقي سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م[٤] . قلت ولعل في ذلك أيضًا خطأ ؛ لأن الطباعة الحجرية كان أول ظهورها في سنة ١٨٠١م في ألمانيا ، ولعله طبع طباعة بالحروف المعدنية والله أعلم ، ولكن طُبع ديوان المتنبي مع شرحه ، لمحمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ) ، بعناية : أحمد بن محمد اليمني الشرواني في كلكتا سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥هـ طبعة حجرية[٥] ، وهو من أقدم المطبوعات الحجرية العربية التي طبعت في الهند .

يقول محمد عزيز شمس : بدأت حركة نشر التراث العربي في الهند منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عندما أنشئت مطابع في كلكتا لطباعة الكتب على الحروف ، وكان من أوائل ما نشر فيها كتاب (السراجية في الفرائض) ، للسجاوندي سنة ١٧٩٣م ، ثم أنشئت مطابع في مدن أخرى في الهند تطبع الكتب على الحجر ،

---

(١) الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، ص ٣٤
(٢) نفسه ، ٧٢ .
(٣) نفسه ، ص ٣٨ .
(٤) معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية ، د . أحمد خان ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٣٩١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

مثل مطبعة نولكشور في لكنو ، والمطبع الصديقي في لوفال ، والمطبع الفاروقي والأحمدي والأنصاري في دلهي[١] .

ويقول الأستاذ محمد أجمل الإصلاحي : وأنشئت أول مطبعة ليثوغرافية في دلهي عام ١٨٣٧م . وقد كثر عدد المطابع الحجرية في بضع سنين حتى وصل في سنة ١٨٥٣م إلى ٣٤ مطبعة في لكناوو ، وزاد عددها في نهاية القرن التاسع عشر على ٢ مطبعة في مدينة كلكتا وحدها[٢] .

ومن أشهر المطابع الليثيوغرافية التي خدمت الثقافة الإسلامية في الهند - والكتاب العربي جزء منها - نحو مائة سنة (١٨٥٨- ١٩٥٠) مطبعة المنشئ نولكشور (١٨٣٦-١٨٩٥)[٣] . يقول إلياس سركيس : جميع الكتب المطبوعة في بلاد الهند والعجم طبع حجر إلا ما ندر ، فأهملنا ذكر ذلك حبًا في الإيجاز ، وأشرنا بما هو مطبوع بالحروف في الأقطار المذكورة[٤] .

نشأة المطبعة الحجرية في مصر

يرجع ظهور فن الطباعة في مصر بمعناه الحديث إلى الحملة الفرنسية على مصر

(١) محمد عزيز شمس : أعلام المحققين في الهند وجهودهم في نشر التراث العربي الإسلامي الفصل الثالث من كتاب دور الهند في نشر التراث العربي ، تحرير : حفظ الرحمن محمد علي الإصلاحي ، وزارة الثقافة والإعلام السعودية ، كتاب المجلة العربية ٢١ ، ص ٧١ .

(٢) محمد أجمل أيوب الإصلاحي : مطبعة نولكشور وجهودها في نشر الكتاب العربي ، الفصل الرابع من كتاب دور الهند في نشر التراث العربي ، ص ٩٠ .

(٣) كاتب وصحفي أسس أعظم مطبعة في الهند البريطانية ، كان هندوكيا ، ولكنه خدم الثقافة الإسلامية ، وكانت مطبعته مجمعًا علميًا حافلًا ومؤسسة ثقافية ضخمة ، اجتمع فيها من العلماء والأدباء والشعراء والخطاطون والرسامون ما لم يجتمع في مؤسسة تربوية أخرى ، وأطلقت أولريكة ستارك Ulrike Stark على مطبعته اسم (إمبراطورية من الكتب) وذلك في عنوان كتابها عن المطبعة ، انظر : محمد عزيز شمس : أعلام المحققين في الهند ، ص ٨٧ ، ص ٩١ .

(٤) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، إلياس سركيس ، المقدمة (تنبيهات) .

١٧٩٨م- ١٨٠١م ، لتحقيق أغراض حملة نابليون بونابرت على مصر ، حيث زعموا أن الغرض من الحملة كشف مصر علميًا ، وكتابة مؤلفات عنها ، وكان للفرنسيين بمصر ثلاث مطابع : المطبعة الشرقية الفرنسية بالإسكندرية ، ومطبعة مارك أورل الملحقة بالجيش في القاهرة ، والمطبعة الأهلية بالقاهرة التي أنشأها المستشرق مارسل ، وجعل مكانها بالأزبكية[١] .

وفي عهد محمد علي أنشأ مطبعة بولاق سنة ١٨٢١م ، لتساعده في تحقيق هدفه بإنشاء دولة قوية ، وأصدرت أول مطبوعاتها سنة ١٨٢٢م ، وهو (قاموس طالباني عربي) ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م ، وكتاب (صناعة صباغة الحرير) ، ترجمة : رافائيل زاخور سنة ١٢٣٨هـ[٢] .

ولم تكن مطبعة بولاق مطبعة حروف فحسب ، بل كان يوجد فيها مطابع حجرية[٣] . وتم استقدام المطبعة الحجرية الأولى لمصر التي زودت بها مطبعة بولاق بعد عام ١٨٢٢م ، وتعد النوتات الموسيقية الخاصة بالجيش المصري هي أول المطبوعات الحجرية في بولاق ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م[٤] . وأول مطبعة حجرية رسمية أنشئت بعد مطبعة بولاق كانت مطبعة مدرسة الطب بأبي زعبل ، وفيها مطبعة حجرية يعمل فيها مصريون لطبع ترجمات أجود المؤلفات الطبية ولوحات التشريح التي ينقلونها نقلا غاية في الدقة ، ويبدو أن هذه المطبعة ظلت تطبع بواسطة الحجر حتى سنة ١٨٣٣م على الأقل ، ذلك أن كتب الطب كانت لا تخلو من الرسومات الإيضاحية التي لم يكن في الاستطاعة نقلها إلا بالطباعة الحجرية ؛ لعدم اكتشاف وسيلة الحفر على

---

(١) تاريخ مطبعة بولاق ، د . أبو الفتوح رضوان ، ص ١٧-٢٢ (بتصرف) .

(٢) أوائل المطبوعات المصرية : دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية ، د . جيهان محمد السيد ، ص ٦٥ .

(٣) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، ص ١٥٥ .

(٤) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، ص ١٦٢ . وانظر المطبوعات العربية الحجرية ، د . هانم عبد الرحيم ص ٧٤ قلت : وهذا فيه نظر ؛ لأن هناك من المطبوعات الحجرية الصادرة عن مطبعة بولاق قبل هذا التاريخ .

الزنك بعد[١] . ومن هذه المطابع التي تطبع طباعة حجرية مطبعة الطوبجية بطرة ، ومن مطبوعاتها (الكنز المختار في كشف الأراضي والبحار) ، قام بتصحيحه رفاعة الطهطاوي سنة ١٢٥١هـ / ١٨٣٤م ، وكتاب (كليلة ودمنة) سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٥م ، وتذكر الوقائع المصرية أن ديوان الجهادية صرف حجرين من أحجار الطباعة ، وحجرين من حجارة الصقل وحبر وأقلام وصمغ[٢] . ولم تقتصر المطابع على القاهرة والإسكندرية ، بل انتشرت أيضًا في عواصم المديريات ، وكانت معظم تلك المطابع حجرية[٣] .

أما المطابع الخاصة التي تعمل بالحجر فقد كان ظهورها مبكرًا جدًا في عهد سعيد ، فقد صدر عن مطبعة حجرية خاصة سنة ١٨٥٦م كتاب (سفينة الملك ونفيسة الفلك) ، تأليف : الشيخ شهاب الدين ، مصحح العلوم بمطبعة بولاق وشاعر محمد علي ، ويبلغ عدد صفحاته ٤٩٦ صفحة ، وهو مطبوع طبع حجر كما يقول دكتور أبو الفتوح رضوان ، وفي آخره " كان تمام طبعها بالمطبعة الحجرية بمصر المحمية مصححة على تصحيح مؤلفها في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٧٣هـ " أي في ديسمبر ١٨٥٦م[٤] .

ومن أوائل الكتب التي طبعت طباعة حجرية :

- شرح الأجرومية ، تأليف : حسن الكفراوي (ت ١٣٠٢هـ) ، طبعة بولاق سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م [٢٤٩نحو] .

- مختصر مشارع الأسواق إلى مصارع العشاق ، ومثير الغرام إلى دار السلام ، لأحمد بن إبراهيم ابن محمد النحاس الدمشقي (محي الدين الدمياطي ت

(١) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، ص ١٦٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
(٣) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، ص ١٧٦ .
(٤) تاريخ مطبعة بولاق ، د . أبو الفتوح رضوان ، ص ٣٨١- ٣٨٢

٨١٤هـ) ، بولاق سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م (في فضل أنواع الجهاد) [١١٩٧ تصوف][١] .

- وفي سنة ١٢٤٧هـ- ١٨٣١م تم طبع أول كتاب موسيقي على الحجر ، وقد عين لهذا الغرض أحد المختصين في الموسيقا ، وأرسلت إليه من بولاق ملزمة حجر ؛ ليباشر عمله[٢] .

وقد حصرت د . هانم عبد الرحيم كتابًا بعنوان : (حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على العقائد النسفية) ، وبالهامش تعليقات من حاشية الكلنبوري ، وهناك نسخة موجودة في مكتبة كلية الأزهر ، وبيانات الطبع سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م ، قالت : " وإذا كان ذلك صحيحًا فيحتمل أن يكون الطبع بمطبعة بولاق ، فلم تسجل أي مطبعة أهلية قبل ذلك التاريخ ، وبذلك يمكن اعتباره أول عمل مطبوع حجريًا من غير الكتب الخاصة بالشئون الحكومية[٣] .

ويحدد الدكتور محمود الطناحي أنواع المطابع في مصر في الآتي :

- مطبعة بولاق

- مطابع إدارات الجيش والمدارس الحكومية (٦ مطابع)

- المطابع الأهلية (٥٧) مطبعة أهلية

ويعبر عن غزارة الإنتاج في جميع الميادين بقوله : " وإذا كانت مطبعة بولاق قد بدأت نشاطها نحو ١٨٢٠م ، ثم تبعتها المطابع الأهلية بعد نحو أربعين عامًا ، وإذا كان

---

(١) قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢هـ ، محمد جمال الدين الشوربجي ، مطبعة دار الكتب ، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٣٦ .

(٢) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، ص ١٦٢ .

(٣) المطبوعات الحجرية العربية ، د . هانم عبد الرحيم ، ص ٧٥ .

القرن التاسع عشر ينتهي عند تمام ١٨٩٩م ، فإن المرء يعجب لغزارة الإنتاج وفيض الكتب التي جادت بها مطبعة بولاق والمطابع الأهلية في كل علم وفن ، بالكتب الصغار والأوساط والكبار في الميادين الثلاثة : الترجمة ، والإحياء ، والتأليف[1] .

وأورد الدكتور الطناحي نماذج من الكتب الموسوعية التراثية التي طبعتها بولاق :

- ألف ليلة وليلة ، طبعة أولى ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، للقسطلاني ، طبعة أولى ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م ، والثانية ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م .
- خطط المقريزي ، وهو المسمى المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م .
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م .
- مقدمة ابن خلدون ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، في علوم البلاغة ، للعباسي ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م .
- الفتوحات المكية ، لابن عربي ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ١٢٥٧هـ- ١٢٩٩هـ/ ١٨٥٨م-١٨٨١م
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م
- مفاتيح الغيب ، وهو تفسير الفخر الرازي ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م[2] .

---

(١) الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر : تأريخ وتحليل ، د . محمود محمد الطناحي ، كتاب الهلال ، سلسلة شهرية تصدرها دار الهلال ، القاهرة ، العدد ٥٤٨ ربيع الأول ١٤١٦هـ / أغسطس ١٩٩٦م ، ص ١٥٢ ، وانظر صفحات (٧٥-٧٩) ، وصفحات (٨١-١٢٨) .

(٢) الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر : تأريخ وتحليل ، د . محمود محمد الطناحي ص ٧١-٧٢ .

ويذكر د . الطناحي أن مطبعة الأفندي هي أقدم مطبعة أهلية ، وأقربها إلى بداية الطباعة في مطبعة بولاق ، وكان أول مطبوعاتها الحجرية عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م ، وهو كتاب حاشية الشيخ حسن محمد العطار على شرح الأزهرية ، للشيخ خالد الأزهري[١] .

وأدى انتشار الطباعة الحجرية وكثرة مطابعها وتعدد أماكنها إلى التنافس بين المراكز الثقافية في العالم العربي والإسلامي ، بين مدن القاهرة واستانبول وبيروت ودلهي وكلكتا ، وغيرها من المدن ؛ مما أسهم في نهضة حضارية وثقافية كبيرة ، يقول د . الطناحي : " إن ثقافة العالم العربي والإسلامي في ذلك القرن التاسع عشر قد خرجت من عشرة كيلو مترات في وسط القاهرة - هي تلك المطابع التي قامت في المنطقة - مضافًا إليها تلك الرقعة المحدودة في رملة بولاق على ضفاف النيل التي سميت مطبعة بولاق"[٢] .

تصحيح المطبوعات

عنيت المطابع ، خاصة مطبعة بولاق ، عناية خاصة وفائقة بتصحيح ومراجعة المطبوعات ، وقام على عملية التصحيح وضبط الكتاب والمقابلة على النسخ والأصول علماء اشتهروا بهذا ، وهم الذين كانوا يذكرون الأصول والنسخ التي اعتمد عليها طبع الكتاب ، وكذلك ذكر روايات الكتاب المختلفة ، وروايات الأصول التي اعتمد عليه صاحب الكتاب نفسه ، ومن هؤلاء : العالم محمد بن محمد الحسيني ، والشيخ نصر بن محمد العادلي مصححا كتاب (الأم) ، للإمام الشافعي ، والشيخ محمد قاسم مصحح كتاب (خزانة الأدب) ، والشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقطي؟؟ والشيخ عبد الغني محمود مصححا كتاب (المخصص) ، وغيرهم كثير[١]

(١) الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر ، ص ١٤٧

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠

. وقد طارت شهرة عظيمة لهؤلاء العلماء المصححين ، واقتدى بهم غيرهم في خارج مصر يقول محمد ذهني مصحح طبعة صحيح البخاري ، المطبوعة في استانبول سنة ١٣١٥هـ : " وشكر الله مساعي أفاضل العلماء من مصححي المطابع المصرية الأماثل الكرماء ، فإن فضيلة التقدم لهم ، وغيرهم حاذٍ في هذا الأمر حذوهم"(٢) .

دور الملتزمين في إحياء التراث :

وقد كان الملتزمون (الناشرون) لهم دور كبير في إحياء التراث والتكلف بطباعته ونشره ، وقد صدر قانون سنة ١٨٢٣م بأمر من الوالي بطبع الكتاب على نفقة الملتزم تنفيذا للقانون ١٣ يولية سنة ١٨٢٣م(٣) .

لم يكن كل ما يطبع على نفقة الدولة ، بل كانت هناك جهود ناشري الكتب وأصحاب المكتبات ، كما كان هناك جهود لأهل العلم ، وكذلك لأهل الخير في نشر كثير من المطبوعات العتيقة ، كما يقول الدكتور الطناحي ، ومن هؤلاء :

- السيد عمر حسين الخشاب ، صاحب المطبعة الخيرية ، الذي طبع على نفقته تفسير الطبري ، في ثلاثين جزءاً ، بتصحيح : الشيخ نصر العادلي .

- مصطفى الحلبي ، صاحب المطبعة الميمنية ، الذي أنفق على طبع تفسير الزمخشري (الكشاف) الذي طبعته مطبعة بولاق سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م .

ومن أهل العلم :

- أبو الطّيب صديق بن حسن بن علي القنّوجي البخاري (ت ١٣٠٨هـ) ، فقد طبع على نفقته كتاب (فتح الباري شرح صحيح البخاري) في ثلاثة عشر جزءاً ، ومقدمته (هدي الساري) في جزء منفصل سنة ١٣٠٧هـ ، بتصحيح : محمد الحسيني .

---

(١) انظر : الكتاب المطبوع بمصر ، د . محمود الطناحي ، ص ٣٥- ٣٨

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨

(٣) الكتاب العربي المطبوع ، ص ١٦٧

- أحمد بك الحسيني الذي أنفق أمواله وممتلكاته على طبع كتاب (الأم) ، للشافعي ، وبهامشه ثلاثة كتب ، بتصحيح : الشيخ نصر محمد العادلي ومحمد الحسيني ، سنة ١٣٢٥هـ .

ومن أهل الفضل :

- الخواجة رفائيل عبيد الذي أنفق على طبع خطط المقريزي المطبوع ببولاق سنة ١٢٧٠هـ ، بتصحيح : الشيخ عبد الرحمن قطة العدوي .

- الشيخ محمد حسن عيد الذي أنفق على طبع كتاب صحيح البخاري طبعة بولاق سنة ١٣١٣هـ .

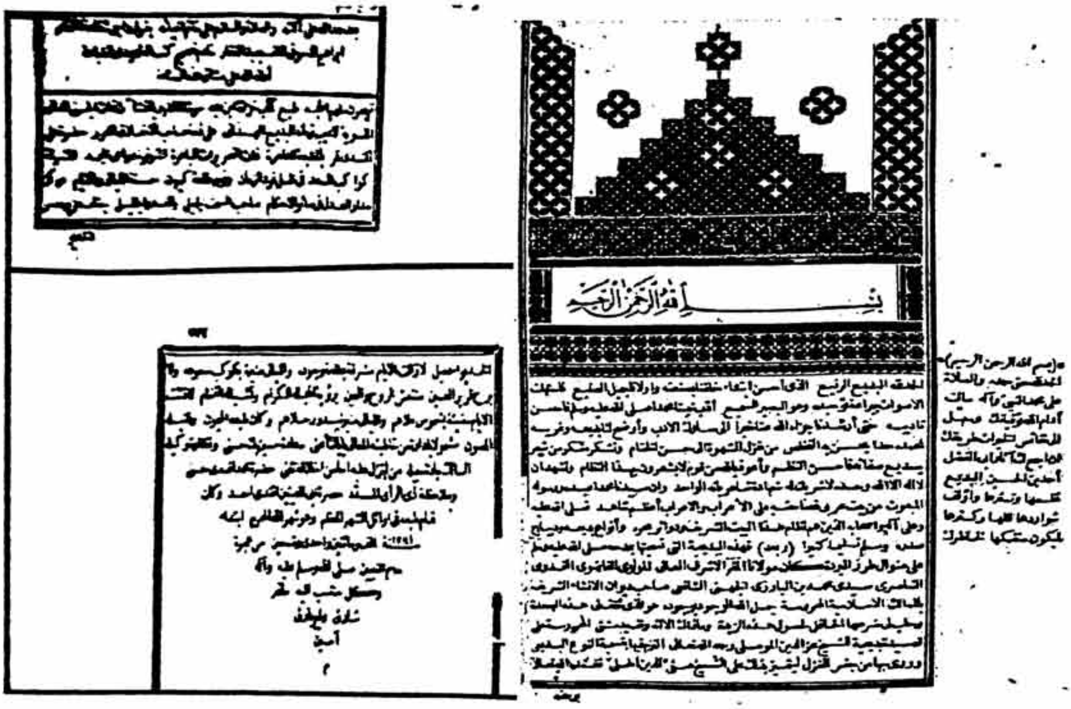
وغيرهم كثير ذكرهم الدكتور محمود الطناحي ، كان لهم الفضل في طبع كثير من الكتب العتيقة وأمهات الكتب ، مثل : خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) ، طُبع سنة ١٢٩١هـ ، والمخصص في اللغة ، لابن سيده ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردي ، وكتاب الأغاني ، للأصفهاني ، والأمالي ، لأبي علي القالي ، وغيرها كثير[١] .

ويقول الدكتور الطناحي : " إن مرحلة طبع الكتب في القرن التاسع عشر شهدت ظاهرة طبع الكتب بهامش الكتب ، وهذه الكتب المطبوعة على هوامش الكتب يغفل الناس عنها أحيانًا ، وبعضها طبع مستقلًا ، وبعضها لم يطبع غير تلك الطبعة بهامش الكتاب الأصلي ، ومن ذلك كتاب شرح الشواهد الكبرى ، للعيني ، طُبع بهامش خزانة الأدب ، للبغدادي بمطبعة بولاق ، ولم يطبع غير تلك الطبعة "[٢] . ويقول رحمه الله : " وقد أطلت بنقل هذه المقدمات ؛ لأنها تمثل تاريخًا مضيئًا لهؤلاء الرجال العظام ، ينبغي أن يسجل وينوه به ، لعل فيه حافزًا وعونًا لأثرياء هذا الزمان ، وقد

(١) انظر : الكتاب المطبوع بمصر ، د . محمود الطناحي ، ص ٤٦ - ٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

أردت أيضًا أن أريك أيها القارئ الكريم كيف جمع حب الكتاب ونشره بين الهندي والحجازي والمصري والتونسي ، وهو تجمع عربي إسلامي شامخ ، قبل أن تكون للعرب جامعة"[١] .



خزانة الأدب وغاية الأرب ، لابن حجة الحموي ، وبهامشه رسائل بديع الدين الهمذاني

المحور الثالث : أهمية الطبعات الحجرية العربية

يقول الدكتور محمود الطناحي : " إن كثيراً من المطبوعات قديمًا تعد الآن في حكم المخطوطات من حيث ندرة وجودها ، وصعوبة الوصول إليها ، ومعرفة حقيقة أمرها[٢] .

كانت الطباعة الحجرية المرحلة الوسيطة بين المخطوط والمطبوع ، فقد رفضت العقلية العربية في البداية الكتاب المطبوع بالمطبعة الأجنبية الأوروبية حتى ولو

(١) انظر : الكتاب المطبوع بمصر ، ص ٦١ .

(٢) الكتاب المطبوع في القرن التاسع عشر ، د . محمود الطناحي ، ص ١٥٦

استخدمت حروفا عربية معدنية ؛ وذلك خوفًا من الأخطاء الطباعية والمطبعية التي يمكن أن تقع في الكتاب ، خاصة القرآن وكتب السنة والشريعة ، ولم تكن الثقافة العربية تتذوق هذا النوع الجديد من الكتب ؛ ولذلك بعد اكتشاف المطبعة الحجرية ، أقبل عليها المسلمون إقبالًا كبيراً ؛ لما تميزت به من ميزات كثيرة عن الطباعة بالحروف المعدنية السابقة ، فقد كانت أقرب لشكل المخطوط العربي الذي اعتاد عليه القارئ العربي ، وأسهمت في تعويد القراء على قراءة الكتاب المقروء ؛ لما لها من مزايا كثيرة ، منها :

- مرونة وسرعة استنساخ النصوص والخرائط والرسوم عن المطبعة بالحروف الناتئة .
- مرونة نسخ الخط العربي بكل أمانة ودقة ؛ نظراً لأنه يكتب على الحجارة بخط اليد .
- تناسب الذوق العربي في القراءة والكتابة وقتئذ .
- قدرة الناسخين على تعاطي هذا الفن الجديد ، والتحول تدريجيًا من مهنة الناسخ إلى مهنة المطبعي .
- قلة تكاليف إنشاء مطبعة حجرية بالنسبة للتكاليف الباهظة التي تحتاجها مطبعة بالحروف المعدنية الناتئة(١) .

وقبل كل ذلك كان الكتاب المطبوع طباعة حجرية صورة من الكتاب المخطوط حيث يكتب بالخط لكبار النساخ ، وتستخدم فيه الحواشي مع المتن ، وكذلك اصطلاحات النساخ القدماء من وضع علامات لاختلاف النسخ ، وصحة العبارة أو الكلمة ونحوها ، وكتابة تعليقات وشروح وسماعات في الحواشي وفي طرة الكتاب ، وأيضًا المقابلة والتصحيح ، مع التميز عن المخطوط بالتخلص من أخطاء الكتابة ورداءة الخط ، وكثرة النسخ المطبوعة من الكتاب الواحد ، بعكس الكتاب المخطوط .

(١) بداية الطباعة العربية ، د . وحيد قدورة ، ص ٣١١ - ٣١٢ (بتصرف)

تقول الدكتورة هانم عبد الرحيم : إن توفر الخامات والعمالة اللازمة للطباعة الحجرية وقلة تكاليفها ساعد على انتشارها في العالم الإسلامي ، ووجود الناسخ الذي يقوم بالنسخ بخط جميل ، ثم المراجعة والتصحيح من العلماء والدارسين ، أسهم في تقبل الكتاب المطبوع بالحجر ؛ لأنه أقرب لنفوس القراء الذين تعودوا على المخطوطات ، وزاد من أهمية الطباعة الحجرية زيادة الطلب على الكتب الدينية ، وكثرة الدارسين بها[١] .

وقد قدمت المطبوعات الحجرية العربية خدمة علمية كبيرة للثقافة العربية ، حيث حملت وصفًا موجزًا ومختصرًا لهذه الأصول الخطية التي اعتمدت عليها ، يقول الدكتور الطناحي : " ومن ذلك : ما جاء في آخر لسان العرب المطبوع في آخر ١٣٠٠هـ -١٣٠٨هـ / ١٨٨٢- ١٨٩٠م ، حيث ذكر مصححه الشيخ محمد الحسيني أن هذه الطبعة اعتمدت على نسخة ابن منظور نفسه ، كانت في وقف السلطان الأشرف برسباي ، ونسخة أخرى أحضرت من مكتبة راغب باشا باستانبول"[٢] ، ويقول أيضًا : " ومن ذلك أيضًا ما جاء في صدر (الأم) ، للشافعي ، الذي صدر الجزء الأول منه ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، وصدر السابع ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، " اعلم أنه قد حصلت لنا عدة نسخ من الأم ، ومنها بعض أجزاء عتيقة بخط ابن النقيب ، منقولة من نسخة بخط سراج الدين البلقيني ، تفردت بزيادات مترجمة معزوة لبعض مؤلفات الشافعي رحمه الله ، مثل كتاب (اختلاف الحديث) وكتاب (مالك والشافعي) ، ونحوهما ، وربما كان في هذه الزيادات تكرار لبعض ما اتفقت عليه النسخ ، ولكنها مع ذلك لا تخلو عن فوائد من فروع وتوجيهات للإمام رحمه الله ؛ ولهذا أثبتنا تلك الزيادة بهامش هذا المطبوع إن اتسع لذلك ، وإلا جعلناه في الصلب بعد عبارة الأم مفصولًا بينهما بجدول ، والله المستعان"[٣] . ولكن هذا الوصف الموجز

(١) المطبوعات الحجرية العربية ، د . هانم عبد الرحيم ، ص ٦٣ - ٦٦ (بتصرف)

(٢) الكتاب المطبوع في القرن التاسع عشر ، د . محمود الطناحي ، ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٢ ، ويقول في الهامش : انظر إلى هذا الكلام الجيد النفيس الذي كتبه في غالب الأمر أحمد بك الحسيني - الذي أنفق على طبع الأم - . . . والذين صوروا الأم بعد ذلك أسقطوا هذا الكلام ، فانظر وتأمل أيَّ جناية جناها هؤلاء الناس ، وإلى الله المشتكى .

للأصول ، كما يقول د . الطناحي : " سكت عن وصف المخطوطات وصفًا علميًا من حيث تاريخ النسخ ومكانه ، ونوع الخط والحبر ، وعدد الأوراق والأسطر ، وما قد يكون على المخطوطة من إجازات وسماعات وتملكات وبلاغات ، إلى سائر هذه الأمور التي استقر عليها علم التحقيق والتوثيق "[١] . ويقول : إن هذه المطبوعات التي أشير فيها للأصول على وجه الإيجاز والاختصار أحسن حالًا من المطبوعات التي أبهمت تمامًا الأصول التي رجعت إليها ، أو تلك التي تلفت عند نسخها للطباعة الحجرية ، فإن بعض العمال كان يتخلص من المخطوطة بعد طباعتها[٢] . يقول الدكتور محمود الطناحي : " ولقد رأيت مرة عند بعض الوراقين - باعة الكتب القديمة - أوراقًا من كتاب مخطوط ، ورأيت آثار يد وأحبار عليها ، في غير مكانٍ منها فتعجبت من ذلك ، ولكن عجبي زال حين أخبرني الوراق أن هذه آثار يد الجميع - يعني عامل المطبعة - الذي كان يجمع من المخطوط مباشرة "[٣] .

وتعود القيمة العلمية الكبرى للمطبوعات الحجرية إلى كونها حفظت كثيرًا من المخطوطات التي فقدت أصولها الآن ، أو تعثر الوصول إليها ، مثل كتاب (الأم) ، حيث فقدت النسخة الخطية التي كانت محفوظة بدار الكتب المصرية ، وكذلك النسخة اليونينية لصحيح البخاري ، التي اعتمدت عليها طبعة بولاق سنة ١٣١٣هـ ، وهي التي تسمى بالطبعة السلطانية ، حيث أمر السلطان عبد الحميد بإرسال النسخة اليونينية - التي كانت موجودة في إحدى مكتبات استانبول- إلى مصر ؛ للاستعانة بها في طبع ونشر صحيح البخاري هناك ، ثم فقدت هذه النسخة ولا يعرف مصيرها حتى الآن ، كما يقول فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي[٤] .

ومن أهمية الطبعات الحجرية العربية أنها حملت بواكير التحقيق العلمي

(١) الكتاب المطبوع في القرن التاسع عشر ، ص ٤٣ .
(٢) نفسه ، ٤٣ (بتصرف) .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٤) انظر : تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ١/ ٢٢٧ .

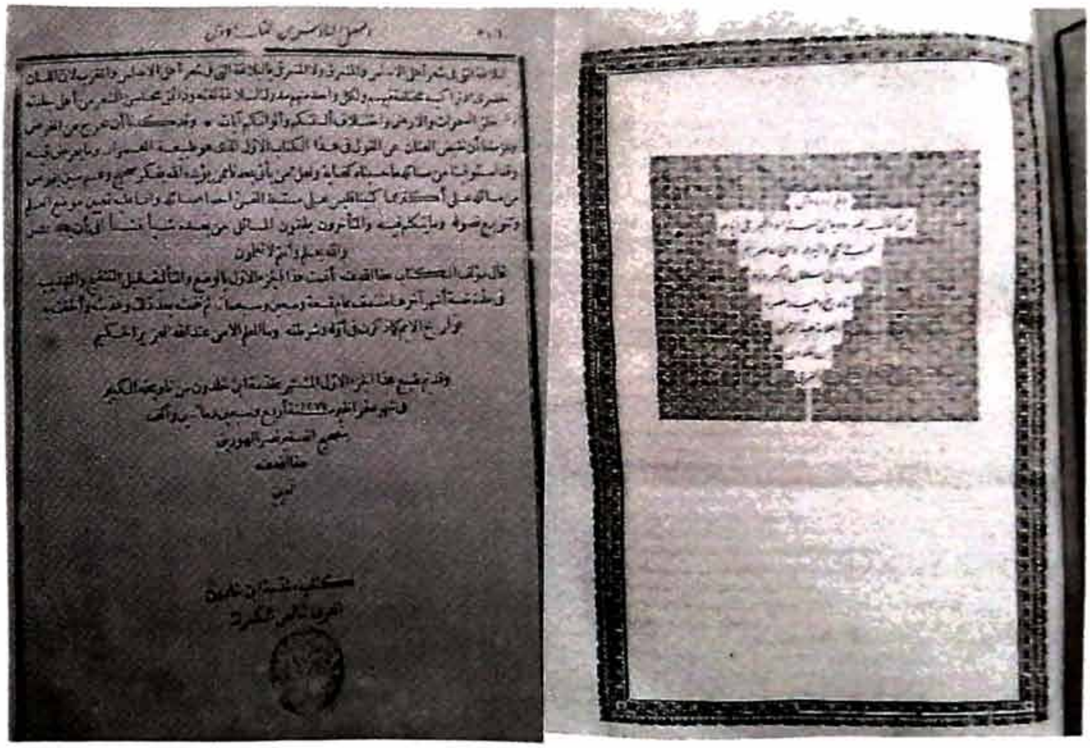
وإرهاصاته كما يقول د . الطناحي من ذكر رموز النسخ وفروق قراءاتها ، ثم الإشارة إلى الروايات المختلفة ، وذكر ذلك كله بالهامش ، مثال طبعة بولاق السلطانية لصحيح البخاري المعتمدة على النسخة اليونينية ، للحافظ شرف الدين علي بن محمد اليونيني (ت ٧٠١هـ) ، وقد حرر اليونيني في هذه النسخة روايات البخاري ، وذكر فروقها ، ثم صنع للرواة رموزاً ، وبذلك يكون قد سبق المحققين في هذا الزمان . أولئك الذين اصطلحوا على رموز نسخ المخطوطات ، وقد حافظت طبعة بولاق على رموز اليونيني وفروق رواياته ، ووضعت ذلك كله على حاشية الطبعة ، وجاء في صدر الجزء الأول المطبوع من تاريخ البخاري : وجدت في النسخ الصحيحة المعتمدة التي صحح عليها هذا المطبوع رموز لأسماء الرواة ومنها : ٥ لأبي ذر الهروي - ص للأصيلي - سـ لابن عساكر - ط لأبي الوقت - ه للكشميهني - حـ للحموي - سـ للمستملي - ك لكريمة المروزية . . . إلى رموز أخرى للمجاهيل من الرواة ومن النسخ الأخرى ، وعلامات التضبيب (الشطب) إلى غير ذلك[1] .

وفي سنة ١٩٢١م استقر الرأي على نقل القسم الأدبي ومطبعته من دار المطبعة الأميرية إلى دار الكتب المصرية ، وتقبل هذه المطبعة طبع المؤلفات العلمية والأدبية على نفقة ناشريها ، أو أصحابها ، وهدفها إحياء الآداب العربية بنشر أمهات الكتب[2] . وكانت في بدايتها تحت نظارة حسين باشا الحسيني (ت ١٣٠٢هـ - ١٨٨٣م) .

وفي عصرنا الحالي تتضح أهمية الطبعات الحجرية في كونها أصبحت أصولًا أخرى للمخطوطات التي يراد نشرها ، يقول الدكتور محمود الطناحي : " لقد أشرت من قبل إلى أن كثيراً مما طبع في مراحل الطبع الأولى ، لا تعرف طبيعة الأصول الخطية التي طبع عنها ، فالذي يريد تحقيق مخطوط الآن : عليه بعد أن يجمع

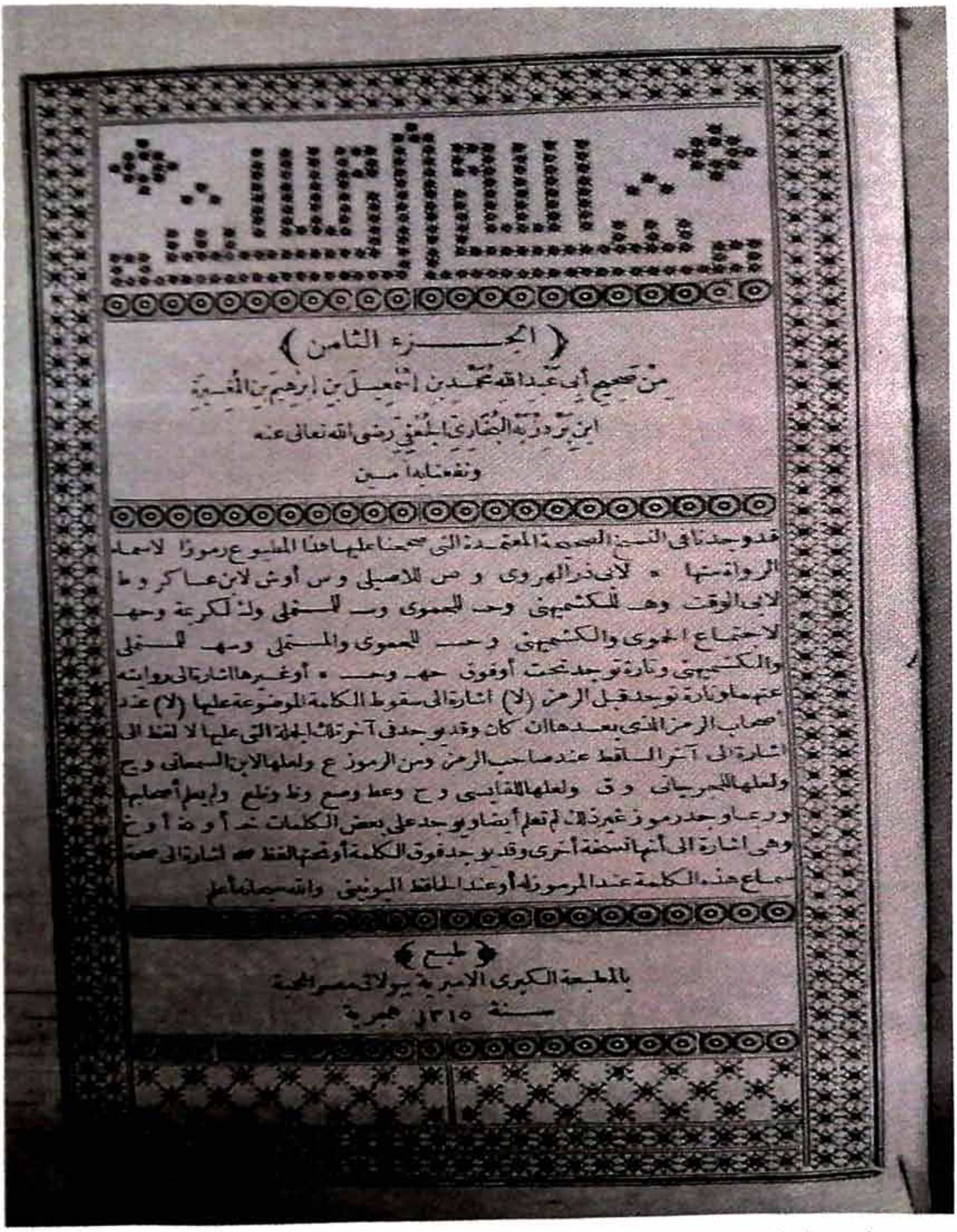
(١) الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر ، د . محمود الطناحي ، ص ٤٤ - ٤٥ .
(٢) تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، خليل صابات ، ص ٢٣١ .

مخطوطاته المتاحة له من الشرق والغرب أن يبحث أيضًا عن مطبوعاته القديمة ، إن كان قد طبع من قبل ، فهذه المطبوعات القديمة بمثابة أصول أخرى للكتاب المراد نشره وتحقيقه ، فلعل هذا المطبوع قد قام على أصل مخطوط جيد لا نعرفه[١] .


والله يعلم وأنتم لا تعلمون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون ، يتضح فيه الاهتمام بالعنوان في الصفحة الأولى وزخرفتها ، ويتضح فيه أيضًا الاهتمام بحرد الكتاب كما هو معروف بنسخ المخطوطات ، وإضافة اسم المصحح وتاريخ الطبع .

(١) الكتاب المطبوع بمصر ، د . محمود الطناحي ، ص ١٥٧ .



(الجزء الثامن)

من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسمعيل بن إبرهيم بن المغيرة

ابن بردزبه البخاري الجعفي رضي الله تعالى عنه

ونفعنا به آمين

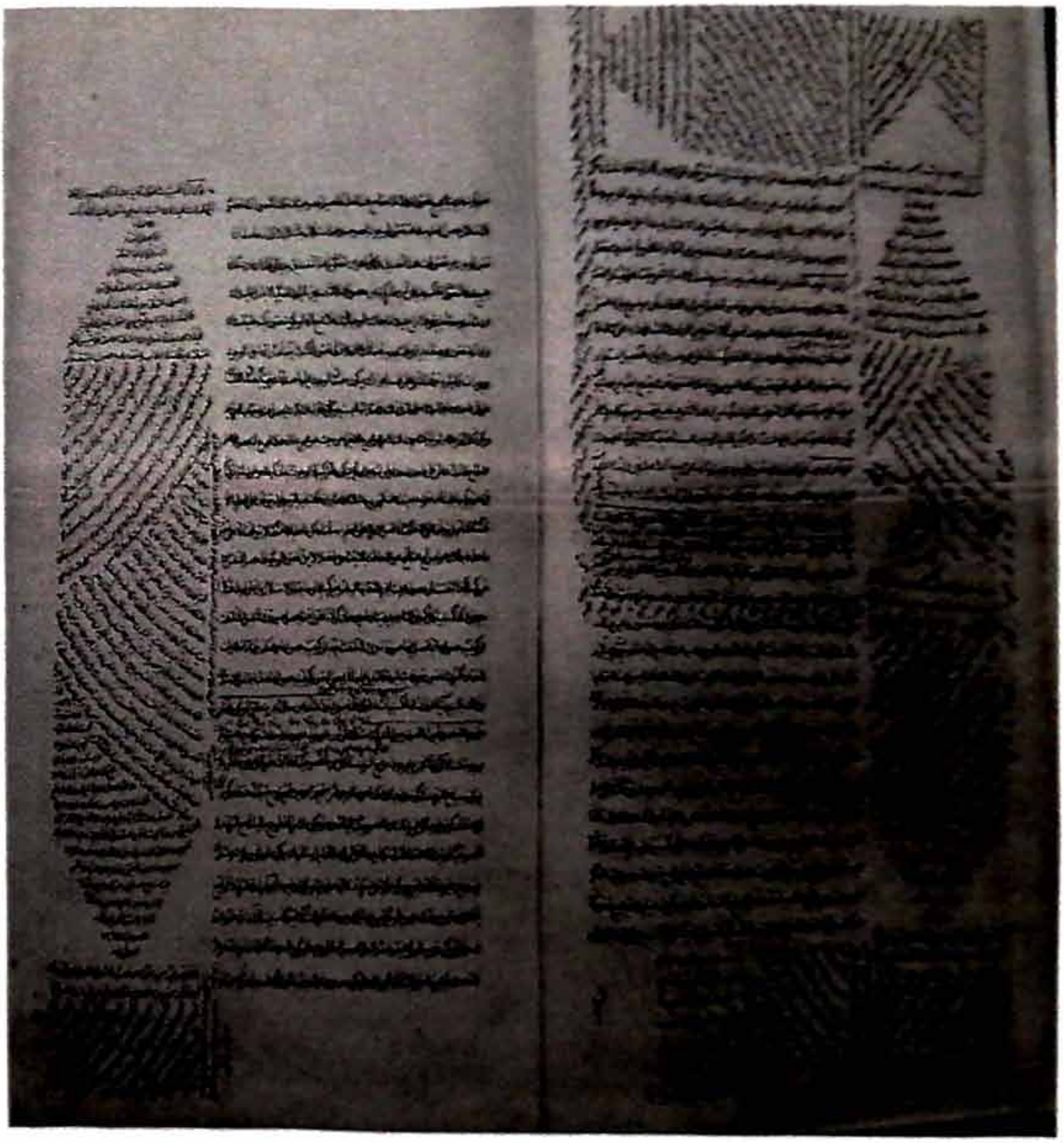
قد وجدنا في النسخ الصحيحة المعتمدة التي صححنا عليها هذا المطبوع رموزًا لأسماء الرواة منها ه لأبي ذر الهروي و ص للأصيلي و س أو ش لابن عساكر و ط لأبي الوقت و هـ للكشميهني و ح للحموي و ـ للمستملي و لـ لكريمة و حهـ لاجتماع الحموي والكشميهني و حـ للحموي والمستملي و سهـ للمستملي والكشميهني وتارة توجد تحت أو فوق حهـ وحـ ه أو غيرها إشارة إلى روايته عنهما وتارة توجد قبل الرمز (لا) إشارة إلى سقوط الكلمة الموضوعة عليها (لا) عند أصحاب الرمز الذي بعدها إن كان وقد يوجد في آخر ثلاث الجملة التي عليها لا لفظ إلى إشارة إلى آخر الساقط عند صاحب الرمز ومن الرموز ع ولعلها لابن السمعاني و ج ولعلها للجرياني و ق ولعلها للقابسي و ح وعط وصع وظ وطع ولم يعلم أصحابها وربما وجد رموز غير ذلك لم تعلم أيضا ويوجد على بعض الكلمات خ أ و ض أ و خ وهي إشارة إلى أنها نسخة أخرى وقد يوجد فوق الكلمة أو تحتها لفظ صح إشارة إلى صحة سماع هذه الكلمة عند المرموز له أو عند الحافظ اليونيني والله سبحانه أعلم

(طبع)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٥ هجرية

الجزء الثامن من صحيح البخاري ، طبعة بولاق سنة ١٣١٥هـ ، وفيه الإشارة إلى المحافظة على رموز روايات البخاري التي اعتمدت عليها نسخة اليونيني ، وغيرها من النسخ والراويات .



كتاب (شرح تجريد الكلام)، لمحمد بن محمد الطوسي، مع شروحه وحواشيه ممن لا بد من ذكره، كتبه الناسخ عبد الفتاح بن عبد الرحيم، وانتهى من تسويده متناً وهامشاً في الثلث الثاني من شهر ذي القعدة، في قرية علي آباد من محال أذربيجان، وطبع سنة ١٣٠٧هـ، وطبع في دار طبع الحاج أحمد أتا كتاب فروشي، وفيه تتضح مدى مهارة الناسخ في كتابة المتن والشروح المتعددة، كأنك تنظر في مخطوطة وليس في كتاب مطبوع طباعة حجرية.

جهود حفظ الطبعات الحجرية العربية

اختلطت جهود حفظ الطبعات الحجرية وفهرستها ومعرفة أماكن تواجدها والمطبعات التي طبعتها بغيرها من أوائل المطبوعات الحجرية والمطبوعة بالحروف المعدنية ؛ وذلك لأهمية أوائل المطبوعات كما سبق .

وقد تمثلت هذه الجهود في مجالات منها :

أولًا - محاولات الجمع والفهرسة

هناك جهود مبكرة لحفظ هذه الطبعات الأولى ، ففي ١٦ محرم سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٦م) أُجري إحصاء بعدد نسخ الكتب التي قامت بولاق بطبعها على نفقة الميري ، فبلغت ٣٠٢٨٤٣ نسخة ، أما الكتب التي طبعت على ذمة الملتزمين فقد بلغت ١٠٢٢٣١ نسخة ، وكان ديوان المدارس قد طبع كشفًا بأسماء الكتب المطبوعة على حساب الميري . . . فقد طبع هذا الفهرس مشتملًا على أسماء جميع الكتب المطبوعة ببولاق سواء كانت على ذمة الميري أو على ذمة الملتزمين ، وقد أرسلت نسخ من هذا الكتاب أو الفهرست إلى كل ديوان ومديرية صحبة نسخ الوقائع[١] .

وقد كانت هناك جهود كبيرة في فهرسة أوائل المطبوعات ، وتشتمل أيضًا على طبعات حجرية وغيرها ، منها :

- معجم المطبوعات العربية والمعربة ، المؤلف : يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت ١٣٥١هـ) الناشر : مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية ، مع ذكر أسماء مؤلفيها ، ولمعة من ترجمتهم ، وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩هـ الموافقة لسنة ١٩١٩م .

---

(١) تاريخ الطباعة في الشرق ، خليل صابات ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

- قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢م ، إعداد : محمد جمال الدين الشوربجي ، مطبعة دار الكتب ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م . واحتوى الكتاب على ٨٥١ عنوانًا . وقالت د . جيهان السيد : وقد بلغ إجمالي ما تحتويه من أوائل المطبوعات العربية ٣٨٠ كتابًا(١) .

- قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب من سنة ١٨٦٢م إلى سنة ١٩٥٥م ، إعداد : عايدة حنفي ذكر الله ، دار الكتب والوثائق القومية ، سنة ٢٠٠٥م .

- أوائل المطبوعات العربية في العالم حتى نهاية القرن التاسع عشر ، فوزي تادرس ، منشورات المجمع الثقافي بأبي ظبي ، ط١ . سنة ١٩٩٦م .

- كاتالوج ذخائر المؤلفات القديمة بالحروف الطباعية العربية بالمكتبة الإسلامية بمدريد ، تأليف : نوريا تورس وآخرين ، ترجمة : باهرة عبد اللطيف ياسين ، الناشرة : لويسا مورا بيارخو ، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي من أجل التنمية ، سنة ٢٠١٥م .

- معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول المطبعة إليها حتى عام ١٩٨٠م ، إعداد الدكتور أحمد خان ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- أوائل المطبوعات المصرية : دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية ، د . جيهان محمد السيد ، الإسكندرية : دار الثقافة العلمية ، سنة ٢٠٠٠م .

- الكتب العربية التي نشرت في مصر في القرن التاسع عشر : عايدة إبراهيم نصير ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية - القاهرة ، سنة ١٩٩٠م ، واشتملت على ٢٥٤٣ مهادية .

- الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، إعداد : عظمت الله الندوي ، وسيد أحمد زكريا الغوري الندوي :طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند .

(١) أوائل المطبوعات المصرية ، د . جيهان السيد ، ص ١٥

أما المطبوعات الحجرية فقد اهتمت بها المغرب كثيراً ؛ لأن كثيراً من الكتب التراثية طبعت طباعة حجرية في القرن التاسع عشر هناك ، ولذلك كان لها السبق في إعداد فهارس احتوت على المطبوعات الحجرية فقط الموجودة المغرب ، ومنها :

- المطبوعات الحجرية في المغرب ، فهرس مع مقدمة تاريخية إعداد : فوزي عبد الرازق ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، سنة ١٩٨٦م ، وهو مرتبٌ بحسب أسماء الكتب وأسماء المؤلفين .

- فهرس المطبوعات الحجرية المغربية ، إعداد : محمد القادري ، ومحمد ملشوش ، الدار البيضاء : مؤسسة الملك عبد العزيز ، سنة ٢٠٠٤م ، وهو مرتب بحسب الموضوعات والعلوم .

- المنشورات المغربية : للطيفة الكندوز ، كما سبق الإشارة إليه .

وهناك محاولات كثيرة لفهرست أوائل المطبوعات في بعض الدول العربية ، منها :

- دليل ببليوغرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٨٠م ، مطبعة جامعة البصرة - بغداد ، سنة ١٩٨١م . وقد بلغ عدد أوائل المطبوعات المصرية بها ٨١٢ مهادية .

- أوائل المطبوعات السعودية : قائمة مختارة ، إعداد : حمادي بن علي محمد ، مراجعة : علي بن سليمان الصوينع ، الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ومعظم هذه الكتب طبع في مصر ، وبعضها في الهند ومكة المكرمة . وأقدم كتاب في هذه المجموعة طبع سنة ١٣٠١هـ .

- أوائل المطبوعات السورية : سماء زكي المحاسني ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، سنة ١٩٩٧م .

ثانيًا - الحفظ والترميم

تحتوي دار الكتب المصرية على أقسام للكتب النادرة ، فيها آلاف من هذه الكتب ، وبعضها بالطبع طبعات حجرية ، وقد حرصت على اقتنائها منذ القدم إما

بالإهداءات أو بالشراء وغيره ، وهناك محاولات لتتبع سرقات مثل هذه الكتب المسجلة بها ، والتي تحاول جهات بيعها في مزادات عالمية ، فتبذل الهيئة جهوداً كبيرة من أجل استرجاعها . وفي مكتبة الإسكندرية قسم للكتب النادرة يحتوي على أكثر من ١٥ ألف عنوان تحتوي على مئات من الكتب المطبوعة طباعة حجرية . وكذلك في كل المكتبات الرسمية في كل الأقاليم هناك اهتمام بالكتب القديمة من أوائل المطبوعات في بولاق وغيرها ، خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي .

ثالثًا - إعادة الطباعة بالتصوير (الأوفست)

كانت هناك وما زالت محاولات لإعادة طبع الكتب القديمة من أوائل المطبوعات ، وكانت هناك محاولات أمينة على هذه الكتب تمثلت في جهود مكتبة المثنى ببغداد ، وحاليًا مكتبة لطائف الصحائف بمصر ، وهي تعيد طبع نسخة مصورة من هذه الأوائل في قالب جديد يحافظ على كل خصائص الطبعة القديمة من أول صفحة العنوان إلى خاتمة الكتاب ، وفيها تاريخ الطبع واسم المطبعة واسم المصحح واسم الملتزم ، وغيرها من المعلومات الهامة التي جاءت في الأصل لا تخفي الطبعات الجديدة منها شيئًا أو تطمسه ، بعكس محاولات أخرى تجارية أسقطت أواخر المطبوعات ، وفيها اسم مصحح الكتاب واسم ناشره ، واسم من أنفق على طبعه وطمس خاتم المطبعة بالسواد ، كما ذكر أمثلة لها الدكتور الطناحي ، منها :

- كتاب (المخصص) ، لابن سيده ، فقد أصدر منه المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت طبعة مصورة في ١٧ جزءاً طمس في آخرها خاتم مطبعة بولاق ، وكذلك اسم المحقق .

- وكتاب (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) ، ليحيى بن حمزة العلوي اليمني ، طبع بعناية دار الكتب المصرية ، في مطبعة المقتطف سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م ، ثم جاءت دار الكتب العلمية ببيروت فأصدرت منه نسخة مصورة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م أسقطت فيها اسم مصحح الكتاب ، وهو الشيخ

العلامة سيد بن علي المرصفي أحد أئمة العربية في عصره[١] .

يقول الدكتور الطناحي : ولما كان العالمون بتاريخ الطباعة ، المحبون للعلم والعارفون بتاريخ الرجال يتناقصون يومًا إثر يوم ، فلا بد من عمل وجهد لاستنقاذ هذا التاريخ من بئر النسيان وقرارة الضياع ، وذلك يكون بعمل ببليوجرافات (قوائم) إحصائية بأسماء المطابع ، وأسماء أصحابها ، ثم بأسماء الناشرين ، وأسماء المصححين . في هذه المرحلة المبكرة من الطباعة[٢] .

بل يدعو الدكتور الطناحي لعمل إحصاء للكتب التي طبعت على هامش هذه الكتب ، لأن هذه الكتب يغفل الناس عنها كثيراً ، وقد طبع بعضها مستقلًا ، وبعضها لم يطبع غير هذه الطبعة على هامش الكتاب الأصلي ، ومن ذلك كتاب : شرح الشواهد الكبرى ، لبدر الدين العيني ، طبع على هامش كتاب خزانة الأدب ، للبغدادي بمطبعة بولاق[٣] . قلت : وهذا لا يكون إلا بعمل فهرسة كاملة لأوائل المطبوعات ، خاصة المطبوع منها حجريًا ، والتعريف بكل كتاب بجانب عنوانه ومصنفه ، والكتب الموجودة في هوامشه إن وجدت ، إلى ذكر العهد الذي طبع فيه الكتاب ، واسم المطبعة ، وبيانات موظفيها كما ذكر في آخر الكتاب ، وتاريخ الطبع ونوع الطباعة (حجرية أو بالحروف المعدنية) ، واسم المصحح والمراجع ، واسم الملتزم بنفقة طبع الكتاب ، أي كل ما ورد من معلومات في حرد الكتاب كما جاء في الطبعة الأصلية ، علاوة على ذكر كل ما عليه من خوارج نص الكتاب ، ومنها الوقف والأختام ، والإهداءات وتاريخ الشراء وقيمته ، والجهة التي قامت به ، ومكان حفظه المسجل فيه ، مع وضع صورة لأول صفحة من الكتاب وآخر صفحة ؛ ليصبح لدينا فهرسًا في صورة كاتالوج كامل لكل كتاب ، فيه جميع البيانات الخاصة به ، خاصة الكتب المطبوعة طباعة حجرية ؛ لأهميتها كما سبق بيانه في هذا البحث .

نتائج البحث وتوصياته

تناول البحث نشأة الطباعة الحجرية ، وكيفيتها ومميزاتها ، وظهور الطباعة

---

(١) الكتاب المطبوع في مصر في القرن التاسع عشر ، د . محمود الطناحي ، ص ١٥٧ ذ ١٥٨

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٩

(٣) نفسه ، ص ١٥٩-١٦٠

الحجرية في البلاد العربية والإسلامية ، وأهمية الطباعة الحجرية والمطبوعات الحجرية الأولى ، وجهود المحافظة على المطبوعات الحجرية ، وقد خلص البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية :

النتائج :

١- الطباعة الحجرية مثلت مرحلة وسيطة بين الكتاب المخطوط والكتاب المطبوع

٢- الطباعة الحجرية كانت أقرب لثقافة القارئ العربي

٣- قلة تكاليف الطباعة الحجرية ساعد على انتشارها وكثرت مطابعها

٤- ساهمت الطباعة الحجرية في نهضة ثقافية وحضارية شملت العالم العربي والإسلامي .

٥- الكتب المطبوعة طباعة حجرية حفظت كثيراً من الأصول التي نسخت منها ، وقد ضاعت بعض هذه الأصول ، أو تلفت ، أو سرقت ، أو لا يعرف الآن مكان تواجدها .

٦- حافظت الطباعة الحجرية على أصول كتابة وضبط ونسخ الكتب المخطوطة قديمًا .

٧- ساهمت الكتب المطبوعة في مراحل الطباعة الأولى في طباعة الصور والرسومات والرموز ؛ ولذلك كثر استخدامها في كتب الطب والموسيقا والأطلس الجغرافي ، وغيرها .

٨- كان للجهود المغربية السبق في فهرسة الكتب المطبوعة طباعة حجرية لانتشار هذه الطباعة في المغرب .

٩- الطباعة الحجرية انتشرت في العالم الإسلامي أولًا في شبه القارة الهندية انتشاراً كبيراً ؛ ولذلك كانت لشبه القارة الهندية العدد الأكبر من الكتب المطبوعة طباعة حجرية .

١٠- ظهرت الطباعة الحجرية في مصر مع إنشاء مطبعة بولاق سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م .

١١- أوائل المطبوعات المصرية هي ما طبع في الفترة ١٢٣٨هـ-١٢٩٧هـ/ ١٨٢٢-١٨٧٩م .

١٢- جهود فهرسة المطبوعات الحجرية اختلطت بفهرسة أوائل المطبوعات .

التوصيات :

– ضرورة جمع وفهرسة الكتب المطبوعة طباعة حجرية في مصر في مكتباتها عامة ؛ لإعداد فهرس شامل لهذه الكتب التي طبعت طباعة حجرية ، بحيث يشمل هذا الفهرست معلومات كاملة عن كل كتاب ، كما جاء في صفحة عنوان الكتاب وصفحة خاتمة الكتاب ؛ ليشمل مع اسم المؤلف والعنوان ، واسم المطبعة ، وتاريخ الطبع ، واسم المصحح والمراجع والناسخ ، وتاريخ الطباعة ، وكل ما يشمله الكتاب من خوراج ، مثل : الوقف والأختام والتملكات والإهداءات والشراء ، والكتب الموجودة في هوامش الكتاب الأصلي المطبوع ، وغيرها .

– إعداد كوادر فنية مدربة على معرفة صفات الكتاب المطبوع طباعة حجرية ، وخصائص وسمات هذا النوع من الطباعة ، والفرق بينه وبين الكتب المطبوعة بالحروف المعدنية .

– تتبع وزارة الثقافة لسرقات الكتب المطبوعة طباعة حجرية المسجلة بمصر ، ومنع محاولة بيعها في المزادات العالمية ، والعمل على إعادتها لمصر .

المصادر والمراجع :

ـ أبو الفتوح رضوان : د تاريخ مطبعة بولاق ، القاهرة : المطبعة الأميرية ، سنة ١٩٥٣م .

ـ أحمد خان : د معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

ـ جيهان محمود السيد ، د . أوائل المطبوعات المصرية : دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية ، الإسكندرية : دار الثقافة العلمية ، سنة ٢٠٠٠م .

ـ حفظ الرحمن محمد علي الإصلاحي : كتاب دور الهند في نشر التراث العربي ، وزارة الثقافة والإعلام السعودية ، كتاب المجلة العربية ٢١ .

ـ د . خالد عزب ، وأحمد منصور : الكتاب العربي المطبوع من الجذور إلى مطبعة بولاق ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ط١ . سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

ـ خليل صابات : تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، القاهرة : دار المعارف ، ط٢ . سنة ١٩٦٦م .

- سمية حسن محمد إبراهيم : بحث طبع المخطوطات الإسلامية طباعة حجرية ، مجلة (BCPS) المجلد ٨ ، العدد ١ ، ١٩٩٢ ، الصفحة ١١٩-١٤٦ .
- عظمت الله الندوي ، وسيد أحمد زكريا الغوري : الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، الهند : دائرة المعارف الإسلامية بحيدر آباد الدكن .
- فوزي عبد الرزاق : (كتاب مغربي يؤرخ للمنشورات المغربية ، لكنه مليء بالأخطاء) ، صحيفة الشرق الأوسط ، الخميس ٠٦ صفر ١٤٢٦ هـ/ ١٧ مارس ٢٠٠٥ ، العدد ٩٦٠٦ .
- فوزي عبد الرزاق : المطبوعات الحجرية في المغرب ، فهرس مع مقدمة تاريخية ، الرباط : دار نشر المعرفة ، سنة ١٩٨٦م .
- محمد أجمل أيوب الإصلاحي : مطبعة نولكشور وجهودها في نشر الكتاب العربي ، الفصل الرابع .
- محمد جمال الدين الشوربجي : قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢هـ ، مطبعة دار الكتب ، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- د محمد خليل الرفاعي : تقنيات الطباعة ، من منشورات الجامعة الافتراضية السورية ، سنة ٢٠٢٠م .
- محمد عزيز شمس : أعلام المحققين في الهند وجهودهم في نشر التراث العربي الإسلامي الفصل الثالث .
- محمود محمد الطناحي : د الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر : تأريخ وتحليل ، كتاب الهلال ، سلسلة شهرية تصدرها دار الهلال - القاهرة ، العدد ٥٤٨ ربيع الأول ١٤١٦هـ / أغسطس ١٩٩٦م .
- هانم عبد الرحيم إبراهيم : د المطبوعات الحجرية العربية : دراسة ببليوجرافية تحليلية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م .
- وحيد قدورة : د بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام ، تطور المحيط الثقافي (١٧٠٦ - ١٧٨٧م) ، الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- يوسف إلياس سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس بمصر ، سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية